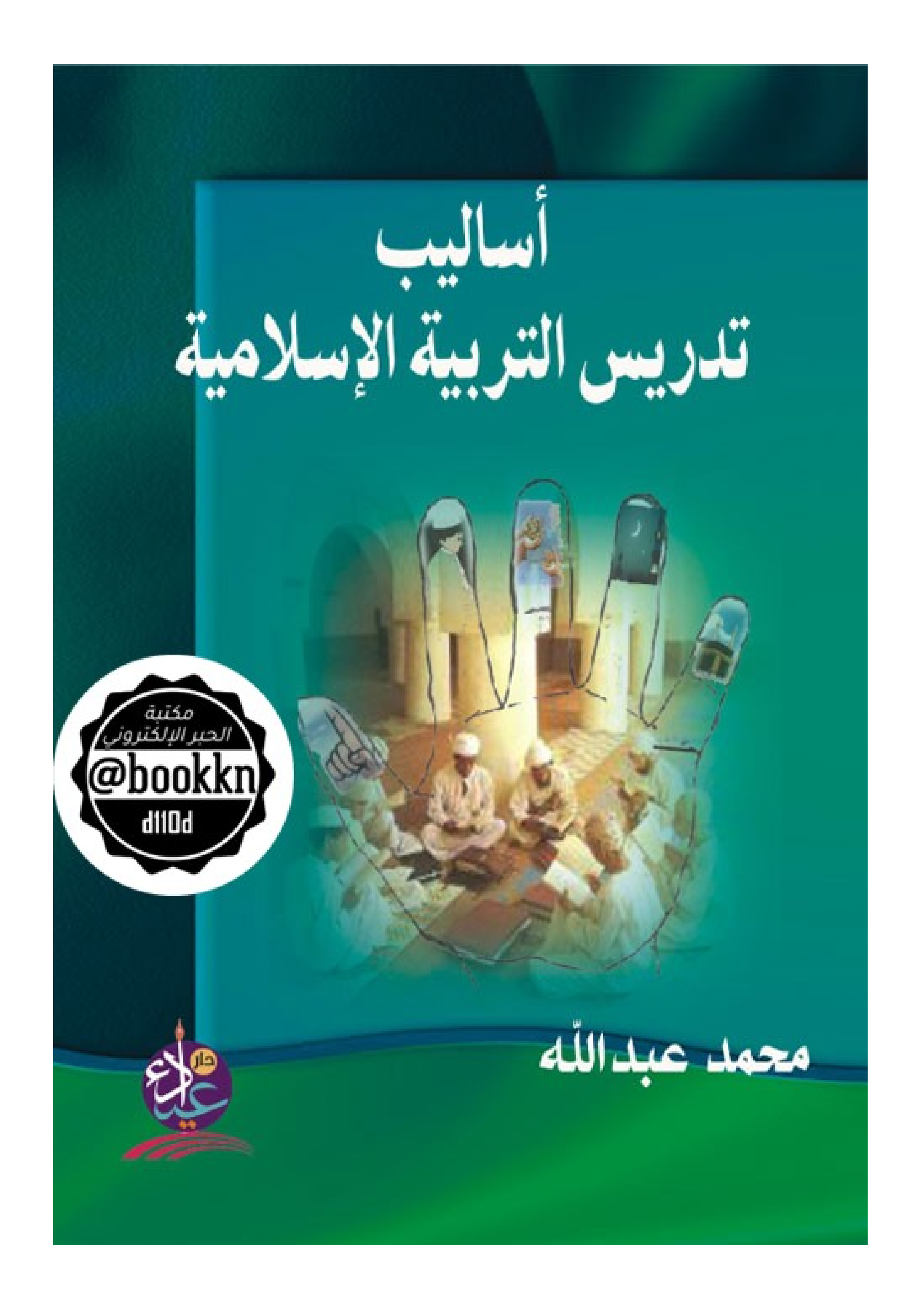
أساليب
تدريس التربية الإسلامية





محمد عبدالله




أساليب
تدريس التربية الإسلامية
مكتبة
الحبر الإلكتروني
@bookkn
محمد عبدالله
دار
عيداء

أساليب تدريس التربية الاسلامية

تأليف

أ. محمد محمود عبدالله

مدرس علوم القرآن بالأزهر

الطبعة الأولى

2013 م – 1434 هـ

المقدمة

الحمد لله الذي أبدع الكائنات، وخلف الإنسان وكرمه على سائر المخلوقات، ومنحه العقل ليمتاز في السلوك والتصرفات، فبوحي العقل ونور العلم يشارك الطير في الفضائيات وتبارك المنزل على عبده (وَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ) (الاعراف: 185) ([1]) .

فإن منهج الشريعة الاسلامية يعتني بعقل النشئ المسلم ويعلمه باعتبار ان العقل والعلم هما من أهم الوسائل المعينة على كسب المعرفة، وإذا عرف الانسان دينه منهاجا وسلوكا استقامة له الحياة، فإن الآيات والدلالات التي تنظم عقل المسلم وفكره، ترسم خطاه وعلاقاته الانسانية من حيث الجانب السلوكي التطبيقي لقوانين العقيدة بما يصنع مجتمعا إسلاميا يجمع بين السماحة والرحمة والعدل، لأن مفاهيم الاسلام تتفق مع الفطرة الانسانية التي فطر الله تعالي الناس عليها (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (الروم: 30) ([2]).

فالمسلم حين يرى سلوك العدل هو جوهر السلوك الإسلامي الذي رباه عليه القرآن الكريم، فلا يطغى ولايتجاوز حد في استخدام مايفسد الحياة فلا يستخدم نعم الله في سفك الدماء وتعميم الدمار بدلاً من الاعمار كإفساد مياه الأنهار وقتل كائنات البحار وظلم أخاه الإنسان فيغتصب حقه، ويبدد خيراته بغياً وعدواناً أو زوراً وبهتانا، فالإسلام من مثل هذا السلوك براء، لذا وجب تربية النشئ تربية سليمة يعرف فيها أصول دينه وصحة عقيدته ومنهج سلوكه، ولقد حث القرآن العظيم المسلم على تنمية عقله وشحذ قدراته وعلو همته وتنمية مهاراته عن طريق الفكر والتأمل والإحاطة بما في الكون من نظام بديع فقال سبحانه (أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿17﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿18﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿19﴾) ([3])

وما أجمل الاسلام منهجا وتربية، وهذا الكتاب عن طرق تدريس التربية الاسلامية تضمنته موضوعات علمية وأفكاراً جلية تعيين المعلمين على إفهام الناشئين التربية الاسلامية بيسر ولين والله أسأل أن ينفع الدارسين والمدرسين.. أنه نعم المولى ونعم المعين،،،

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

تمهيد

أهداف التربية الاسلامية

إن التربية الاسلامية تربية هادفة قبل كل شيء فهي ابتداءً تربية ربانية وضع الله سبحانه وتعالى أسسها، وجعلها شريعة للبشرية جمعاء، بمعنى أن الله سبحانه وتعالى وضع الهدف الشامل السامي لهذه التربية، فقد أوجد الله الكون الهدف، وأوجد الانسان على الأرض لهدف أيضاً، فالإنسان خليفة في هذه الأرض سخر الله له السموات والأرض، ولكنه سبحانه وتعالى طلب من الانسان أن يتأمل في هذا الخلق، فيدفعه ذلك بالضرورة الى طاعة الله وحبه، والخضوع لأوامره، فضلاً عن أن الله سبحانه جعل الإنسان مستعداً للخير والشر، ثم أرسل الرسل ليهدوا الناس الى طريق الخير.

لقد جعل الله سبحانه وتعالى للحياة الدنيا نهاية تتوقف في وقت محدود عند الله، ثم يفنى الكون، وتفنى الحياة الدنيا، ثم يخلق الله الإنسان خلقاً جديداً، ويخلق كوناً جديداً.

إن هذه النظرة إلى الكون تظهر بوضوح أن الهدف الأساسي لوجود الانسان هو عبادة الله، والخضوع المطلق له، وقد صرح القرآن الكريم بذلك في قوله تعالى (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)([4])، وإذا كان الأمر كذلك فإن تربية الإنسان تكون خاضعة للهدف نفسه، لأن التربية الاسلامية قائمة في الأصل على تنمية فكر الإنسان، وتنظيم سلوكه وعواطفه على أساس هذا الدين الحنيف..

وهكذا يكون الهدف النهائي للتربية الاسلامية هو تحقيق العبودية لله في حياة الإنسان الفردية والاجتماعية.

إن من مرامي التربية الاسلامية بعد ذلك، هو تكوين الشخصية المخلصة للعقيدة الإسلامية، وللقيم التي نادى بها الإسلام، على أن تظهر في سلوكه عظمة الأخلاق الإسلامية، كالصبر والاستقلال بالرأي والجهر بالحق والاعتماد على النفس، فالأهداف الإسلامية لاتقبل بأي حال من الأحوال أن يكون الفرد المسلم مدفوعاً الى الطمع أو الخوف، ولا أن يكون جباناً متردداً خائر القوى، مثلما لاتريد له أن يؤمن بكل ما يؤدي الى الضلال.

إن التربية الإسلامية تهدف إلى إيجاد إنسان يعد الايمان بالله هو أنقى وأقوى حالات الوجود الإنساني، وأن تكون تقوى الله لديه أسمى حالاته، على أساس أن هذا الايمان هو وسيلة للسيطرة على كوامن الطبيعة، فضلاً عن كونها وسيلة السيطرة على نزعات النفس وميولها وغرائزها، وعلى ذلك فإن الأهداف العامة للتربية والتعليم في المنظور الإسلامي تتمثل بما يأتي:

1. إعداد الشخصية الاسلامية الواضحة، ويكون وضوحها بالإيمان عن طريق الفكر المستنير الواعي، وتوضيح المعاني الإسلامية في حياة الأفراد، وإيجاد الانسجام التام بين الفكر والسلوك.

2. تنمية المهارات الأساسية لدى كل فرد، ويتمثل ذلك في تمكين الأفراد من أساسيات التعليم عن طريق القراءة والكتابة , ومتطلبات الدين، وكذلك في مساعدة المتعلمين على نقل الأفكار عن طريق التعبير الكتابي والشفوي بلغة عربية مفهومة، وإتقان المهارات المتنوعة في شؤون الحياة، وإتباع الأسلوب العقلي لتنمية الاستقلال بالتفكير، بما يساعد على التمييز بين المعلومات الصحيحة وغير الصحيحة.

3. تحقيق النمو المتكامل للأفراد، بأبعاده الروحية والعقلية والجسمية والانفعالية والاجتماعية.

4. تلبية حاجات المجتمع الانية والمنتظرة، وذلك بإيجاد برامج تعليمية متنوعة تتفق مع استعدادات الأفراد وقدراتهم.

5. تزويد المتعلم بالثقافة الإسلامية لشؤون الحياة.

6. إتاحة الفرصة أمام الجميع بصورة متكافئة للحصول على نصيب من العلم والثقافة.

7. تحقيق المطالب الدنيوية والأخروية على حد سواء.

إن هذه الأهداف الشاملة والمحورية لا تعني اقتصار الدراسة في التربية الاسلامية على الموضوعات المنهجية التي تتضمن الآيات والأحاديث والعقائد والسير والعبادات والمعاملات والأخلاق، وإنما هي زيادة على ذلك عبارة عن نمط حياة وسلوك، وهكذا يكون هدف التربية الاسلامية الشامل هو الإنسان بكيانه متكاملاً، وبطاقاته وقدراته كلها، وهي بذلك تعني بالجانب العقلي والروحي والجسدي والخلقي والاجتماعي والجمالي، وهي عندما تتعهد هذه الجوانب بالتربية فإنها تستهدف، بالوقت نفسه، تكاملها في حركة نموها وتناسقها، بحيث يصبح الانسان ذا نظرة شمولية، لأن الأهداف تمثل نقطة البداية لعمليات التربية بشكل عام، والمناهج المدرسية بشكل خاص.

لقد اهتمت التربية في الاسلام بتنشئة الأطفال والشباب على معرفة الدين، وحسن الخلق، وعدم إهمال إقامة الشعائر الدينية من صلاة وصيام وزكاة وحج، وإقامة الروابط الأخوية والعلاقات الطيبة بين الأفراد، واحترام الناس وأعمالهم، ومن الأهداف أيضاً ان يصير الإنسان عابداً، وذلك هو الهدف الكلي للتربية والتعليم في الإسلام، إضافة الى تنمية الإنسان الصالح وتكوينه، وهذا هدف أعلى تنطوي تحته مجموعة الأهداف الخاصة، وهو من أهداف التربية الاسلامية الخلقية أي تنمية أخلاقيات معينة لدى الانسان تتفق مع الفكرة الاسلامية.

وقد ارتأى فريق من الدارسين بأن هدف التربية الاسلامية يتخلص من الناحية الفلسفية (بالفضيلة)، اذ يرى المسلمون أن التربية الخلقية هي روح التربية الإسلامية، فالهدف الأسمى فيها هو تهذيب الخلق وتربية الروح، وقد وجد بعض الباحثين أن أغراض التربية الاسلامية كلها تتحقق في الآية الكريمة (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ)([5])

وبعد ذلك كله يمكن وضع أهداف التربية الاسلامية في النقاط الاتية:

1. تكوين قاعدة علمية نظرية للعقيدة الإسلامية التي يأتي بها المتعلم الى المدرسة.

2. إشباع حاجات المتعلم الى المعرفة

3. تزويد المتعلم بالمعرفة الدينية اللازمة له

4. تصحيح ما قد يكون لدى المتعلم من مفاهيم دينية غير صحيحة.

5. محاربة الأفكار الهدامة الموجهة ضد الدين الاسلامي.

6. إشباع العواطف النبيلة لدى المتعلم

7. تنمية العواطف والقيم المرغوب فيها لدى المتعلم

8. محاربة القيم والعواطف غير المرغوب فيها

9. دعم أنواع السلوك الطيبة لدى المتعلم

10. تعويد المتعلم العادات والمهارات وألوان السلوك المرغوب فيها

11. العمل على أن يحفظ المتعلمون قدراً من القرآن الكريم والحديث الشريف بوصفها أهم أسس التشريع الاسلامي

12. إعداد المسلم للحياة الأخرى بجانب إعداده للحياة الدنيا.

13. تنمية الوازع الديني لدى المتعلم

14. إقدار المتعلم على التمييز بين الأصيل والدخيل من العقائد والممارسات الدينية.

15. إقدام المتعلم على أن يمد يد العون لغيره فيما يتعلق بالمعرفة الدينية

وأخيراً، فإن هذه الأهداف تشمل الأهداف المعرفية والوجدانية والمهارية، والتي تتحقق بمساهمة فروع التربية الاسلامية وأنشطتها كافة.

الفصل الأول

مفهوم التربية الاسلامية

لقد شاع استعمال كلمة التربية كثيراً وسارت على ألسنة الناس قديماً وحديثاً، ومع ذلك فهي تعني بمعناها الواسع كل ما يؤثر في حياة الفرد من خلال تفاعله المستمر مع المجتمع، تفاعلاً يؤدي الى تعديل سلوكه، وهي عند بعض المفكرين من أوسع الميادين التي لا يمكن أن يحيط بها البحث، فهي ليست قاصرة على مرحلة معينة في حياة الفرد، بل هي عملية مستمرة من المهد الى اللحد تجري في جميع الميادين والبيئات والأماكن.

وبحسب هذا المفهوم يكون موضوع التربية هو الفرد، واستناداً الى ذلك فإن البرنامج التعليمي ما هو الا محاولة يؤديها المتخصصون للتأثير على نمو الأفراد، ويكون ذلك باختيار الخبرات التي تنمو بها القيم المطلوبة لهؤلاء الأفراد، وكذلك تنظيم الخبرات.

إن التربية هي الوسيلة والأسلوب الاجتماعي الذي يكتسب به الأفراد طرائق الحياة وقيم المجتمع الذي يعيشون فيه، لأنها أداة رئيسية يعتمد عليها في التعبير عن إرادة التغيير.

والتربية أحد العناصر الأساسية في تحقيق التنمية، لأن جدوى التربية ينبغي أن يقاس بمقدار ماتسهم به، لا في النمو الاقتصادي الكمي فحسب.

أما التربية الاسلامية فتحتل مكانة مهمة في العملية التربوية من خلال ما تتضمنه من أبعاد روحية وتربوية وعلمية وأخلاقية، مستنبطة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وهي تهدف الى بناء شخصية متكاملة ومتوازنة.

والتربية الاسلامية لم تعد مجرد مقررات تعليمية تتصل بالدين الاسلامي وعقائده وشرائعه وأخلاقه، بل هي علم متكامل له أهدافه ومباحثه، وبناء على تلك القناعة ورغم اختلاف وجهات النظر في مجال التربية الاسلامية فقد طرحت مفاهيم تدل على مغزى هذه التربية، فهي إطار فكري يتناول قضايا التعليم ومفاهيم التربية المختلفة في أسسها النظرية ووسائلها العملية، ومصدر هذا الإطار القرآن والسنة بصفة رئيسية، ثم تأتي الجهود الفكرية لمفكري الاسلام.

إن التربية في الاسلام هي إعداد الإنسان منذ الطفولة لإنجاز مهمات الإسلام، لنيل سعادة الدارين، وبهذا انفردت التربية الإسلامية عن سائر النظريات التربوية، وإن الغاية الاساسية من التربية الاسلامية تكون في جعل الدين القوة الأكثر تأثيراً ودفعاً في كيان الطلبة الذين نعلمهم، بحيث تظهر آثار ذلك في سلوكهم وأنماط تعاملهم مع المجتمع وإن لم يصل المربون الى هذا الهدف فإنهم لن ينجحوا في التربية الدينية.

وما دمنا نتحدث عن التربية الإسلامية فلا بأس أن نتحدث عن الدين، فهو اتجاه المرء عقلياً أو انفعالياً نحو الله سبحانه وتعالى، والارتباط به ارتباطاً يجعله يؤدي ما عليه من حقوق وواجبات اتجاه الخالق، والالتزام بأوامره واجتناب نواهيه، وهو وضع إلهي بوصفه مجموعة العقائد والعبادات والأحكام والقوانين التي شرعها الله سبحانه لتنظيم علاقة الناس بربهم.

والدين الصحيح هو الذي يجمع بين جانبي الروح والمادة أو بين عالم الروح وعالم المادة، وهو الذي يوازن بين متطلبات الروح ومتطلبات الجسد، فهو دين الوسطية الذي جمع بين مطالب الروح ومطالب الجسد، وبين عالم الغيب والشهادة، وبين الآخرة وحاجات الدينا، لذا يجب أن يكون هدف العملية التعليمية تلبية حاجات الروح والجسد معاً.

وعلى هذا فليس المقصود من الدين في المجال التعليمي هو تفهم النصوص وحفظها ودراسة النهج المقرر فحسب، وانما الى جانب ذلك هو عادات تمارس ومهارات تكتسب، تؤدي إلى تنظيم سلوك الفرد وتكوين أخلاقه وفضائله التي ينبغي أن يحرص عليها، ويتمسك بها في حياته.

إن الهدف الأول في تدريس الدين هو تعليم الطلبة بطريق الممارسة كيف يسلكون في حياتهم سلوكاً دينياً حميداً، مع توفير الأمل والطمأنينة لهم، وتخليصهم من المشكلات في حياتهم، وذلك يقتضي من المربين أن يجعلوا الدين شيئاً ذا قيمة في حياة الطلبة وفي كيانهم، وأن يرتفعوا بمستوى شعورهم الديني، بحيث تنعكس تعاليم الدين وقضاياه العلمية وقواعده المعرفية على ألوان سلوكهم.

وهكذا فإن التربية الإسلامية مستمدة من طبيعة الدين الإسلامي، وهي تستمد من القرآن الكريم مبادئها واتجاهاتها التربوية في تكوين الفرد والمجتمع.

وهنا يعد القرآن الكريم الإطار المرجعي لشؤون الحياة كافة، وهو الأصل في تشريع الأحكام وتحديد التصرفات، وهو يشتمل تصوراً للكون والإنسان والحياة، وهو الدستور الجامع لحياة الأمة الإسلامية.

ففي القرآن الكريم منهج كامل للتربية من حيث فلسفتها ومبادئها وأهدافها وأساليبها ووسائل التقويم فيها، وفيه عناية كبيرة بكل مايهم التربية والفلسفة، إذ يعالج نشوء الخليقة ونشوء الإنسان وطبيعته، ويؤكد وجود النظام في المجتمع والطبيعة، ويطلب تهذيب النفس وتقويم السلوك لتحقيق الأهداف التربوية السليمة.

إن التربية الإسلامية بعد ذلك تربية إنسانية لأنها تعني بالإنسان في مراحل حياته كلها، والتربية التي تعني بتنشئة الإنسان يقوم عليها أفراد انسانيون، ولذا اصطفى الله سبحانه وتعالى من عباده رسلاً وأنبياء لتبليغ الهداية ونشرها.

ونجد أن القرآن الكريم يعنف المشركين الذي كانوا يطالبون برسل من الملائكة، ويستنكرون كون الرسل بشراً قال تعالى:(قُل لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُول) ([6]) فهذه الآية وآيات أخرى كثيرة تظهر أن من لطف الله في عباده أن يبعث فيهم رسلاً من أنفسهم، لأن هذا يعينهم على فقه ما يبلغونهم به، إذ لو كان الرسل ملائكة لما استطاع البشر الأخذ عنهم والتفاعل معهم.

وهكذا فإن الدين نوع من أنواع الحماية الفكرية والروحية والسلوكية، إذ له القدرة على إعادة تشكيل السلوك على نحو أفضل.

لقد أخذت التربية الإسلامية حيزاً بين المناهج التربوية العالمية منذ اللحظات الأولى للبعثة المحمدية، حيث عرف عن الدعوة الإسلامية بأنها دعوة العلم والمعرفة، فقد كانت أول آيات القرآن الكريم هي: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ([7])، وقد عملت هذه التربية السماوية بالوسائط كافة (القرآن والحديث الشريف)، على تنمية جميع جوانب الشخصية الإسلامية الفكرية والعاطفية

والجسدية والاجتماعية والروحية، وتنظيم سلوكها على أساس من مبادئ الإسلام وأحكامه وتعاليمه، لتحقيق الأهداف في شتى المجالات.

إن التربية الاسلامية مصنع تربوي يمكن أن يشكل الفرد ويضعه في ضوء مثل عليا وقيم سامية وهي تربية تهيئ له فرص النمو المتعدد، وتمده بوسائل النضج المتوازن، وتشكله على نحو يتلاءم فيها سلوكه مع معتقده وقيمه، فضلاً عن أنها تزود الأفراد بما يحميهم من الانحراف، وتعرفهم طريق الهدى والرشاد، وتحبب إلى نفوسهم الخصال الحميدة وفعل الخير، وفي هذا تماسك المجتمع وقوته.

لقد تميزت التربية الاسلامية بميزة التربية الحديثة من حيث العناية بالطفل، بوصفه كائناً حيا له اعتباره المستقل، وحقه في النمو نمواً طبيعياً، وتمتعه بمواهبه التي منحها الله له، إذ أن التربية الاسلامية لا تعد الطفل وافداً مزعجاً لوالديه ليحيطاه بأغلال وقيود تحد من مواهبه، ولنا في رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أسوة حسنة في رحمته بأحفاده وأبناء المسلمين، رفقاً وشفقة ورأفة بهم.

والتربية الإسلامية تربية واقعية لأنها تتعامل مع إنسان يعيش على ظهر الأرض، لا مع إنسان خيالي، أي انها تبدأ بالانسان من حيث هو إنسان، ثم تعمل على إيصاله الى كماله الإنساني، فالمبادئ الاسلامية لاتعمل في فراغ، بل أنها تتفاعل مع ما غرسه الله سبحانه وتعالى في طبيعة الانسان، التربية الاسلامية واقعية لأن الكون الذي يتفاعل معه الفرد حقيقة موضوعية لا فكرة مجردة.

وهكذا، فالتربية الإسلامية عملية تفاعل بين الفرد والبيئة الاجتماعية المحيطة به، مستضيئة بنور الشعور الإسلامية، بهدف بناء الشخصية الإنسانية المسلمة، المتكاملة في جوانبها كافة، وبطريقة متوازنة.

وإذا أردنا الحديث أكثر من ذلك عن مفهوم التربية الإسلامية، فإنه ينبغي أن نعرف أن الاسلام ثورة حضارية بما جاء فيه من عقيدة توحيد الوجود وتكوينه، وبما وضع من نظام لحياة الإنسان وحياة المجتمع، وبما دعا اليه من أخوة إنسانية شاملة.

إن التربية الإسلامية تدعو الإنسان الى تأمل هذا الكون، ودراسته والتفكير في نظامه وسننه، وتقدير ما فيه من معاني الوجود ومعاني الحياة، ومع مبدأ التوحيد والنظرة الى مافي الكون لا يجوز للمسلم أن يبخس حق الروح وحق الجسد، إذ يجب تأكيد التوازن بين الروح والجسد، فهما ملاك الذات الإنسانية، وإن التربية الإسلامية تؤكد احترام عقل الإنسان ودعوته الى أن يكون هو المعول عليه، وفي القرآن تأتي هذه الدعوة متكررة للاعتماد على العقل في أمر العقيدة وفي شؤون الحياة عامة، وهي تشمل سائر وظائف العقل (الإدراك والفهم والوازع الأخلاقي والحكمة والتفكير).

وهكذا فإن الإسلام دين التوحيد والوحدة، ويجب أن تسير التربية الإسلامية في هذا الإطار، ركيزتها الإيمان بالله الواحد الأحد خالق الكون واهب النعم، وضرورة عبادة الخالق عبادة صادقة لأنها تحرر الإنسان من العبودية لكل المخلوقات والتربية الاسلامية ايضاً تعمل على تكريم الانسان، وتبين له أن الكون خلق لإسعاده، إن الدين الإسلامي بعد ذلك دين العقل والعلم، فهو يدعو لاعتماد العقل والفكر مثلما يحث على طلب العلم والبحث عن الحق والحقيقة، والإسلام دين العدل،

والحرية، والإخاء، والعمل والتكافل الاجتماعي، والشورى في الحكم والأخلاق والفضائل، والتسامح والتفاهم.

ويمكن استخلاص من كل ماتقدم ما يأتي:

- تقوم التربية الإسلامية على مبدأ الخلق الهادف، ويعني أن الله جل جلاله هو الخالق، وجميع ما عداه مخلوقات ما عداه مخلوقات له، وأن ذلك ينعكس على العملية التربوية، فتكون عملية مقدسة هادفة، ميدانها الكون، ومحورها الإنسان، وهدفها الحياة المؤمنة.

- وتقوم التربية الإسلامية على مبدأ الحياة، وهذا يعني أن الله الواحد الأحد خلق الكون والإنسان والحياة في انسجام كامل، وينعكس ذلك على العملية التربوية من أنها توحد في النظرة الى العلوم والمعارف جميعا.

- وتقوم التربية الإسلامية على مبدأ التوازن، ويعني أن الله سبحانه وتعالى خلق كل شيء بقدر، وينعكس ذلك على العملية التربوية في أهمية النظرة الى توازن العلوم التي يحتاج اليها الفرد والمجتمع، يزاد على ذلك التوازن بين النظرية والواقع، والتوازن بين القول والعمل.

- إن التربية في الإسلام اذن ليست كماً منفصلاً عن غاية الدين ومنهج الإسلام في الحياة، بل هي التي استخدمها النبي (صلى الله عليه وسلام) في نشر الدين وتربية الجيل، وتنظيم الحياة بجميع ميادينها على هدي من القرآن الكريم.

وخلاصة القول أن التربية الإسلامية عملية هادفة، لها أغراضها وأهدافها وغاياتها، وإن المربي الحق هو سبحانه وتعالى، وبالتالي فإن عمل المربي هو تال وتابع لخلق الله وإيجاده.

وتتمتع التربية الإسلامية بخصائص قد لاتكون في أي نوع من أنواع التربية الأخرى، فهي (ربانية)، أي أنها عملية مقدسة عظيمة، فالله المربي العظيم بما نزل وبين من أحكام وتعاليم تجسدت في القرآن الكريم دستور المسلمين، وهنا يجب عقد الصلة الدائمة بين العبد وربه.

وهي شمولية، أي تشتمل على العلوم الدينية والدنيوية جميعها، إلا أنها تدعو الى ضرورة التعمق والتفقه في الدين، قال تعالى(فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ)([8]).

وقال (صلى الله عليه وسلم): (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين).

وهي تقول بالتوازن، أي التعامل والتساوي بين النظرية والتطبيق، وتعني كذلك توازناص بين المعرفة الإنسانية المفيدة للفرد، والمفيدة للمجتمع، قال تعالى:(وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) ([9]).

وهي إلزامية، أي يجب على كل فرد مسلم ذكراً كان أم أنثى، أن يتعلم، قال (صلى الله عليه وسلم) (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة).

وهي إنسانية، أي أنها تعني أن البشرية كلها مخلوقة لله، بمعنى أنه تؤمن بالمساواة والعدالة بين البشر، والالتزام بالعبادة لله عز وجل.

وهي أخلاقية، أي أن الأخلاق في الإسلام تشكل جانباً في حياة الإنسان المسلم، والأخلاق هي من ثمار الإسلام، وهي من الضوابط النفسية والاجتماعية للفرد والمجتمع، قال تعالى يمدح نبيه

الكريم(وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) ([10]).

وهي أخيراً عملية، أي تأكيدها الناحية العملية لآثارها المهمة في الحياة الدنيا، قال (صلى الله عليه وسلم) (اللهم إني أعوذ بك من علم لاينفع).

إن التربية الإسلامية بعد ذلك وظائف وأهدافاً:

أما وظائفها فهي روحية، ونفسية، واجتماعية، وفكرية فإن تعتقد بالله، وتقوي إيمانك به، وتعتز به، وتراقبه في السر والعلن فهذه وظيفة روحية، وأن تجاهد النفس بالصبر والشجاعة، وتحمل الشدائد فهذه وظيفة نفسية، وأن تهتم التربية بالصلاح والتقوى والامتثال لأوامر الله، وتجنب ما نهى عنه، والحرص على طاعته فتلك وظيفة اجتماعية، وأن تنظر إلى الكون نظرة تعقل وتدبر فتلك وظيفة فكرية.

أسس التربية الإسلامية

تقوم التربية الإسلامية على ثلاثة أسس رئيسية هي:

- الأسس الفكرية
- الأسس التعبدية
- الأسس التشريعية

أولاً: الأسس الفكرية

إن التصور الإسلامي عن الكون والحياة والعقيدة يمتاز بوضوح الأفكار التي بني عليها نظام حياة المسلم، فاعتنقها، ودعا إليها، وآمن بها، وتابع تذكرها، ويمتاز بمنطقية المعتقدات ومعقوليتها وملاءمتها للفطرة العقلية والوجدانية والنفسية، والتي تمتاز بدورها باقناعها، والدعوى الى الأمل لما يوصل إلى معرفة الله وقدرته ووحدانيته.

لقد عرض الإسلام الإنسان على حقيقته وبين مميزاته، وأفضليته على سائر المخلوقات، ومهمته في الحياة، وقابليته للخير والشر، فحقيقة خلق الإنسان هي أن الله خلقه من نطفة، وجعله مخلوقاً مكرماً، فهو ليس ذليلاً أو مهاناً أو مبتذلاً، قال تعـــالى(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) ([11]).

وإن الانسان مميز مختار، فقد جعله الله قادراً على التمييز بين الخير والشر، إذ ألهم النفس فجورها وتقواها، وأن على الإنسان تقع مسؤولية تطبيق شريعة الله وتحقيق عبادته، وقد حمّله الله مسؤولية عظيمة، وكلفه بتكاليف كثيرة، ورتب عليها الجزاء الوفاق، وتبقى المهمة العليا للإنسان هي عبادة الله سبحانه.

إن نظرة الإنسان إلى الكون بحسب فلسفة التربية الاسلامية تقوم على تحريك عواطفه، وشعوره بعظمة الخالق، ويصغر الإنسان أمامه، فالكون كله مخلوق لله خلقه لهدف وغاية، وأن هذا الكون خاضع لسنن سنها الله على وفق اقدار قدرها سبحانه وتعالى، وأن الكون مُسير مدبر دائماً بقدرة الله، فالله الذي رتب سنن الكون بقي وما زال قائماً على تسييره وتدبير أمره، والإنسان جزء من هذا الكون خاضع في كل شؤونه وحياته وموته لتقديره ولسننه سبحانه، وأن الله سبحانه وتعالى أرسل على أساس هذه السنن الرسل فعذب أمماً، وأهلك أخرى، ورتب الآجال، وغير الأحوال، ومن هنا يكون الكون كله قانتاً لله، أي أن كل ما في الكون خاضع له ولتدبيره ولأمره ولإرادته ومشيئته . إن الإسلام ينظر الى الحياة نظرة خاصة، فللحياة أهميتها ودروها في التربية الإسلامية، فمبدأ الحياة هي كونها دار اختبار وامتحان للإنسان، وأن القرآن الكريم وصف الحياة الدنيا بأنها متاع مؤقت، يستمتع بها الإنسان، وليس له أن يجعلها هدفاً وغاية، فيغتر الإنسان بها، وينسى الهدف الذي خلق من أجله، والامتحان الذي أعده الله له، فالدنيا دار فناء، وهي متاع مؤقت ومكان عبور، وهي مليئة بالزينة والزخرف والشهوات والملذات، وهذا هو الانبلاء والاختبار ويجوز للمسلم ان يتمتع بالحياة الدنيا وزينتها في حدود الشرع، فالدنيا عالم له قوانينه الاجتماعية والبشرية، والحياة فيها قصيرة الأمد لاتعدو أن تكون ساعة أو يوماً من أيام الآخرة، كما أن الحياة الدنيا دار تعب وكدح وجد، فضلاً عن أنها دار لعب وفخر وتكاثر.

وهكذا تبدو صفات الحياة بمجموعها بأنها دار غرور، ومع ذلك يجب أن لايحرم الإنسان نفسه من خيراتها، ويجب عليه أن يصبر على بلواها، وأن يقاوم شهواتها وملذاتها.

ثانياً: الأسس التعبدية

من المعروف أنه لكل نظام فكري أساليب سلوكية ورياضيات خاصة تغلب عليها عادة الصفة الجماعية، وتكون مصحوبة بمجهود وحركات جسمية منظمة، لتواكب انطباعات الإنسان النفسية والفكرية، وقد أوجد الإسلام تكاملاً تربوياً لأداء هذا السلوكيات والرياضيات، إذ تظهر العبادات والنسك الإسلامية أعمالاً تعبدية وروحية عميقة الجذور، مرتبطة بمعان سامية تنبع من فطرة النفس المسلمة، فقد انتظمت حياة المسلم بممارسته اليومية التعبدية (الصلاة)، مثلما انتظمت بممارسات غذائية سنوية (الصوم)، وبالمفاهيم الاقتصادية(الزكاة)، زيادة على تنظيم وحدة المجتمع الإسلامي الكبير، وإيجاد الروابط والمشاعر الاجتماعية للأمة الإسلامية (الحج).

إن السر في هذه العبادات يكمن بارتباطها بمعنى واحد هو الذي وحد نوازع الإنسان كلها، وألف بين جميع أفراد المجتمع المسلم، ذلك هو العبودية لله وحده، وتلقي التعاليم والأوامر من الله وحده في أمر الدنيا والآخرة كله.

وهذه العبادات تعلم المسلم الوعي الفكري الدائم، لاتصافها بإخلاص النية، والطاعة لله، وممارسة هذه العبادات بالأسلوب الذي سنه رسول الله (صلى الله عليه وسلم")، وأن العبادات أيضاً تربي المسلم على الارتباط بالمسلمين ارتباطاً واعياً منظماً مبنياً على عاطفة صادقة وثقة بالنفس عظيمة، وترتبط أيضا بتربية النفس المسلمة على العزة والكرامة، وعلى الاعتزاز بالله، لأنه أكبر من كل كبير، وأعظم من كل عظيم، بيده الموت والحياة والرزق والملك والجاه والسلطان.

وترتبط هذه العبادات بعد ذلك بالجماعة، وتحت لواء العقيدة فهم جميعاً يناجون رباً واحداً، ولايخلو عملهم هذا من التشاور، إذ يؤدي ذلك إلى حياة قائمة على التعاون والمساواة والعدل.

إن العبادة في الإسلام تعمل بعد ذلك على تربية المسلم على قدر من الفضائل الثابتة المطلقة، فالمسلم هو المسلم بأخلاقه وإنسانيته، والعبادة تزود الإنسان دائماً بشحنات متتالية من القوة المستمدة من قوة الله، والثقة بالنفس المستمدة من الثقة بالله.

وهكذا تكون تربية المسلم بالعبادة مجددة لنفسه باستمرار، تمنحه التوبة التي تزيل عن قلبه وتصوراته ما قد يعلق بهما من أدناس، وتمحو من جوارحه أثر ما قد يكسبه من آثام وأخطاء، فهي جزء من العبادة تقوم على تذكر رقابة الله وجبروته وعقابه، قال تعالى: (وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)([12]).

ثالثاً: الأسس التشريعية

الشرع في القرآن الكريم هو سن التعليم الدينية، وبيان العقيدة التي يجب الإيمان بها، وعبادة الله على أساسها، وإصدار الأوامر والنواهي التي تحقق ذلك كله، وهو من خصائص الله تعالى، فكل من سمح لنفسه في التشريع، وأطاع غيره في غير ما شرع الله من أمور الدين وما يرتبط به، ومما وضع الله له تشريعاً فقد أشرك مع الله إلهاً آخر، وفي هذا المعنى يقول الله تعالى في حق من اتخذ مشرعاً له من دون الله(اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ)([13]).

إن الشريعة الإسلامية أساس عظيم من أسس التربية الإسلامية، فهي بمعناها القرآني الواسع بيان للعقيدة والعبادة وتنظيم الحياة، ولتحديد جميع العلاقات الإنسانية وتنظيمها، إنها أساس فكري يشمل التصورات الفكرية كافة عن الكون والحياة والإنسان، كما أنها تقدم للمسلم قواعد ونظماً سلوكية تجعل حياته مثالاً للدقة والنظام والأمانة والخلق الرفيع والمنهجية والوعي السليم، اضافة الى أنها تربي التفكير المنطقي باستنباط الأحكام مع مرونة الشريعة الإسلامية وحيويتها، مما يوجد شعباً متحضراً حضارة راقية، وهذا يعني أن الشريعة الإسلامية تدعو ابتداء الى تعلم القرآن والكتابة، والى تلاوة القرآن الكريم، وتدبر أحكامه ومعانيه، وإلى تعلم الحساب لتعلم الفرائض، والتاريخ لفهم السيرة، والجغرافيا لمعرف مواطن الأقوام البائدة فضلاً عن الحض على التفقه في الدين وتعلم الشريعة.

إن هذه الخصائص الفكرية للشريعة الإسلامية لها نتائج مهمة، لتربية عقل المسلم على الشمول والوعي الفكري، والتفكير المنطقي، والرغبة في التعلم.

ولقد جاءت الشريعة الإسلامية بجانب تطبيقي يتجلى في الأمر والنهي، والتحريم والتحليل، والإباحة والحظر، والحدود والعقوبات والقصاص، وأساليب عملية في البيع والزواج وسائر العقود، وهي أيضاً ضابط خلقي للفرد يحكم المرء نفسه إليها عندما يقف أمام أمور مشتبهات، وهي ضابط اجتماعي، إذ تصبح الأحكام أعرافاً ومصطلحات اجتماعية، والشريعة الإسلامية بعد ذلك ضابط سياسي، فعندما تتولى تنفيذ أوامر الشريعة تصبح تعاليم الشريعة سلوكاً سياسياً ستسلكه الدولة مع جميع رعاياها، وهكذا نجد ان الشريعة الإسلامية تربي الناس بأسلوب تربوي نفسي ينبع من داخل النفس، ضابطه الخوف من الله ومحبته، كما تربيهم على التناصح الاجتماعي والتواصي بالحق والتواصي بالصبر.

إن ذلك يستدعي حفظ الدين، فالله تعالى أراد أن يسود الإسلام، ولايحق لمسلم أن يعيش ذليلاً تحت إمرة دين آخر، ويستدعي المحافظة على النفس، فقد حرم الله قتل النفس بغير حق، وأنزل أشد العقوبة بمرتكب هذا العمل، قال تعالى: (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا) ([14]).

ويستدعي أيضاً المحافظة على المال، فالمال وديعة في أيدي العباد يستثمرها المسلم بالطرق المشروعة دون ظلم، ولاينفقها في المفاسد الخلقية، ويستدعي المحافظة على العقل، فقد أشاد القرآن الكريم بذي العقل المفكر، قال تعالى: (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَىٰ) ([15]). ويستدعي أخيرا المحافظة على الحرث والنسل والأنساب، فمن عظمة الإسلام التربوية أنه حمى الطفولة وأحاطها بحسن الاجتماع المتين، حيث جعل علاقة الأبوين على درجة من المتانة لايعتريها خلل أو شك.

وهكذا يكون الإيمان هو أساس العقائد، فالايمان أساس من أسس التربية، والإنسان يؤمن بعد أن يستقر في ذهنه ذلك تصديقاً ويقيناً، واذا قوي ايمان المرء تكون سيرته على ماصدقه، واطمأن قلبه إليه، غير أن الايمان لايكون لدى جميع الناس مصدر خير، فقد يبني الايمان لآخرين وفي بعض الأديان على أساس الوثنية والخرافات والأساطير، وهذا يستدعي وجود ضابط لكل عناصر الإيمان وتصورات المؤمن وأفكاره، أي لابد أن يكون كل ما يؤمن به الفرد حقاً وصحيحاً، فقد لجأ القرآن الكريم في دعوته إلى الايمان الى العقل، يرشده الى مايجب أن يؤمن به، فالعناصر الإيمانية الصحيحة هي التي تعتمد على برهان عقلي صحيح.

ولابد للإيمان من أركان، وهي في نظر الإسلام كل لايتجزأ، وكل من كفر بواحد منها أو بجزئية من لوازمها فقد حبط عمله، ولايقبل منه إيمانه بباقي الأركان.

ونرى من ذلك أن أركان الإيمان سلسلة لاينفك بعضها عن بعض، فالإيمان بالله هو الركن الأساسي الأول، وقد أخطأ من اعتقد أن مجرد السليم أو الاعتقاد بوجود الله، وبكونه خالقاً لهذا الكون، أن عقيدته كافية وتنجيه من عذاب الله، لأن الإيمان الصحيح بالله تعالى يجب أن يشتمل:

أولاً: معرفة معنى الإله

ثانياً: إثبات معنى الإلوهية لله عز وجل

ثالثاً: نفي معنى الإلوهية عن كل كائن سوى الله

لقد تصورت معظم الأديان عدا الإسلام الإلوهية تصوراً خاطئاً أو ناقصاً أو ملوثاً بالتشبيه والتجسيد والتناسل، اما بالإسلام دستوره القرآن فقد صحح هذه التصورات الخاطئة.

فخلاصة ما جاء بالقرآن الكريم عن معنى الإلوهية أنه لايجوز أن يكون الإله إلاّ من يكون صمداً، حياً قيوماً، لم يلد ولم يولد، ويكون من الأزل، فليس قبله شيء، ويبقى الى الأبد، فليس بعده شيء، ويكون علمه محيطاً بكل شيء، ورحمته وسعت كل شيء، وقوته غالبة على كل شيء، كما يكون منزهاً عن أي نقص في حكمته أو عيب في عدالته، ويكون قادراً، مشرعاً، حاكماً على الإطلاق، واهباً للحياة، ومهيئاً لأسبابها ووسائلها مالكاً لكل قوة من قوى النفع أو الضرر، ويكون كل من سواه محتاجاً لعطائه، فقيراً الى حفظه ورعايته، كما يكون إليه مرجع كل مخلوق، ويكون هو المحاسب والمجازي لكل من سواه.

وهكذا تنظيم عقيدة التوحيد حياة الإنسان النفسية، وتوحد نوازعه وتفكيره وأهدافه، وتجعل كل عواطفه وسلوكه وعادته قوى متضافرة متعاونة ترمي كلها إلى تحقيق هدف واحد هو الخضوع لله وحده، فعقيدة التوحيد والإيمان بالله تربي عقل الإنسان على سعة النظر وحب الإطلاع على أسرار الكون، والطموح إلى معرفة ما وراء الحس، وتربي عند الإنسان التواضع، وعدم التطرف أو الغرور، وهنا يبتعد الإنسان عن التعلل بالآمال الكاذبة، فلا تنفع عند الله شفاعة الشافعين، إلا لمن يأذن الله ويرضى، وما من أحد يفيده تقربه من الله إلا عن طريق العمل الصالح، فليس لله قرابة رحم، ولا صلة أبوية، ولا صحبته سابقة لأحد من العالمين، فالكل عباد الله والكل محاسبون مجزيون بأعمالهم، إن خير فخير، وأن شر فشر.

وهناك ركن آخر مهم من أركان الإيمان وهو الإيمان بالملائكة، فإذا تدبرنا الآيات التي ذكرت فيها الملائكة يمكن أن نقول: إن الملائكة كائنات خلقها الله، وسخرها لأعمال ومهمات معينة، ولعل من

أشرف هذه الوظائف النزول بالوحي على الأنبياء، وهم أيضاً ليست لهم بالله أية صلة، من حيث القربى والنسب، فقد أمر الله سبحانه أن يسجدوا لآدم عندما خلقه اعترافاً بفضل الله وإبداعه فيما خلق، ويميزه الإنسان على الملائكة، وهكذا لايجوز لإنسان أن يعبد ملكاً.

ومن أركان الإيمان الأخرى هو الإيمان بكتب الله المنزلة، فالكتاب المنزل يحتوي على شريعة الله وأوامره وكلامه وهديه الذي ينير للبشر سبل الحياة، ويحدد لهم ما كلفهم الله به من حرام وحلال وأوامره نواه عبادات ونسك .. وغير ذلك، ومن أركان الإيمان أيضا الإيمان بالرسل، فالرسول هو القدوة والمربي الأول لجيل مثالي، يكون من بعده من أجيال البشرية تبعاً له، وفي الإسلام يمكن اقتباس العملية للتربية الإسلامية من حياة الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم).

ومن أركان الإيمان، الإيمان باليوم الآخر، فالنتيجة الطبيعية لنظرة الإسلام الى الكون والحياة هي الإيمان بالحياة الآخرة، فالدنيا مرحلة مؤقتة، ولم يخلق الله سبحانه الكون عبثاً، وقد خلقه إلى أجل مكتوب عنده، وتقوم النتائج التربوية للإيمان باليوم الآخر على أساس تربية الشعور الحقيقي بالمسؤولية، وتحقيق الأخلاق الفاضلة المطلقة، والتحكم بجميع الدوافع والغرائز، وإيثار الآخرة على الدنيا، والصبر على الشدائد، وتربية العقل على الفطرة السليمة،

أما الركن الأخير من الإيمان فهو الإيمان بالقدر خيره وشره، وهذا الإيمان من لوازم الإيمان بالله، لأن الله هو الذي قدر كل ماسيقع في الكون والمجتمع الإنساني، وقد جعل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الإيمان بالقدر ركناً مستقلاً، وجانباً مهماً في حياة الإنسان وتربيته، إذ أن من آثاره التربوية العزم والقضاء على التردد، وعدم الندم والحسرة على مافات، والجرأة أمام الموت، والتفاؤل والرضا، وبالنتيجة فإن المؤمن يتربى على التعقل، وعدم تعليل الأمور بحسب هواه ومصلحته، بل يجب عليه أن يدرك أن الكل ظاهرة كونية فوائد ومضاراً فيطلب الفوائد ويبتعد عن المضار.

مصادر التربية الإسلامية

إن التربية الإسلامية هي التنظيم النفسي والاجتماعي الذي يؤدي إلى اعتناق الإسلام وتطبيقه،، وبهذا المعنى لا بد من تهيئة النفس الإنسانية لحمل هذه الأمانة، ومن هذا المنطلق تكون مصادر الإسلام هي نفسها مصادر التربية الإسلامية، ولعل أهم مصدرين في التربية هما القرآن الكريم والسنة النبوية.

فالقرآن الكريم يتقدم على سائر المصادر الأخرى، فهو الكلام المعجز المنزل على النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، المكتوب في المصاحف، المنقول عنه بالتواتر المتعبد بتلاوته، فقد ترك القرآن الكريم أثراً لا شك فيه في تربية نفس الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم)، ونفس صحابته رضي الله عنهم، فقد ذكر عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) بأنه (كان خلقه القرآن).

وقد سمي القرآن بذلك إشارة إلى حفظه في الصدور، وقد امتاز عن سائر الكتب السماوية بأمور عديدة منها أن القرآن الكريم يخاطب البشرية جمعاء، وأنه وصل إلينا سالماً خالياً من التحريف، وأنه ينظم مظاهر الحياة الإنسانية جميعها، وأنه جاء ناسخاً لما سبقه من كتب سماوية، فهو صالح للأزمنة كافة، لأنه في غاية الكمال.

إن القرآن هو المصدر الأساسي الأول للتربية الإسلامية، وهذا يستدعي أن تتحول آياته إلى سلوك واقعي، لا أن نقرأه فقط، أو ندرسه على أساس ترف عقلي أو رياضة فكرية، بمعنى أن التطبيق العملي لما جاء في الآيات القرآنية هو ماتهدف اليه التربية الإسلامية، واستناداً إلى ذلك يكون القرآن هو الذي حفظ ويحفظ للأمة الإسلامية وحدتها الفكرية والثقافية.

إن القرآن الكريم بعد ذلك يحدد الهدف الأسمى للإنسان الذي فضله الله على سائر مخلوقاته، ويحدد تحديداً واضحاً علاقة الانسان بالكون، ويرشد الإنسان إلى الطريقة المثلى التي يكتسب بها المعرفة، قال تعالى (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿190﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿191﴾) ([16]).

إن الله سبحانه وتعالى يحثنا على التفكر بقدرته، فنسبحه ونستغفره، ويحثنا على أن نبدأ بالعمل والمعرفة بالنظر فيما يحيط بنا في عالم الشهادة، ثم يطالبنا بالانتقال إلى عالم الغيب والإيمان به سبحانه.

إن التربية التي تهتم بتنشئة الإنسان تحتاج إلى مجموعة من المبادئ التي تحدد لها الأهداف والوسائل، وهذه المبادئ موجودة في القرآن الكريم، وإن الطريقة الفريدة التي جمع بها القرآن الكريم تزود التربويين بمنهجية في البحث تقوم على أسس منها: حسن الاختيار، وتحمل المسؤولية، وتتبع المعلومات من مصادرها الأساسية والتثبت من صحة المصادر.

بقي أن نذكر أن للقرآن الكريم أسلوباً رائعاً ومزايا فريدة في تربية المرء على الإيمان بوحدانية الله وباليوم الآخر، فالقرآن الكريم يفرض الإقناع العقلي مقترناً بإثارة العواطف والانفعالات الإنسانية، فهو بذلك يربي العقل والعاطفة متمشياً مع نظرة الإنسان في البساطة، وعدم التكلف وكرق باب

العقل مع القلب مباشرة، وإن القرآن يبدأ بالمحسوس المشهود المسلم به، ثم ينتقل الى استلزام وجود الله وعظمته وقدرته وسائر صفات الكمال، مع اتخاذ أسلوب الاستفهام، إما للتقريع، وإما للتنبيه، وإما للتحبيب، مما يثير في النفس الانفعالات الربانية كالخضوع والشكر ومحبة الله والخشوع له.

لقد بلغت التربية القرآنية ذروتها في توحيد النفس، واستنفاذ طاقتها لخير الإنسانية، ولعل أوضح مثال على هذا الأسلوب التربوي القرآني ما جاء في سورة الرحمن، إذ يذكرنا الله جل جلاله بنعمه، ودلائل قدرته الى ماسخر الله من شمس وقمر ونجم وشجر وفاكهة وثمر.

فقد تكرر الاستفهام مثلاً (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) ([17]) إحدى وثلاثين مرة، وفي كل مرة يثير انفعالاً يختلف بحسب الآية التي تسبقه.

أما المصدر الثاني من مصادر التربية الإسلامية فهو السنة المطهرة، ونعني بها ما صدر عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) من قول أو فعل أو تقرير، وإن لهذه السنة النبوية مكانة مهمة في التشريع الإسلامي فهي حقيقة أقرها القرآن الكريم في آيات عديدة، منها قوله سبحانه وتعالى: (مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ۖ) ([18])، وقوله تعالى:(وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ۚ)([19]).

لقد جاءت السنة النبوية لتحقيق هدفين:

أولهما: إيضاح ماجاء في القرآن

ثانيهما: بيان تشريعات وآداب أخرى.

فالهدف الأول يعني توضيح المعنى المجمل الذي ورد في بعض الآيات، وتفسير بعض المفردات القرآنية مما يساعد على فهم كتاب الله، أما الهدف الآخر فيمثل التطبيق العملي للمبادئ السامية التي جاء بها الوحي، وهذا يعني تحويل المفاهيم المجردة التي يصعب إدراكها إلى واقع ملموس تدركه الحواس.

إن الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان أباً، وكان سياسياً، وكان قائداً عسكرياً، فقد استوعبت صفاته كل جوانب الحياة، بل إن سيرته في كل جانب من جوانب الحياة استوعبت سائر المواقف المتعلقة في ذلك الجانب.

وهكذا يجد الباحث في شخصية الرسول (صلى الله عليه وسلم) مربياً عظيماً، ذا أسلوب تربوي فذ، يراعي حاجات الطفولة وطبيعتها، ويأمر بمخاطبة الناس على قدر عقولهم، ويراعي مواهب الناس واستعداداتهم وطبائعهم، ويراعي في المرأة أنوثتها وفي الرجل رجولته، وفي الكهل كهولته، وفي الطفل طفولته.

جاء في كتابه العزيز (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاء مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) ([20]).

فهذه المخلوقات غير منعزلة عن التربية الاسلامية لأن إدراك حقيقة وجودها جزء لايتجزأ من هذه التربية، وهي تدل دلالة واضحة على وجود الله ووحدانيته، يزاد على ذلك أن الإسلام يعد الكون مسخراً للإنسان، ولهذا السبب لم تعد هذه المخلوقات مقدسة مثلما اعتقدت بعض الحضارات، وما

دام الأمر كذلك فإن المناهج في التربية الإسلامية تحرص على توجيه الأفراد الى شكر الله الذي أودع في الكون جميع مايحتاج إليه الإنسان في حياته.

إن نظرة الإسلام إلى الكون تعمل على إيجاد الثقة في نفس الإنسان المسلم، وتبعد عنه الخوف والقلق، فالله سبحانه وتعالى أوجد سنناً تحكم هذا الكون، والإيمان بوجود إله خلق كل شيء بقدر، وأحسن خلقه، يبعد المرء عن الاعتقاد بعشوائية الأحداث الكونية، ومن هنا يجب ألا ننظر إلى الطبيعة على أنها سيد أو عدو، بل هي مخلوق مسخر لخدمة الإنسان إذا ما أحسن التعامل معها.

أما المصدر الرابع من مصادر التربية الإسلامية فهي نفس الإنسان ذاته، وهي تشمل جميع الصفات التي خص بها الإنسان، وجعلته كائناً متفرداً عما سواه، والواقع أن أفراد البشر ليسوا في جوهرهم حيوانات على درجة عالية من التعقيد، كما تذهب إليه الاتجاهات المادية الحديثة، فهذه النظرة ترتكب خطيئة كبرى بحق الإنسان، وإنما يجب اعتبار الإنسان آية من آيات الله تهتم بالخصائص التي تمتاز بها الطبيعة الإنسانية.

ومن أهم هذه الخصائص أن الإنسان مفطور على الخير، وعنصر الخير أساساً موجود في النفس الإنسانية، وهذه النظرة إلى الإنسان تختلف عن النظريات الأخرى التي تعد الإنسان محاطاً بالخطيئة منذ قدومه الى هذا العالم، فالنظرة الإيجابية للإنسان تجعل السلوك الإنساني يصدر من منابع صافية خالية من العقد والشوائب.

إن حكمة الله اقتضت وجود حاجات أساسية لا بد من إشباعها، ووجودها لايعد دليلاً على كون الشر جزءاً أصيلاً في النفس الإنسانية، ولكن الطريقة التي تشبع به تلك الغرائز هي التي تجعل الإنسان مسايراً للفطرة أو مخالفاً لها.

ومن الخصائص الأخرى للإنسان هي أنه خليفة والكون مسخر له، والخليفة الذي يعمر الأرض على وفق أوامر الله له إرادة تميزه عن غيره، وحرية الإرادة هي التي جعلته مؤهلاً لتحمل المسؤولية، وعليه فإن الإنسان في التصور الإسلامي هو محور الأحداث التاريخية، ومن هنا تكون الحرية في الإسلام مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالعبودية لله وحده.

ومن الخصائص الأخرى التي تميز الإنسان هو أن الله سبحانه وتعالى منح الإنسان العقل، وأعلى من شأن أولى الألباب، فالعقل هو القوة التي تمكن الانسان من فهم الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ومن دون العقل يصبح التعلم واكتساب المعرفة أمراً غير ممكن.

إن العقل يتفاعل مع الآيات الكونية والآيات النفسية بوجود عدة أمور منها أن المخلوقات تتباين فيما بينها، والإنسان يختلف بطبيعته عن الكون الذي يحيط به، وإن الإنسان المسلم مطالب بمعرفة الواقع كما هو بلا تزييف ومبالغة، وأن المسلم يتساوى مع غير المسلم في النظر فيما يحيط به من مخلوقات، كما أن الحقائق العلمية المتعلقة بالأشياء والكائنات الحية واحدة لاتتغير.

مفهوم التدريس

إن التدريس هو عملية التفاعل بين المعلم وطلابه، وهو يعني أيضاً الإداءات التي يؤديها المعلم أثناء عملية التعليم والتعلم لإحداث التعليم المباشر في أداء الطلبة لتعديل مسار التعليم وتيسيره، فهو إذن يشمل تزويد الطالب بالمعلومات التي يمكن أن تؤثر في شخصيته تأثيراً عملياً.

وينظر (ستيفن كوري) إلى التدريس على أنه عملية متعمدة لتشكيل بيئة الفرد، بصورة تمكنه من أن يتعلم أداء سلوك محدد، أو الاشتراك في سلوك معين، ويكون ذلك تحت شروط موضوعه مسبقاً.

إن عملية التدريس تستند إلى مجموعة من الخبرات الحيوية، تستند هي الأخرى في نموها ونضجها إلى أصول معينة، وأسس محددة، ومقومات واضحة، والتدريس بهذا المعنى ليس عملاً ارتجالياً يؤدي إلى أية صورة دون ارتباط بقاعدة أو نظام، وهو أيضاً يستمد أهميته من وصفه مهنة من المهن المرتبطة بالارشاد والتوجيه، والمعلم من خلال عملية التدريس يكشف لطلابه طرائق الحياة، ومن هنا استمد التدريس أهميته، إذ تتجلى هذه الأهمية فيما يأتي:

1. إيضاح ما غمض من المعلومات من خلال المناقشات والمحاورات التي تجري بين المعلم وطلابه.

2. تفصيل ما جاء مجملاً في المناهج المقررة الذي لا يمكن للطلبة معرفة تفاصيله، إلا من خلال مايؤديه المعلم من مناقشات هادفة يقودها ويديرها ويوجهها.

3. يمتد التدريس الى التربية الخلقية والنفسية، إذ أن التدريس يستند إلى علم النفس، وعلوم التربية.

إن التدريس بعد ذلك لون من ألوان الخبرات الحيوية، وقد وصف بأنه خبرة حيوية ليأخذ تعرف الخبرة، والخبرة هنا حيوية، بمعنى أن التدريس يشبه الكائن الحي في نموه وتطوره، وخضوعه إلى ما تخضع له الكائنات الحية في نموها وتطورها، وقيل أيضاً إن التدريس عملية تفاعل فكري بين المعلم وطلابه، أي أن التدريس قائم على التفاعل وبالدرجة الأولى تفاعل الأفكار، لأن المعلم يحمل فكراً أو أفكاراً يطرحها للمتعلم، والمتعلم بدوره يحمل أفكاراً، وهنا تحدث بالضبط عملية التفاعل الفكري.

لقد أطلق على التدريس مصطلح (فن التدريس) لأنه أقرب الى الفن منه إلى العلم، فإذا كان العلم مجموعة من الحقائق توصل إليها العقل البشري بالتجريب، فإن الفن مجموعة من المهارات، ولذا نقول مهارة التدريس أو التعليم، ولم نقل (علم التدريس)، على الرغم من أن هناك تداخلاً كبيراً بين العلم والفن.

واستناداً إلى ذلك نقول أن المقومات الأساسية للتدريس إنما هي تلك المهارة التي تبدو في موقف المعلم، وقدرته على الاتصال بطلابه، وكيفية حديثه معهم، وقدرته على التصرف في إجاباتهم، وبراعته في استمالتهم، ومقدرته على النفاذ الى قلوبهم.

ولما كان فن التدريس هو هذه المهارة التي يمتلكها المعلم للتعامل مع عقول ومشاعر وأحاسيس الطلاب، فإنه أصبح أقرب إلى علم النفس من أي علم آخر، فإذا قلنا (علمنا محمداً التربية الإسلامية)، فهذا يعني أنني يجب أن أكون ملماً بمحمد الإنسان، وهذا من اختصاص علم النفس، وملماً بالتربية الإسلامية، وهي مجال تخصصي الذي يُفترض أن أكون ملماً به إلماماً تاماً.

إن فن التدريس يستند الى مقومين أساسيين هما:

- الفطرة والموهبة

- التعليم والصناعة

فالذي لديه قدرة على قول الشعر، يعني أن لديه موهبة، وهذا يمثل الفطرة، ولكن هذه الشاعرية لاتكتمل إلا بما يسمى بالوسائل الصناعية، ومعنى هذا أن فن التدريس قائم على مقومي الطبع والصناعة.

إن التدريس يأخذ اتجاهين واضحين ولكل منهما أسسه الفلسفية والاجتماعية والنفسية، وهذان الاتجاهين هما الاتجاه التقليدي الذي يقوم على تلقين الطلبة بالمعلومات والمعارف، ويكون موقف المتعلم فيه سلبياً، والاتجاه الحديث الذي تغيرت النظرة فيه الى تنمية شخصية المتعلم ونشاطه داخل الجماعة، والعمل على تكيفه مع ما يحيط به تكيفاً سليماً، مما أدى إلى أن يصبح التدريس عملية توجيه وإرشاد لا عملية تلقين وحفظ.

إنّ للتدريس نظريات التي ترتبط من الناحية التاريخية للنظريات التعليم، ونظريات التدريس مجموعة من العبارات تقوم على أسس البحث العلمي التي يسمح للمعلم بالتنبئ بتأثير تغيرات معينة في البيئة التربوية على تعلم الطلبة، أو هي مجموعة المبارك المتكاملة التي تصف موجهات للترتيب الظروف لانجاز الأهداف التربوية.

لقد اشتهر من بين نظريات التدريس نظرية كل من (برونر، وأوزبل، وجانيه)، وتقوم نظرية برونر على أن التدريس يتضمن أربعة مبادئ هي:

1) الاستعداد القبلي للتعلم.

2) بنية المعرفة وشكلها.

3) التتابع.

4) شكل المعززات وتقديمها.

أما الاستعداد القبلي للتعلم فيتطلب تشخيص العوامل التي تشجع المتعلم ليكون راغباً وقادراً ومستعداً للتعلم، وهنا يجب التركيز على عملية التنشيط، وعملية المحافظة، وعملية التوجيه.

فالمتعلم يجب تنشيطه ودفعه للاستمرار في العمل والمحافظة عليه، وتوجيه الوجهة الصحيحة، وتقوم بنية المعرفة وشكلها على أساس تنظيم بنية المعرفة، وتنظيم الفرد للمعلومات، مما يؤدي الى سهولة اكتساب المتعلم للمعرفة.

ويأخذ مبدأ التتابع بيد المتعلم عبر تتابع معين لعبارات ومشكلات ومعرفة معروضة، ويكون التتابع تطورياً يسير من السلوك المحسوس إلى السلوك المجرد، أي السير عبر النمط العملي، والعلاقات

البيانية، والعبارات العددية واللفظية.

أما المبدأ الآخر المعتمد على شكل المعززات وتقديمها فيعني تحديد طبيعة تقديم المكافآت ومعدلها وتوقيتها، مع الانتقال من المكافآت الخارجية إلى المكافآت الداخلية، وهنا يمكن أن يعدل المتعلم مساره بنفسه من دون تدخل المعلم.

أما نظرية (أوزبل) فتقوم على أربع عمليات هي:

1) التعلم الاستقبالي ذو المعنى.

2) التعلم الاستقبالي الاستظهاري.

3) التعلم الاستكشافي ذو المعنى.

4) التعلم الاستكشافي الاستظهاري.

إن التعلم الاستقبالي ذا المعنى يرتبط ارتباطاً قوياً بالخبرة السابقة لدى المتعلم، أي أن المادة تصبح ذات معنى عندما تستند إلى خبرة سابقة، وتأتي مرحلة التعلم الاستقبالي الاستظهاري بعد أن تصحيح المادة ذات معنى، بحيث يمكن استظهارها بعد استيعابها.

أما التعلم الاستكشافي ذو المعنى ففيه لاتعطي المعلومات الرئيسية للمادة، بل يسمح للمتعلم بأن يستكشفها بنفسه، وعندئذ يكون الاستكشاف ذا معنى ويرتبط بهذه الخطوة الخيرة، إذ يمكن للمتعلم أن يستظهر ما استكشفه بنفسه.

أما جانيه فقط صنف أنماط التعلم بحسب الترتيب الهرمي إلى ثمانية أنماط، هي:

النمط الأول: التعلم الإرشادي:

وفيه يكتسب المتعلم استجابة شرطية لمثير شرطي، ويكون التعلم هنا لا إرادياً، مثل سحب الطفل يده عند تعرضها لمصدر حراري.

النمط الثاني: المثير والاستجابة:

وفيه يكتسب المتعلم استجابة دقيقة لمثير معين، مثل تشجيع المعلم للطالب مرة بعد أخرى عندما يقترب من تعلم لفظ الكلمات والجمل بشكل صحيح.

النمط الثالث: التسلسل الحركي:

ويتضمن مجموعة الأنشطة المتتابعة، مثل تعلم الكتابة، والطباعة، والعزف على آلة موسيقية.

النمط الرابع: التلازم اللفظي:

وهذا النمط يشبه النمط السابق إلا أن المثير والاستجابة يكونان ذا صفة لفظية، مثال ذلك تعلم الكلمات الجديدة باللغة الإنجليزية أو الفرنسية، أو غيرها.

النمط الخامس: التعلم المتمايز:

وفيه يستطيع المتعلم أن يؤدي استجابات متنوعة لمثيرات متباينة، ومثال ذلك على قدرة المتعلم على تمييز فصيلة معينة من الحيوانات عن فصيلة أخرى، أو تمييز رتبة معينة من النباتات عن

رتبة أخرى.

النمط السادس: تعلم المفاهيم:

وهو عمل مكمل لتعلم النمط السابق، ويتطلب هذا النمط استجابة عامة لمجموعة مثيرات متباينة، مثال ذلك تعلم مفاهيم معينة مثل قليل وكثير، كبير وصغير، القوة والتأثير.. وغير ذلك.

النمط السابع: تعلم القاعدة:

أي تعلم القاعدة المتعلقة بتعلم المفاهيم، وهنا يجب إعطاء المتعلم معلومات عن طبيعة التعلم، ومساعدته على تشخيص المفاهيم الأساسية، وإعطاؤه توجيهات لفظية تسهل تشكيل سلسلة من المفاهيم، وأسئلة تشجعه على إثبات القاعدة، مثال ذلك تعلم كيفية إيجاد الأشكال الهندسية كالمستطيل والمربع، وغير ذلك.

النمط الثامن: حل المشكلة:

ويتطلب هذا النمط من المتعلم أن يعرف عدد المفاهيم والقواعد الخاصة بتحديد المشكلة والوصول إلى حلها، وهنا يتطلب الأمر عمليات معرفية داخلية بدرجة أكبر من الأنماط السابقة، مثال ذلك مايبذله المتعلم من جهد لحل مسائل معقدة في الجبر.

طرائق التدريس

إن مصطلح طريقة التدريس في المؤسسات التربوية، وفي ميادين التربية والتعليم يستخدم بشكل واسع، لكنه في الوقت نفسه قد لايشير إلى معنى محدد في ذهن من يستخدمه، فالمعنى عادة يقترن بخبرة الشخص الذي يستخدم هذا المصطلح والموقف الذي هو فيه، والمهمة التي يقصدها.

إن الطريقة بمعناها الضيق تكون عبارة عن خطوات محددة يتبعها المعلم لتحفيظ المتعلمين أكبر قدر ممكن من المادة العلمية الدراسية، وهنا تكون الطريقة وسيلة لوضع الخطط وتنفيذها في مواقف الحياة الطبيعية، بحيث يكون الصف الدراسي جزءاً من الحياة ويجري في سياقها، وينمو الطالب فيه بتوجيه من المعلم وإرشاده، وهكذا فإن الطريقة ترتيب الظروف الخارجية للتعلم وتنظيمها، واستخدام الأساليب التعليمية الملائمة لهذا الترتيب والتنظيم، بحيث يؤدي ذلك الى الاتصال الجيد مع المتعلمين لتمكينهم من التعلم.

وقيل عن الطريقة أيضاً بأنها الأسلوب المتسلسل المنظم الذي يمارسه المتعلم لأداء عملية التعليم، ولتحقيق الغرض المطلوب منها في إيصال المادة أو المعلومات إلى المتعلم، ويمكن أن تعني أيضاً الكيفيات التي تحقق التأثير في المتعلم، بحيث يؤدي الى التعلم والنمو.

إن طريقة التدريس بعد ذلك هي عملية يؤديها المعلم بهدف تغيير سلوك المتعلم وتكيفه ومساعدته على التكامل، وهي تعني أيضاً اعتماد استراتيجية معينة باتخاذ موقف تعليمي معين ضمن مادة دراسية معينة.

إن طريقة التدريس هي الأداة أو الوسيلة الناقلة للعلم والمعرفة والمهارة، وهي كلما كانت ملائمة للموقف التعليمي، ومنسجمة مع عمر المتعلم وذكائه وقابلياته وميوله وكانت الأهداف التعليمية المتحققة بها أوسع عمقاً وأكثر فائدة، إن نجاح التعليم يرتبط الى حد كبير بنجاح الطريقة، وتستطيع الطريقة، وتستطيع الطريقة الجيدة أن تعالج الكثير من ضعف المنهج، وضعف المتعلم وصعوبة الكتاب المدرسي، وإذا كان المدرسون يتفاوتون بمادتهم وشخصياتهم فإن هذا التفاوت من حيث الطريقة يكون أبعد أثراً، ومن هنا يتبين أن أركان عملية التدريس تشكل حلقة لايمكن أن تكتمل إلا بتضامن هذه الأركان واكتمالها، فهناك معلم ناجح يؤدي طريقة تدريس ناجحة في عملية تدريس ناجحة ومفيدة لتعليم مادة دراسية.

وتجدر الاشارة إلى أن طريقة التدريس تتأثر بمجموعة من العوامل التي تؤدي بالمتعلم إما إلى النجاح، وإما إلى الفشل، ومن هذه العوامل:

- تدريب المعلم.

- نصاب دروسه الأسبوعي.

- دافعيته نحو مهنته.

- شخصيته.

- يؤثر في سير التدريس أيضاً ميل الطالب إلى التعلم، إذ كلما كان الطلاب متشوقين للتعلم سهل ذلك على المعلم القيام بواجبه خير قيام.

لقد ظهرت في ميدان التعلم طرائق كثيرة، منها:

1. الطريقة الحسية: وهي من اسمها تقوم على المحسوسات وتصلح للمرحلة الابتدائية الأولى.
2. طريقة النشاط: التي يظهر فيها نشاط المعلم والمتعلم.
3. الطريقة الوظيفية (المشروع): وتقوم على مشروع يختاره الطالب بحسب ميوله وحاجاته.
4. الطريقة الإلقائية: التي يلقي فيه المعلم مادته على الطلاب.
5. الطريقة الاستقرائية: القائمة على النمط العقلي، وترتب فيها الخطوات ترتيباً منطقياً، وسميت بالخطوات المنطقية الخمس وهي: (التمهيد، والعرض، والربط والموازنة، والقاعدة، والتطبيق).
6. الطريقة القياسية (الاستدلالية): القائمة على منطق ارسطوا، وهي عكس الطريقة الاستقرائية، إذ إنها تبدأ بالقوانين والتعميمات، ثم تحليل هذه القوانين أو القواعد للوصول الى أجزاء الموضوع.
7. الطريقة التوليفية: القائمة على التوليف بين الطريقتين الاستقرائية والقياسية.
8. الطريقة الحوارية (الجدلية): المستندة الى فلسفة سقراط الذي كان يولد المعرف بالحوار والنقاش بينه وبين طلابه.

إن على المعلم بعد ذلك كله أن يعرف أن لكل طريقة من هذه الطرائق محاسنها ومآخذها، وأنه لاتوجد طريقة مثالية تماماً، وأنه لاتوجد طريقة تدريس واحدة تناسب الأهداف المراد تحقيقها جميعاً، ويجب على المعلم أيضاً أن يعرف أن أهم شيء في عملية التدريس هو التركيز على الطالب.

وعلى المعلم أخيراً أن يعرف أنه ر في استخدام الطرائق والأساليب التي تناسب طلابه، مثلما تناسب مادته وموضوعه، والموقف التعليمي.

استراتيجيات التدريس

إن تعبير الإستراتيجية في الميدان التربوي مصطلح حديث نسبياً، فقد استخدمه الكثير من العلوم والتخصصات الأخرى قبل استخدامه في الميدان التربوي، وأن الإستيراتيجية تعبير عن منطق أو أسلوب جديد ذي أدوات جديدة في التفكير اصطنعته علوم جديدة.

لقد ظهرت مجموعة من المفردات والمصطلحات التي تعبر عن منهج أو منطق في التفكير قوامه التحليل الدقيق من أبعاد مختلفة، والتسلسل من العام الى الخاص، والتحرك العقلاني من النظرية إلى التطبيق، والانتقال الوظيفي من الحاضر الى المستقبل على أدق وأفضل الأحكام وأدوات الأفعال.

وهكذا فإن لفظة استراتيجية تأتي في باب الوسائل التي تقابل مفهوم المقاصد والغايات في السلوك والأفعال الاجتماعية، مثلما هو في سلوك الأفعال الفردية، فكل سلوك أو فعل اجتماعي له في النتيجة قصد أو غاية تعبر عن حاجة أساسية، وعند التحليل الدقيق المتسلسل لكل فعل (من العام الى الخاص) ينبغي أن ننظر فيه أولاً الى البيئة المتوقعة التي تتضمن عناصر الموقف وتناقضاته وعلاقاته على وفق تسلسل زمني، ومن هذا الموقف يكون الانتقال الى العرض العام الذي يشتق مضمونه من خصائص الموقف نفسه، ومن الغرض العام يكون الانتقال الى هدف أو أهداف أكثر تحديداً، ثم الانتقال إلى مهام أو فروض تشكل مجموعة نشاطات تعبر عن برنامج أو جزء من برنامج.

إن الاستراتيجية بعد ذلك تعني خط السير للوصول الى الهدف، أو هي الإطار الموجه لأساليب العمل، والدليل الذي يرشد حركته، وتعني أيضاً فن استخدام الوسائل لتحقيق الأهداف.

وعلى هذا الأساس تكون استراتيجية التدريس مجموعة الأمور الارشادية التي تحدد وتوجه مسار عمل المعلم، وخط سيره في الدرس، لأن التدريس بطبيعته عملية معقدة تتداخل وتترابط عناصرها في خطوات متتابعة، إذن إستراتيجية التدريس تتكون من الأهداف التعليمية والتحركات التي يؤديها المعلم وينظمها ليسير على وفقها، فهي تتضمن الأسئلة والمواقف، والأمثلة والتمرينات، والمسائل، والوسائل المؤدية الى الأهداف، وتتضمن أيضاً التنظيم الصفي، واستجابات الطلبة، والتخطيط... وما إلى ذلك.

لقد وجد التربويون أن الإستراتيجيات القبلية تؤدي دوراً مهماً في إنجاح عملية التدريس، وإثارة دافعية المتعلمين نحو التعلم، وأشار الأدب التربوي إلى خمس إستراتيجيات قبلية، هي:

1) الأهداف السلوكية.

2) المنظمات المتقدمة.

3) الاختبارات القبلية.

4) الملخصات العامة.

5) الأسئلة التحضيرية.

إن هذه الاستراتيجيات يمكن أن تحقق جانباً من مساعي النهوض بتدريس مادة التربية الإسلامية، لكونها أحد الأنماط المستحدثة في التدريس.

أما إستراتيجية الأهداف السلوكية فتهتم بكتابة الأهداف بإيجاز ووضوح، وتعريف المتعلمين بها بوصفها عاملاً مساعداً في زيادة التعلم، وتصاغ هذه الأهداف بعبارات موجزة قصيرة قابلة للملاحظة والقياس، وتبين ما يتوقع أن يقوم به المتعلم بعد الانتهاء من دراسته لموضوع معين أو وحدة دراسية معينة، وتتميز الأهداف السلوكية بإمكانية تحقيقها خلال مدة قصيرة، فضلاً عن كونها تؤكد أداء المتعلم لا أداء المعلم، وعليه فإن هذه الإستراتيجية تتناغم مع الفلسفة التربوية الحديثة التي تؤكد دور المتعلم في العملية التعليمية.

إن تحديد هذه الأهداف السلوكية لازم لممارسة أي نشاط إنساني، فالهدف الذي يؤمن به الإنسان يخلق فيه الدافع، ويوجه جهوده، ويساعد على اختيار الوسائل المناسبة لتحقيقه، وفي ضوئها يمكن تقرير مدى النجاح الذي تحققه العملية التعليمية.

فالأهداف السلوكية تكثف جهود المعلم والمتعلم نحو تحقيق الأهداف المقصودة، كما أن الهداف السلوكية تؤدي الى بعث الرضا والاطمئنان في نفوس الطلبة، وتقلل من قلقهم وتوترهم أثناء الامتحان، وتساعدهم على فهم الواجبات التعليمية المطلوبة، وبهذا فهي تشجعهم على النجاح والتقدم والاهتمام بالمادة الدراسية.

لقد أجريت دراسات كثيرة حول الأهداف السلوكية، وأثر هذه الأهداف في التحصيل الدراسي وزيادة الاحتفاظ بالمعلومات، وقد توصلت هذه الدراسات الى نتائج إيجابية في هذا المجال. بها موضوع الدرس الجديد الذي سيرشحه في الحصة التالية، ويملي المعلم على طلابه هذه الأسئلة، ويطلب منهم الاجابة عنها تحريرياً في البيت، معتمدين في الإجابة عنها على الموضوع المطلوب تحضيره، واستخدام هذه الأسئلة يثير نشاط الطلبة، ويربطهم بحقائق الدرس، ويجعلهم فاعلين غير منفعلين، إذ يجعلهم ذلك كله عنصراً فعالاً في الاشتراك في الدرس، وكشف حقائقه وتوضيحها.

إن لأسئلة التحضير القبلية فوائد تربوية منها، إثارة تفكير الطلبة، وحثهم على الاستزادة من المعرفة، وإثارة انتباههم نحو المادة، وتحقق المعلم من مستوى تحضير كل طالب، والتغلب على أسباب الفشل لدى الطلبة، وقدرة الطلبة على الاشتراك بالمناقشة.

أما إستراتيجية التدريس الأخيرة فهي إستراتيجية الملخصات العامة، وهي المسؤولة عن نقل الأفكار بدقة وسهولة، لإطلاع الطلاب على ما سوف يقومون به، إن للملخصات العامة قيمة علمية في تثبيت التعلم وتوجيهه، وفيها يتعرف الطلبة المادة الجديدة، كما يتم من خلالها تأكيد المفاهيم الرئيسة والقواعد والمصطلحات، ومعرفة التركيب العام للمادة المطلوبة.

إن الملخصات العامة مختصر بسيط يقدمه المعلم إلى طلاب يبين لهم فيه ما سوف يدرسونه في الدرس القادم، ويكون الملخص عاماً وشاملاً للعناصر البارزة والأفكار الرئيسة في الدرس بعيداً عن التفاصيل، فالملخصات العامة تؤدي دوراً مهماً في إدراك المتعلم للمعنى الكلي أو الإجمالي للدرس، من خلال الدرس المطلوب تحضيره، ويتمكن الطالب من خلال الإطلاع على هذا الملخص من إدراك التفاصيل والجزئيات والأفكار الثانوية، وربطها بالعناصر الكلية والأجزاء الرئيسة في الملخص العام الذي أعده المعلم.

إن الملخصات بعد ذلك تنشط التعلم، وتحقق التعزيز الذاتي في إدراك المعنى الكلي من خلال ربط الأجزاء بالكليات ودمجها في تصور معين ثم تخزينه في الذاكرة، وهذه الطريقة تسهم في تنمية مهارة الطالب في تلخيص الموضوع بعد قراءته، وتشجعه على إتباع المنهج في التفكير، إذ تفيد في تحديد العلاقات القائمة بين الأفكار، وتحديد النقاط البارزة، وفيها يتعلم الطالب أسلوب الاختزال والاختصار.

لقد وضع النفسيون والتربويون طرائق عديدة لتصنيف الأهداف السلوكية، ويعتبر تصنيف (بلوم) أكثر هذه التصانيف شمولاً، وقد صنف بلوم هذه الأهداف إلى ثلاثة أصناف أو مجالات رئيسة هي الأهداف المعرفية، والأهداف المهارية وسماها (النفسحركية)، والأهداف الوجدانية، وقد قسم الأهداف المعرفية الى ستة مستويات للتفكير هي (التذكر، الفهم، والتطبيق، والتحليل، والتركيب، والتقويم) وعد المستويات الثلاثة الأولى قدرات عقلية دنيا، والمستويات الثلاثة الأخيرة قدرات عقلية عليا.

أما الإستراتيجية الثانية فهي إستراتيجية المنظمات المتقدمة، وهي التي وضع أسسها (اوزبل)، وهي تقوم على البنية المعرفية المسبقة لدى المتعلم، والبناء المعرفي الذي يبني ويطور في ضوء عملية أطلق عليها اوزبل مصطلح (التضمين)، وهذا التضمين يعني ربط المعلومات الجديدة بالمعلومات والأفكار الموجودة لدى المتعلم، ودمجها في بنيته المعرفية.

ويقترح (اوزبل) أن تعرض هذه المنظومة على المتعلم في عملية التعلم، قبل الخوض في شرح أجزاء المحتوى التعليمي المراد تعلمه، والمعلومات المتعلمة مسبقاً، وهذا يؤدي بالمتعلم إلى الفهم والاستيعاب بطريقة هادفة ذات معنى.

ويؤكد (ازبل) أن التعليم المدرسي يحصل غالباً بالمادة المكتوبة والملفوظة، فكل مادة دراسية تتكون من مفاهيم ومبادئ أساسية، يمكن أن يتعلمها الطالب، لتصبح فيما بعد جزءاً من طاقته الفكرية، وعلى المعلم هنا أن يراعي شرطين:

أولهما: تقديم المادة المعرفية بشكل منظم وملائم لطاقة المتعلم الفكرية.

ثانيهما: أن تكون المادة التعليمية ومفاهيمها ذات علاقة وثيقة بحياة الطالب، ولها معنى مفيد لديه.

وهكذا يكون المنظم المتقدم الذي يقدم قبل بدء الدرس بمثابة الشاطئ الذي ترسو عليه المعلومات الجزئية الجديدة المراد تعلمها، وبمثابة الجسر الذي يربط بين المعلومات القديمة والمعلومات الحديثة.

أما إستراتيجية الاختبارات القبلية فهي إحدى الإستراتيجيات التي تركز على المتغيرات المتعلقة بالنتاجات المرتجاة التي تقيس الحقائق والمبادئ، وهذه الاختبارات لايقصد منها تحديد درجة الطالب، وإنما إثارة دافعية الطالب، وتشجيع دافعيته وتعزيزها نحو الدرس الجديد، ولذا يكتفي المعلم بتصحيح الأخطاء، وتزويد الطلبة بالاجابة دون أن يسجل الدرجات، وهنا تستخدم إشارات التعزيز المختلفة.

إن الاختبارات القبلية تغطي موضوع الدرس الذي سوف يحضره الطالب، وتكون صلتها مباشرة بالمعارف والأفكار والمعلومات والمهارات التي سيكتسبها، ومن المعروف أن كل فقرة من فقرات الاختبار تحمل هدفاً سلوكياً محدداً ولهذا يحدث الاختبار وقعاً خاصا في نفوس الطلبة، وبذا تعين

هذه الاختبارات على التذكر والتهيؤ للدرس الجديد، وهذا يجعل الطالب مستعداً متحفزاً متفاعلاً مع الموقف التعليمي.

إن لجوء المعلم الى تعريف طلابه بنتائجهم، وإشعارهم بالنجاح والتقدم يعزز مشاركتهم في عملية التعلم، ويؤدي الى إثارة دافعيتهم بشكل فعال، وهكذا تتجلى أهمية الاختبارات القبلية بتقليل قلق الامتحان لدى الطلبة، وزيادة التحصيل، والحفز على تحضير الدرس الجديد، وتعرف المتعلم على مستواه بين زملائه، وإمكانيته من تصحيح أجاباته في ضوء تصحيح المعلم للاختبارات.

أما إستراتيجية أسئلة التحضير القبلية فهي في الواقع ركيزة العملية التعليمية، لأنه لا يخلو درس تربوي منها، فالتمهيد للدرس ضرورة لإثارة دافعية المتعلمين، وتشويقهم للدرس الجديد، وهذا التمهيد لايخلو بأية حال من سؤال أو أسئلة، وكذلك العرض والتقويم.

إن السؤال أداة مهمة يستخدمها المعلم في إنجاح العملية التعليمية التعلمية، وفائدة السؤال وتأثيره يتوقف على قدرة المعلم على حسن السؤال، صياغة واختياراً وتوجيهاً، وقد قيل: التدريس فن السؤال.

والمعلم الناجح هو الذي يمتلك الكفاية والمهارة في إعداد السؤال وصياغته، وتحتاج مهارة وضع السؤال غلى معرفة موضوع الدرس معرفة تامة، وإلى الوقوف على مستوى الطلاب، وقدراتهم العقلية والتحصيلية.

إن أسئلة التحضير القبلية هي مجموعة من الأسئلة يعدها المعلم قبل الدرس، ليغطي.

الفصل الثاني

مفهوم العقيدة وخطوات تدريسها

هي الأفكار التي يؤمن بها الإنسان، ويصدر عنها في تصرفاته وسلوكه، وتطلق العقائد الإسلامية على أركان الإيمان، وما يتفرع عنها من توحيد، والبعد عن كل شبهات الشرك، وعلى الإيمان بالغيب وبالرسل والكتب والملائكة واليوم الآخر.

إن الإيمان هو أساس العقائد ولكي نفهم أهمية العقيدة، ولماذا عدت أساساً لابد من معرفة (الايمان)، فالمراد بإيمان الإنسان أنه قد استقر في ذهنه تصديقاً ويقيناً، ولا يمكن أن يتسرب إلى ذهنه شيء يخالفه، وهو لغة التصديق ويسمى شرعاً (ما وقر في القلب وصدقه العمل). فإذا قوي إيمان المرء قامت سيرته على ماصدقه واطمأن قلبه إليه فالإيمان الصحيح أساس متين لتربية ثابتة مضمونة النتائج، وبهذا يكون للإنسان المؤمن سيرة معلومة، وتتصف حياته بالنظام والإحكام والترتيب والإنسجام.

إن الإيمان لايكون دائماً مصدر خير، فربما بني الإيمان في بعض الأديان كالوثنية على الخرافات والأساطير، لذلك لابد من أن يكون كل ما يؤمن به الإنسان حقاً وصحيحاً بعيداً عن الوثنية والشرك، وقد لجأ القرآن الكريم إلى العقل يرشده الى ما يجب أن يؤمن به، أي أنه يبرهن بأسلوب عقلي حسي على صحة هذا المعتقد، واستناداً الى ذلك تكون العقيدة هي الموجه لحياة الأفراد، ومنها يحصل تناسق بين حضارات الأمة ونظمها الاجتماعية.

إن للإيمان بعد ذلك أركاناً، وهي كل لايتجزأ، وكل من كفر بواحد من هذه الأركان أو بها فقد حبط عمله، ولايقبل منه إيمانه، وعليه فإن التربية الإسلامية التي تعني بتنشئة الإنسان المسلم يجب أن تبني على أساس الإيمان بكل أركان الدين إيماناً واضحاً وصحيحاً.

إن أركان الإيمان تبدأ بالإيمان بالله، والاعتقاد المطلق بوجوده سبحانه، وبكونه خالقاً لهذا الكون، ولكن مجرد التسليم بهذا الاعتقاد غير كاف، فقد كان كفار قريش يسلمون بهذا، ومع ذلك عدهم الله جل جلاله منصرفين عن إجابة الدعوة الإسلامية، فقال سبحانه: (فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ) ([21]).

أي كيف يصرفون على الإيمان بتوحيد الله، فالإيمان الصحيح بالله تعالى يجب أن يشتمل أولاً على معرفة معنى الإله، ذلك المعنى الذي آبى المشركون أن ينسبوه إلى الله وحده، وينفوه عن معبوداتهم الأخرى، وثانياً إثبات معنى الإلوهية لله عز وجل، وثالثاً نفي معنى الإلوهية عن كل كائن سوى الله.

إن عقيدة التوحيد والإيمان بالله تنظم حياة الإنسان النفسية، وتوحد نوازعه وتفكيره وأهدافه، وتجعل كل عواطفه وسلوكه وعاداته قوى متظافرة ومتعاونة ترمي إلى تحقيق هدف واحد هو الخضوع لله وحده.

أما الركن الثاني فهو الإيمان بالملائكة، والملائكة مثلما وردت في القرآن الكريم كائنات خلقها الله وسخرها لأعمال ومهمات معينة، أشرفها النزول بالوحي على الأنبياء قال تعالى: (قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ) ([22])، ومن الملائكة من كلفه الله بحمل العرش، ومنهم من تكفل بحفظ الإنسان، والله سبحانه وتعالى يذكر الملائكة في القرآن

الكريم على أنهم عباد الله وحسب، وليس لهم به سبحانه أي صلة قربى أو نسب كما زعم المشركون.

أما الركن الثالث من أركان الإيمان فهو الإيمان بكتب الله المنزلة، وهي الكتب التي احتوت على شريعة الله وأوامره وكلامه وهديه الذي ينير للبشر سبل الحياة، فقد جاء القرآن الكريم خاتم الكتب السماوية، وطالب البشرية جمعاء بالإيمان بكل ما ورد فيه تفصيلاً، مع الإيمان بأنه منزل من عند الله، وهو الكتاب الوحيد الذي كان كتاباً إنسانياً عالمياً وصل إلينا سالماً من التحريف، فضلاً عن أنه تناول جوانب الحياة كافة، وأن الكتب التي سبقته كانت تأمر إتباعها بإتباع القرآن إذا أدركوه.

أما الإيمان بالرسل فيعني الاعتقاد بأن الرسول قدوة وهو المربي الأول لجيل مثالي، فالأساليب العملية للتربية الإسلامية مثلاً تقتبس من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكن نجاح الأثر التربوي للرسول يتوقف على الإيمان بأنه مؤيد بالوحي والإلهام من عند الله، فلا يقرها الله على خطأ في التشريع، وأنه أمين قد بلغ رسالات ربه، أما الإيمان باليوم الآخر فيعني الإيمان بالحياة الآخرة، والاعتقاد بشكل جازم أن الحياة الدنيا مرحلة مؤقتة، وأن الله خلق الكون كله الى أجل مكتوب، فإذا انتهى أجل الكون والحياة البشرية أفنى الله هذا الكون وأنهى الحياة القائمة عليه.

أما الإيمان بالقدر خيره وشره فيعني أن الله سبحانه هو ا لذي قدر كل ماسيقع في الكون وفي المجتمع الإنساني، وقدر لكل ذرة في السموات والأرض مبدأها ومصيرها ونظامها وأجلها وعلاقتها بغيرها وسائر الكون، وبالتالي يعتقد المؤمن اعتقاداً جازماً بالقدر خيره وشره، ومن أنه من عند الله، وهذا يعني الامتناع عن تعليل الأمور بحسب الهوى والمصلحة، بل يجب أن يعرف الإنسان أن لكل ظاهرة كونية فوائد ومضاراً، فيطلب فوائدها ويستبعد مضارها.

إن العقيدة الإسلامية تقوم على الإلهيات والنوبات والكونيات والغيبيات.

الإلهيات: وتتناول إثبات وجود الله تعالى، فله سبحانه صفات الكمال المطلق وهو سبحانه منزه عن كل نقص وعيب، ومن صفاته الصفة النفسية، وهي صفة ثبوتية يدل الوصف بها على الذات دون معنى زائد عليها، فالجوهر جوهر وهو شيء موجود، وهي أيضاً صفة وحدة الوجود، فوجود الله تعالى وجود كامل وثابت لايقبل العدم، أما غيره فهو وجود ناقص وتبعي ويلحق به العدم.

أما الصفة السلبية فتعني الصفات الدالة على سلب ما لا يليق بالله سبحانه، وتشمل سلب تصور الكمية في ذاته وصفاته سبحانه وتعالى، فالله تعالى ليس مركباً من أجزاء، وليس له علمان ولا قدرتان تكمل الواحدة الأخرى، وهناك القدم ومعناه أنه لا أول لوجود الله سبحانه، قال تعالى: (هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ) ([23])، فلو كان سبحانه وتعالى مسبوقاً بالعدم لكان محتاجاً الى من يوجده، وهناك صفة البقاء ومعناها أن الله تعالى باق ولا يلحقه العدم، بخلاف سائر المخلوقات، قال تعالى: (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿26﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿27﴾)[24]).

ومن الصفات السلبية هي القيام بالذات، أي أن الله سبحانه وتعالى مستغن عن موجود يوجده، وعن مكان يقوم به، بدليل قوله: (اللَّهُ الصَّمَدُ)، ويعني الذي يحتاجه غيره، وهو غني عن غيره، ومن الصفات السلبية أيضاً المخالفة للحوادث، أي أن الله تعالى لايشبه أحداً من خلقه، ولايصح أنه نصفه بصفات خلقه، لأن صفات الخلق تتصف بالنقص، قال تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) ([25])

أما الصفات المعنوية فهي سبع صفات، وسميت معنوية لأن الاتصاف بها فرع الاتصاف بالمعاني، وهو كونه سبحانه قادراً وعالماً وحياً وسميعاً.

النبوات: إن لفظة النبوة مأخوذة من النبأ (الخبر) الذي يصل إلى النبي المختار عن طري الوحي الإلهي، ولفظة الرسالة تعني تكليف الله تعالى لأحد عباده بمهمة التبليغ لشرع أو حكم معين، أما كلمة النبي فقيل أنها أعم من كلمة الرسول، أي أن النبي هو الذي أوحى الله تعالى إليه بأمر، سواء طلب إليه التبليغ أم لم يطلب، فإن كلفه بالتبليغ فهو رسول أيضاً فكل رسول نبي وليس كل نبي رسول.

ومن النبوة الوحي الإلهي، وهو الأساس الذي قامت عليه النبوة والرسالة، وهو وسيلة إنباء الغيب العقيدة والشريعة، وهو الفيصل بين من يفكر بعقله ويضع تشريعان وبين من يبلغ عن ربه سبحانه دون زيادة أو نقصان.

إن علينا أن نؤمن بالأنبياء والرسل جميعاً، سواء الأنبياء والرسل الذين أخبرنا الله عنهم، أو الذين لم يقصهم الله علينا، ويجب أن لانفرق بين نبي ونبي كما جاء في قوله تعالى: (لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ) ([26])، وأن للأنبياء بعد ذلك صفات منها الذكورة، فالنبوة تحتاج الى جلد وصبر وتحمل، والرجل أكثر تحملاً من المرأة، ومن الصفات أيضاً الأمانة، وتعني ملازمة الصدق ظاهراً وباطناً، ومن صفات النبوة أيضاً العظمة، فالأنبياء جميعاً معصومون من الذنوب العظيمة قبل النبوة وبعدها، فضلاً عن كمال العقل والعدل والضبط.

أما المعجزات فتعني أمراً خارقاً للعادة يظهر على يد مدعي النبوة، عند تحدي المفكرين له على وجه يبين صدق دعواه.

وإن حكم الاعتقاد بها واجب، وقد كانت أهم معجزة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم وأعظمها هي معجزة القرآن الكريم، حيث كان وسيبقى معجزة خالدة.

الكونيات: المقصود بالكونيات كل ما علم بطريقة القطع واليقين من شأن الموجودات، مما أمر الله عز وجل بمعرفته والاعتقاد بوجوده، وتشمل الموجودات الإنس والجن والملائكة وسائر المخلوقات الأخرى، أما الإنس (الإنسان) فهو أفضل مخلوقات الله تعالى وأشرفها، بدليل قوله تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) ([27])، أما الملائكة فوجودهم ثابت بنص القرآن الكريم والسنة والنبوية (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِه)[28])، وعن النبي محمد صلى الله عليه وسلم: (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره).

إن الملائكة يتصفون بالعبودية التامة لله تعالى، ولا يعصون له أمراً، ولهم أجنحة يطيرون بها، ولهم قدرة على التشكل، أما الجان فهي مخلوقات الله تعلى خلقهم الله سبحانه وتعالى من نار، وقد ثبت وجودهم بالكتاب والسنة، قال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) ([29])، وأن الذي ينكر وجود الجن يكفر، لأن ينكر شيئاً ثبت من الدين بالضرورة، ولأنه يكذب نص القرآن الكريم الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

الغيبيات: المقصود بالغيب ما غاب عنه، ولا طريق للإيمان به إلا عن طريق الخبر اليقين، كالأخبار التي وردت في علامات الساعة، وما يمر به المرء بعد موته والحشر والميزان والصراط والجنة والنار، فمن الغيبيات ما يتعلق بحقائق عن الموت، فالله سبحانه وتعالى هو المحي والمميت، وقد وكل الله تعالى ملك الموت بقبض الأرواح، وهناك سؤال القبر، فإذا مات الإنسان أرسل الله تعالى ملكين مخيفين يسألانه عن دينه، وهناك عذاب القبر ونعيمه، واشراط الساعة، ويوم القيام وأحداثها.

بقي أن نذكر أن بناء العقيدة يقوم على ثلاثة أسس وهي:

- الأساس العقلي .
- الأساس الوجداني (الانفعالي).
- والأساس العملي.

أما الأساس العقلي فيتعلق بمدارك الإنسان العقلية، وفي التعليم يجب حث المتعلم على التدبر والتأمل في ملكوت الله تعالى لرؤية آثار قدرته، أما الأساس الوجداني (الانفعالي) فيعني الاعتماد على العاطفة والوجدان حتى يترسخ البناء العقائدي في النفس، ويشمل هذا الأساس أيضاً الجانب العاطفي، ويعني هنا العواطف الدافعة، وهي التي تحبب الإنسان في الإقدام على العمل، كانفعال الفرح والرغبة والأمل في الثواب ومحبة الله ورسوله، وهناك عواطف رادعة، وهي العواطف التي تردع الإنسان عن الإقدام للمعصية والمخالفة، كعاطفة الخوف، وعاطفة الخشية، وعاطفة الاشفاق.

أما الأساس العملي فيعني الجانب السلوكي، أو الثمرة الموجودة في دراسة العقيدة، وهو الذي يعمل على ترسيخ العقيدة في نفوس المتعلمين، كالعبادات والأخلاق والتهذيب.

خطوات تدريس العقيدة

تدرس العقائد بطرق مختلفة بحسب موضوع العقيدة، ومن حيث قدرة المعلم على اختيار هذه الطريقة أو تلك، ولكي يؤثر المعلم في عقيدة طلابه لا بد له من تحضير موضوع العقيدة قبل الدرس، والسير بمراحل الدرس بحسب خطواتها، والالتزام بالعقيدة سلوكاً، سواء أكاد ذلك داخل المدرسة أم خارجها، أما الخطوات التي يتبعها المعلم في تدريس العقيدة فإنها تأخذ مرحلتين أيضاً، مرحلة التحضير ومرحلة التدريس.

أما مرحلة التحضير فتشمل دراسة موضوع الكتاب المقرر، والاطلاع على مصادر إضافية، واقتباس نصوص من القرآن والحديث والشعر والحكم والأمثال، واختيار القصص المؤثرة، ووضع خطة تنظم المادة المقررة، أما مرحلة التدريس فإنها تشتمل على الخطوات الآتية:

1. التمهيد:

يمهد المعلم لموضوع العقيدة بما يثير اهتمام طلابه، وذلك بإظهار مشكلة واقعية، أو يفترض وجود مشكلة تستدعي الحل، وعلى المعلم أن يهيئ نفوس طلابه للدرس الجديد، كأن يذكر بعضاً من نعم الله كالعقل والصحة والأمن والاستقرار والعمل والإفادة من الوقت، ويمكنه أيضاً أن يربط موضوع العقيدة بمناسبة دينية، يمكن أن تكون حدثاً جارياً كذكرى المولد النبوي أو ذكرى الهجرة، أو ذكر بعض معارك المسلمين، أو قد يربط الموضوع بمناسبة دنيوية أو حادثة اجتماعية أو خلقية أو أزمة اقتصادية.

2. عرض الموضوع:

يعرض المعلم الموضوع بعد تجزئته إلى وحداته الفكرية، شريطة أن يبين الفهم الخاطئ والفهم السليم لموضوع العقيدة، فإذا أراد المعلم أن يعرض الفهم الخاطئ للعقيدة فإنه يجب أن يبين مكامن الخطأ في فهم العقيدة، وذلك باستثارة العاطفة ا لدينية لدى طلابه ليكون التأثير أبلغ في النفوس، مع إعطاء أمثلة من الواقع.

أما إذا عرض الفهم السليم للعقيدة، فإنه يجب أن يقارن هذا الفهم بالفهم الخاطئ، على أن تعتمد هذه المقارنة إتباع الناحية العقلية في الموازنة بين الفهمين، ويجب على المعلم أن يبين قدسية الخالق، وعظمته في التشريع، وملائمة ماشرعه للإنسان، إن مرحلة عرض الفهم السليم للعقيدة يتطلب تسلسل طريقة العرض، ودقة التحليل، وقوة الحجة التي يسوقها المعلم لدحض المفاهيم الخاطئة، وعلى المعلم أن يتصف أسلوبه بالجمال والوضوح، ليتمكن من جلب انتباه الطلاب واستيعابهم لما يقول، زيادة على أن يكون نقده نقداً موضوعياً للفهم الخاطئ للعقيدة، إذ يبعد شعور بعض الطلبة بأن المعلم متطرف في طروحاته، ويمكنه أيضاً في هذه الخطوة أن يقارن العقيدة الإسلامية بغيرها من العقائد الأخرى، شريطة أن لايوجه نقداً الى تلك العقائد من شأنه جرح مشاعر الآخرين، وعلى المعلم وهو يتحدث عن الفهم الصحيح للعقيدة أن يحسن الاستشهاد بالآيات والأحاديث والأشعار والحكم، لأنه كلما استشهد كلما كان حديثه علمياً، وهنا يكون لشرحه وتحليله قيمة فكرية وقيمة أدبية متعة نفسية، والنتيجة تعديل الفهم الخاطئ لدى الطلبة، وبالتالي تعديل سلوكهم.

إن من أهم مايجب أن يؤكده المعلم في هذه الخطوة هو حرية الطالب في طرح الأسئلة والتعليق والمناقشة، لأن المعلم بإعطائه هذه الحرية يتمكن من معرفة اتجاهات طلابه وفهمهم للعقيدة، فيعمل على تعديل المفاهيم الخاطئة لديهم مثلما ما مر ذكره.

3. الدروس والعبر:

بعد أن ينتهي المعلم من مناقشة موضوع العقيدة وتحليله يوضح لطلابه أنه لابد لكل موضوع من دروس وعبر نفيدها منه، وهي بالتالي تفيدنا في حياتنا المستقبلية، وعلى المعلم أن يلخص هذه الفوائد العملية على شكل نقاط يدونها الطلاب في دفاترهم الخاصة.

درس أنموذجي في تدريس العقيدة (من بينات الرسل)

الأهداف العامة

إن أهم أهداف تدريس العقيدة ما يأتي:

1. غرس العقيدة الدينية الصحيحة في نفوس الطلبة.
2. إدراك الطالب جوانب العظمة الإلهية في ذات الله تعالى وفي مخلوقاته.
3. إيمان الطالب عن يقين بإرسال الرسل، والملائكة، والكتب السماوية، واليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب.
4. تنقية نفوس الطلبة من الخرافات والأوهام، وتنمية الثقة بالله والتعلق بأحكامه واجتناب نواهيه.
5. جعل العقيدة الإسلامية وما يندرج تحتها من مفاهيم طريقاً للسلوك في الحياة، ومنهجاً في الفكر والعمل.
6. تمسك الطالب بما جاء في كتاب الله، والاقتداء بأقوال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وأفعاله.
7. تحصين عقيدة الطالب ضد دعوات التبشير والإلحاد.
8. جعل الطالب قادراً على الدعوة للإسلام.
9. تدريب الطالب على إقامة الحجة والاستدلال.

الأهداف الخاصة

1. معرفة الطالب بينات الرسل بوصفها تأييداً من الله تعالى الى رسله.
2. وصول الطالب الى ما توجه إليه الآيات التي تعبر عن بينات الرسل.
3. قناعة الطالب بحقيقة هذه البينات.
4. إيمان الطلبة بكل ما أنزل من الله إيماناً مطلقاً.

الأهداف السلوكية

(1) الأهداف المعرفية:

1- أن يعرف الطلبة بينات الرسل الى قومهم.

2- أن يعرف الطلبة أن هذه البينات تأييد من الله إلى رسله.

(ب) الأهداف النفسحركية:

1- أن يصل الطالب إلى ما توجه به الآيات التي تعبر عن بينات الرسل.

(ج) الأهداف الوجدانية:

1. أن يقتنع الطلبة تماماً أن هذه البينات حقيقة مارسها الرسل بإذن الله للتدليل على صدق رسالتهم.

2. أن تتجلى لدى الطلبة قدرة الله فيؤمنوا إيماناً مطلقاً.

خطوات الدرس

1. التمهيد

قلنا إن المعلم يمكنه التمهيد لموضوع في العقيدة بمراجعة الموضوع السابق، أو سرد قصة يستوحي مها بعض البينات المثيرة للطلبة، أو ربط الموضوع بحادثة دينية أو اجتماعية.

ويمكن للمعلم أن يقول:

عندما تريد السلطة أو الحكومة أن تفتش داراً أو محلاً لسبب أو لآخر، فإنها ترسل مع من يقوم بالتفتيش بعض أفراد الشرطة، ومعهم سياراتهم الخاصة وأسلحتهم للتعبير عن أن المرسل هو الدولة. وهكذا أيد الله سبحانه بعض رسله بمعجزات أو بينات للتدليل على أن هؤلاء مرسلون من الله عز وجل، وسوف نناقش في درسنا اليوم بعض بينات الرسل.

2. عرض الموضوع

يعرف المعلم بالقول لو تدبرنا قوله تعالى: (وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا ۚ)([30])، فثمود قوم أرسل الله سبحانه الرسل إليهم، وإن الرسول الذي بعثه الله إلى (ثمود) هو ..

طالب: إنه (صالح) عليه السلام.

المعلم: نعم والآية التي أمامنا هي بينة صالح عليه السلام، فهل فيكم من يعرف قصة صالح؟

طالب: نعم إن سيدنا (صالح) عليه السلام أرسل إلى قومه (ثمود)، وطالب منهم الإيمان بالله، فطلبوا منه معجزة تدل على صدق رسالته، وصحة ادعائه، وكان مطلبهم هو أن يخرج لهم ناقة من الصخر.

طالب آخر: وعليه أخرج الله سبحانه لهم هذه الناقة، لتصبح معجزة بينة (صالح) عليه السلام.

طالب آخر: إذن عندما لبى نبي الله (صالح) عليه السلام مطلبهم، آمنوا به جميعاً

المعلم: كلا آمن به نفر منهم.. ولكن لو سألنا لماذا لم يؤمنوا جميعاً؟

طالب: اعتقد أن الذين لم يؤمنوا كانوا من المتجبرين، أو كانوا من الجهلة، أو كانوا من المعتزين بدياناتهم

طالب آخر: واعتقد أنا أنهم لم يصدقوا بهذه البينة لأنهم عدوها ضرباً من السحر.

المعلم: ممتاز... وقد دل ذلك على تعنت قوم صالح عليه السلام وانغماسهم في الضلال، فسلط الله عليهم العذاب.

يتابع المعلم القول: ولنبي الله إبراهيم عليه السلام بيناته أيضاً، فنحن جميعاً نعرف قصة إبراهيم عليه السلام ودعوته لقومه الى الإيمان بالله، وترك عبادة الأوثان.. قال تعالى: (قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (68) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿69﴾) ([31])

طالب: إن قوم إبراهيم عليه السلام على مايبدو لم يطلبوا منه معجزة، وإنما ألقوه في النار، لقتله حرقاً.

المعلم: نعم: وهنا هي المعجزة، إذ سلب الله سبحانه خاصية الإحراق من النار فصيرها برداً وسلاماً، فكان هذا دليلاً كافياً على صدق نبوة إبراهيم عليه السلام.

ويتابع المعلم: أما بينات موسى عليه السلام فقد وردت في قوله تعالى: (وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ۖ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿12﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿13﴾ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿14﴾) ([32])

وبالطريقة النقاشية السابقة نفسها يوضح المعلم مع الطلبة هذه البينات.

وهكذا يقول المعلم: تلك بعض آيات الله التي أيد بها رسله ليعرف الناس ويستيقنون بصدق رسالة الرسل والأنبياء، ونحن نجد هذه البينات قد قامت على أساس أنه يستصحب الرسول معه أشياء

لايملكها إلا الله، حتى يكون ذلك دليلاً على أنه مرسل من له صاحب هذه الأشياء ومالكها.

3. الدروس والعبر

1- قناعة الطالب قناعة تامة بهذه البينات، وأن الله سبحانه قادر على كل شيء قدير.

2- إن هذه البينات توجه عظة وعبرة للناس جميعاً، فلا مجال بعد لعدم الإيمان.

الفصل الثالث

مفهوم التلاوة وخطوات تدريسها

القرآن الكريم كتاب الله الذي أنزل بلسان عربي مبين على نبيه العربي الأمي الأمين صلى الله عليه وسلم، ليكون معجزة خالدة نصدقه ونؤيده، حيث يجد فيه المسلمون على الدوام تحديداً وتجديداً لعقيدتهم، ورسماً دقيقاً لعباداتهم ومناسكهم، وتشريعاً إنسانياً لمعاملاتهم.

إن المسلمين حريصون على مر الدهور والأعوام على حفظ القرآن الكريم وصيانته وتذاكره وتلاوته، يحققوا بذلك وعد الله في شأنه، قال تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) ([33])، ولأن في حفظه حفظ لهم، وفي بقائه بقاء لهم، فهو كيان الأمة الإسلامية وقوامها ومجدها، وفخرها ودستورها في الدنيا والآخرة.

إن حسن تلاوة القرآن أمانة في أعناق الأجيال المسلمة على مر العصور، فإذا كانت المؤسسات التعليمية تتحمل عبء النهوض بهذه الأمانة فإن على المؤسسات الأخرى أن تعاونها وتساندها، بقدر ماتستطيع وتتمكن.

لقد حث الإسلام على تعليم القرآن وتعلمه، وبين مافيه من الثواب والأجر، وجعل خير المسلمين من تعليم القرآن وعلمه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)، وعرف المسلمون الأوائل هدف هذا الترغيب ومغزاه، فعكفوا عليه يتعلمونه ويعلمونه، وهكذا أصبح حفظ القرآن فرض كفاية على الأمة، أي أن الأمة جميعها تصبح آثمة إذا لم تحفظ طائفة منهم القرآن الكريم.

إن القرآن الكريم يعد أعظم مصدر يربي الناس على العبودية لله عز وجل، وفيه أعظم مبدأ تربوي يدعو إلى تزكية النفس الإنسانية وتربيتها على الخير.

لقد بات من الضروري أن يفهم الأطفال القرآن الكريم حين يتعلمونه، لأنه فهم المعنى أساس من أسس التعليم، وعامل مهم من عوامل التذكر والسيطرة على ما يتعلم، وأن المعلم يشعر أنه في موقف عبادة حينما يذهب لأداء الدرس، فهو يأتي إليه نظيفاً خاشعاً، لأنه يشعر بمسؤولية عظيمة تجاه تدريسه، وهو بذلك يرجو مثوبة الله ويخشى عقابه.

وخلاصة القول إن كتاب الله أعز الذين آمنوا به، فرفعهم، وعرفوا أيضاً أنهم كلما ازدادوا به تمسكاً به ازدادوا علواً ورفعة، فقد جاء القرآن الكريم فوضع لهم مُثلاً وقيماً، وحثهم على العمل به، والسعي وراءه، والإخلاص له وإتقانه، يزاد على ذلك أن القرآن الكريم رسم العلاقة بين جماعات المسلمين في أنحاء الأرض على أساس المحبة والوئام والسلام والتكافل.

إننا ندرس كتاب الله لأن فيه سبل الهداية الى الطريق القويم، وندرسه لكي نحس بعظمته وأهميته، وندرسه لكي يجيد الجيل تلاوته تلاوة مجودة، وندرسه لكي يفيد المتعلمون من الثروة اللغوية العظيمة فيه، وندرسه ليتعود المتعلم على حسن السلوك والأخلاق، وندرسه لعرفة الأحكام الشرعية التي جاء بها، وندرسه أخيراً لأنه علاج شافٍ من كل المشكلات.

التلاوة بعد ذلك تعني قراءة القرآن بأسلوب خاص متفق عليه، ومن المعروف أن المسلمين تعلموا تلاوة القرآن الكريم من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا يعني أنهم تعلموه بالسماع والمحاكاة، أما الآن فنحن نتعلم التلاوة ممن هو أقدر على تلاوة القرآن، وممن هو ملم بشرط التلاوة وأسسها أكثر من غيره، ويفترض بمعلم التربية الإسلامية أن يكون ملماً بشروط التلاوة وأصولها.

إن للتلاوة بعد ذلك آداباً يجب الالتزام بها ومنها: الطهارة، وتعني طهارة البدن والملبس والمكان، وقبل كل ذلك طهارة القلب، ومن آدابها تحسين الصوت أثناء القراءة، على أن لايؤدي ذلك الى الإخلال بالأداء، أو تحريف اللفظ، أو إسقاط حرف، أو زيادة حرف، ومن آداب التلاوة أيضاً أن يكون القارئ خشوعاً وقوراً ملتزماً بآداب التلاوة، فلا يكون شارد الذهن، منشغلاً بحسن الصوت والطرب، تاركاً التدبر والتفهم لمعانيه.

ومن آداب التلاوة أيضاً أن يقرأ القارئ على تمهل، ليمكنه تدبر الأفكار والمعاني، وأن يبدأ تلاوته بالاستعانة بالله، ثم يقرأ البسملة، وأن يقرأه جالساً، وأن يتجنب كل مايسيء الى التلاوة.

ولابد لتلاوة القرآن الكريم من توفير الجو المناسب لها، ففي الصف المدرسي يجب ضبط الصف، وتوفير الكتب ودفاتر الكتب ودفاتر الملاحظات، وتحديد موضوع التلاوة، ثم التمهيد الجيد بتعريف المتعلمين بالجو العام للسور والآيات المراد تلاوتها، ويكون ذلك من خلال ذكر بعض القصص، أو سرد بعض الأحداث، أو ربط السور المقرر تلاوتها بسورة أو سور أخرى، أو من خلال الأحداث الاجتماعية أو الكونية أو المناسبات الدينية ذا الصلة، ويشترط في المعلم أن يقرأ قراءة خالية من الأخطاء في الحركات، ويطبق أحكام التلاوة والتجويد، وإخراج الحروف من مخارجها ويجب على المعلم أن يبدأ هو بالتلاوة فهو القدوة والمقوم لتلاوة التلاميذ.

وقد اشترط المربون أيضاً أن يكون معلم التلاوة متقناً للمعرفة التي يعلمها، بقي أن نذكر أن على معلم التلاوة أن يعمل على تحبيب قراءة القرآن لطلابه، وأن يبين لهم أن القرآن دستور بالدنيا والآخرة، ونظام وشريعة وعبادة ومعاملة، على أن يعمل أيضاً على استكشاف أسرار القرآن الكريم، واستجلاء أنواره، ويكون ذلك بإثارة العاطفة الدينية في نفوس طلابه، وفتح عقولهم على مافيه من القوانين الاجتماعية والعلمية والطبيعية، وبيان أن القرآن الكريم العلاج الشافي لمشاكل الأفراد والجماعات والأمم، وبيان ثواب قارئ القرآن، وتمتعه بتلاوة كلام الله تعالى.

إن تلاوة القرآن الكريم لاتعني فصل موضوع التلاوة عن فروع الدين الأخرى، فعليه أن يقوم بربط الآيات التي يتلوها بما يناسبها من فروع الدين، وعند شرح الآيات والأحكام والمبادئ يفترض أن تساق الأمثلة الحسية من واقع الحياة العلمية المحيطة بالطلبة، ليرتبط الدين بالحياة في أذهانهم، ويظهر واضحاً في سلوكهم.

أما من الناحية التطبيقية العملية فإن معلم التلاوة يمكنه معالجة ما يعرف للطلبة من مشكلات، بما يتناسب مع آيات القرآن الكريم، فإذا أراد أن يتحدث عن الكيل والميزان يربط ذلك بقوله تعالى: (وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ * أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ *يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) ([34])، وكذلك قوله تعالى:(وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ)([35]).

خطوات تدريس التلاوة

تأخذ خطوات تدريس التلاوة منحنيين:

الأول: منحنى التحضير.

الثاني: منحنى التدريس.

أما مرحلة التحضير: فتخص تحضير الطلاب وتحضير المعلم، وهذا يعني أن على المعلم، يطلب من طلابه تحضير الايات موضوع الدرس في البيت، وهو مانصطلح على التحضير البيتي، وعلى المعلم أن ينبه طلابه با، يقرؤوا آيات القرآن الكريم بعناية خاصة لأنه كلام الله، إذ أن الخطأ في قراءة القرآن غير لائق في الفرد المسلم، وهو دليل على ضعف دينه.

أما تحضير المعلم فيعني أن ينفذ المعلم أهداف التلاوة لتظهر بوضوح عندما يقرأ الآيات قراءة أنموذجية أمام طلابه، فقد يلجأ إلى قراءة الآيات أكثر من مرة، تكون القراءة الأولى لمراعاة علامات الترقيم، وتكون القراءة الثانية لضبط الحركات والسكنات، وتكون القراءة الثالثة لضبط نطق الحروف، وتكون القراءة الرابعة لتعبيرية القراءة وتصوير المعنى مع مراعاة السرعة المناسبة، وتكون القراءة الخامسة لاستحضار الخشية والخشوع.

إن المعلم يجب أن يفتهم معاني الكلمات والآيات والأحكام الدقيقة فيها، والتعابير والأساليب البلاغية في القرآن، ومعرفة أسباب نزول في التفسير، وأن مرحلة التحضير هذه مفيدة جداً للمعلم لتقسيم الآيات إلى وحداتها، الفكرية، وتعرف مواقع الانتقال القرآني وحكمته، واستنتاج الفوائد العملية التي تفيد الطالب في واقعه.

أما مرحلة التدريس أو منحنى التدريس فيشمل الخطوات الآتية:

1- التمهيد: يمهد المعلم للآيات موضوع الدرس بمقدمة قصيرة تثير الخشوع ابتداء في نفوس الطلبة، ويستطيع المعلم أن يعتمد عدة أساليب لشدة انتباه الطلبة إلى الدرس الجديد، فإما أن يتكلم عن عظمة القرآن الكريم وإعجازه ومعانيه وسحر بيانه، وإما بضرورة التأمل في المعاني القرآنية، وتدريس الآيات القرآنية انطلاقاً من قوله تعالى: (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا)([36])

2- قراءة المعلم النموذجية: قبل البدء بالقراءة الجهرية النموذجية على المعلم أن ينبه طلابه الى ضرورة الانتباه الكامل، والإنصات التام إلى قراءته لمحاكاته بالقراءة فيها بعد، وإلى ضرورة استحضار الخشوع القلبي والسكينة والوقار، وعدم الانشغال بأمور أخرى، والإقبال على القرآن بعقل وعاطفة، قال تعال: (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)([37])، وينبههم أيضاً إلى ضرورة تعود القراءة في المصحف، وضرورة تعريفهم بالمصطلحات المكتوبة في نهاية الآيات أو من خلالها، لمعرفة الوقف والمد والإدغام، إلى غير ذلك، أما المعلم فعليه أن يراعي وهو يقرأ القراءة الأنموذجية الجهرية ضرورة الالتزام بقواعد التجويد الأساسية، مثل إخراج الحروف من مخارجها، وإظهار حروف القلقلة، واللفظ الصحيح للحروف الشمسية والقمرية، والتمييز بين همزتي الوصل والقطع.. وغير ذلك، وعليه أيضاً الوقوف عند الإشارات الخاصة بها في القرآن، وضرورة إفهام الطلاب لمدلولاتها، وعليه أيضاً إظهار المعنى وهو يقرأ، ومراعاة

سرعة الصوت ودرجته، وضبط الحركات والسكنات لكل حرف. إن علم المعلم وهو يقرأن القرآن أن يرتل بعض الآيات انطلاقاً من قوله صلى الله عليه وسلم: (زينوا القرآن بأصواتكم) بمعنى مراعاة قواعد التجويد، واستحضار الخشوع القلبي خلال التجويد.

3- قراءة الطلاب الصامتة: على المعلم بعد انتهائه من القراءة الجهرية النموذجية أن يعطي مدة مناسبة للقراءة الصامتة، تتحدد بعدد الآيات وصعوبتها، والموضوعات التي تعالجها، على أن ينبه طلابه بضرورة استحضار الخشوع والسكينة في القراءة الصامتة، وعد الإخلال بها بتحريك الشفاه، وعدم السؤال عن أية كلمة أو آية، ومحاولة تقليد المعلم، على أن يحدد المعلم الوقت على أساس الطالب المتوسط، ونعني به متوسط الذكاء والفهم.

4- القراءة الجهرية الأولى للطلاب: يقرأ الطلبة المجيدون قليلو الأخطاء أولاً على أن يشجع المعلم هؤلاء الطلاب ويثني عليهم، حثاً لزملائهم على المشاركة في الدروس اللاحقة.

5- الشرح: لا نعني بالشرح هنا تفسير الآيات لأن التفسير له دروس مستقلة وموضوعات خاصة أيضاً، وإنما نعني بالشرح هنا هو تناول بعض المفردات الصعبة وإعطاء المعنى الإجمالي للآيات بشكل سريع، لأن ذلك يسهل على الطلاب عندما يقومون بالخطوة اللاحقة، وهي القراءة الجهرية الثانية.

6- القراءة الجهرية الثانية للطلاب: بعد أن يشرح المعلم الآيات بشكل عام مثلما سبق ذكره، تبدأ القراءة الجهرية الثانية للطلاب، وهي المرحلة الأساسية المهمة في تدريس التلاوة والتي تأخذ معظم وقت الدرس، لأن الهدف من التلاوة هو التلاوة نفسها، ويجب على المعلم أن لايقاطع الطالب المكلف بالقراءة بشرح أو تعليق، ولايسمح لزملائه بمقاطعته، لأن الشرح كان قد استوفى بالخطوة السابقة، إن مقاطعة القارئ تؤدي الى إرباكه وعدم تركيزه على مايقرأ، وبالتالي وقوعه في أخطاء كثيرة.

7- الدروس والعبر: يلخص المعلم في نهاية الدرس بالمشاركة مع الطلاب ما يستنتجونه من دروس وعبر من الآيات التي تمت تلاوتها، على أن يربط ذلك بالواقع، وعلى المعلم أن يلخص هذه الفوائد والدروس والعبر على شكل نقاط محددة، مصوغة بأسلوب جذاب مؤثر، لكي تبقى في الذاكرة، وتفيد الطالب في حياته المقبلة.

وبعد الانتهاء من تلخيص الدروس والعبر يحدد المعلم الآيات المطلوب حفظها لكي يسمعها الطلاب في الحصة القادمة، يرمي تدريس تلاوة القرآن الكريم الى تحقيق الأهداف العامة الآتية:

1- تمكين الطلاب من قراءة القرآن الكريم قراءة صحيحة، وإجادة تلاوته، أي أن يعطي الطالب الحروف والكلمات حقها من حيث إخراجها من مخارجها الصحيحة، ومن حيث مراعاة قواعد التلاوة الصحيحة.

2- إدراك الطلاب معنى مايتلونه من الآيات، إذ ليس المقصود بتلاوة كتاب الله مجرد النطق أو التلفظ، وإنما ضرورة التدبر والوعي، والاستفادة مما يقرؤون من آيات.

3- تركزي الطلاب على الفكرة الرئيسة في الآيات المتلوة، وهذا يعني أن يعطي الطلاب بمساعدة المعلم مزيداً من الاهتمام والعناية حتى تتم الفائدة بشكل أكبر، إذ يمكن للطالب أن يخرج بشيء محدد وواضح عن تلاوة الآيات.

4- تعبد الطلاب بتلاوة القرآن الكريم، فالتلاوة عبادة في حد ذاتها، ويجب على المعلم أن ينبه طلابه إلى ذلك.

5- تحقيق قدر من الخشوع لله، والخضوع له، والأمل فيه، والخوف منه، إذ يتحقق هذا الهدف ببث الطمأنينة والأمل والرجاء في نفوس الطلبة، وفي إثارة دواعي الخوف والرهبة.

6- إسهام المعلم بتنمية الوازع الديني لدى الطلاب، وهذا يعني ضرورة تنمية الوازع الديني الذي تسعى التربية إلى تحقيقه، وأن يتكون لدى الطالب اتجاه ديني عام يسيطر على كل أنشطته، ويوجهها توجيهاً صحيحاً.

7- إجادة الطالب النطق باللغة العربية الفصيحة، لأن كلمات القرآن وما تتضمنه من أصوت تشمل في الواقع أصوات اللغة العربية، وأن جميع أصوات اللغة موجودة في القرآن.

8- العمل على زيادة الثروة اللفظية للطلاب، فمن يردد كلام الله قراءته وتلاوته، ويحفظ بعض آياته فهو يفيد من ذلك في استعماله اللغوي.

9- العمل على زيادة الثورة المعنوية والفكرية للطلاب، إذ أن القرآن الكريم حافل بالمعاني والأفكار التي تتناول حياة المسلم من جميع جوانبها.

10- تدريب الطلاب على مهارات لغوية كثيرة، إذ من خلال التلاوة يمكن تدريب الطلاب على كثير من المهارات اللغوية مثل مهارة القراءة الصامتة، ومهارة المناقشة، ومهارة توحيد الأسئلة، ومهارة التعبير الشفوي، وغير ذلك.

11- تذوق الطلاب جمال الأسلوب القرآني وبلاغته، وليس المقصود بالتذوق هنا معرفة مافي القرآن من تشبيهات واستعارات ومجازات وكنايات فحسب، وإنما المقصود التأثير به والتمييز بين أسلوبه البليغ الفصيح وأساليب غيره مما أنتجه البشر.

درس أنموذجي في تدريس التلاوة

(تلاوة الآيات العشر الأولى من سورة البقر)

الأهداف العامة

1- قراءة القرآن الكريم قراءة صحيحة، وإدراك معنى المقروء، وتحقيق الخشوع لله.

2- تنمية الوازع الديني.

3- إجادة نطق العربية الفصحى،وزيادة الثروة اللفظية، وتذوق جمال الأسلوب القرآني.

الأهداف الخاصة

1- إتقان الطالب قراءة الآيات العشر الأولى من سورة البقرة.
2- فهم الطالب المعاني المتضمنة في الآيات العشر الأولى من سورة البقرة.
3- إجادة الطالب تلاوة الآيات العشر الأولى من سورة البقرة.

الأهداف السلوكية

(1) الأهداف المعرفية:

1- أن يتعرف الطالب الآيات العشر الأولى من سورة البقرة.

2- أن يفسر الطالب الآيات العشرة الأولى من سورة البقرة.

3- أن يشكل أواخر الكلمات في الآيات موضوع الدرس.

4- أن يستنتج أحكام التلاوة من الآيات المتلوة.

5- أن يربط بين الآيات موضوع الدرس والآيات الأخرى.

(ب) الأهداف النفسحركية (المهارية):

1- أن يقرأ الطالب الآيات موضوع الدرس قراءة سليمة.

2- أن يكتب هذه الآيات كتابة صحيحة.

3- أن يرسم الحروف القرآنية رسماً صحيحاً.

(ج) الأهداف الوجدانية:

1- أن يستمتع الطالب وهو يتلو الآيات العشر الأولى من سورة البقرة.

2-أن يشارك بمناقشة هذه الآيات وتفسيرها.

3-أن يقدر بدرجة عالية أسلوب القرآن الكريم بمعالجة القضايا التي وردت في هذه الآيات.

خطوات الدرس

التمهيد:

قلنا إن خطوات تدريس التلاوة سبع خطوات تبدأ بالتمهيد، وقلنا إن هناك أساليب مختلفة للتمهيد، ويمكن للمعلم هنا أن يمهد لتلاوة هذه الآيات الكريمات بالحديث عن سورة البقرة فيقول: سميت سورة البقرة بهذا الاسم لورود قصة بقرة بني إسرائيل فيها، قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةًۖ قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًاۖ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (67) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَۖ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ) ([38])، وسورة البقرة شرحت ووضحت الكثير من الأحكام الشرعية كالصوم والحج والنفقة والزواج والطلاق، وبينت أيضاً عدداً من التوجيهات، وحذرت من التعامل بالربا، وتناولت الدين، ووضحت أيضاً أصول العقيدة، وركزت على التوحيد ونبذ الشرك.

وفي سورة البقرة أيضاً ورد تصنيف الناس الى مؤمنين وكافرين ومنافقين، وقد بينت السورة الكريمة أيضاً أصل خلق الإنسان وبدايته.

ويمكن للمعلم أن يسأل طلابه في التمهيد بعد أن يفرغ من كلامه، أو قبل البدء به يسألهم عن سورة البقرة هل هي سورة مدنية أو مكية، وكم عدد آياتها، فهذان السؤالان يثيران انتباه الطلبة لأنهما محددان بجوابين قاطعين.

إن عملية التمهيد هذه لاتستغرق أكثر من (5) دقائق.

1. قراءة المعلم النموذجية:

يقرأ المعلم الآيات العشرة الأولى من سورة البقرة وهي: (الم (1) ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَۛ فِيهِۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (3) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (4) أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (5) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (6) خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (7) وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ (8) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (9) فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (10)) ([39]) .

يتلو المعلم هذه الآيات ملتزماً بقواعد التجويد الأساسية مثل إخراج الحروف من مخارجها، وإظهار حروف القلقلة، والحروف الشمسية والحروف القمرية، وهمزتي الوصل وهمزة القطع، يزداد على ذلك ضرورة التزام المعلم بما يطرأ على الحروف، من إظهار وإبدال وقلب، وإدغام بنوعية بغنة أو بغير غنة.

ومن قواعد التجويد التي يجب أن يلتزم بها المعلم الوقف والتسكين، والتحريك الدائم، وكذلك ضرورة إظهار المعنى خلال القراءة، وتنويع في درجة الصوت وسرعته.

2. قراءة الطلاب الصامتة:

يقرأ الطلاب هذه الآيات قراءة صامتة بعد أن تلاها المعلم أمامهم، وهم بالتأكيد سيتأثرون بتلاوة المعلم، ويبدؤون بتقليده خلال قراءتهم الصامتة، وعلى المعلم أن يعطي وقتاً مناسباً للقراءة الصامتة لهذه الآيات، لأن الطالب يجب أن يتدبر هذه الآيات وهو يقرؤها، وأن يتلفظ حروفها وكلماتها تلفظاً صحيحاً.. وعليه يمكن أن نقول إن (5-7) دقائق كافية للقراءة الصامتة.

3. القراءة الجهرية الأولى للطلاب:

يبدأ المعلم بأحسن الطلبة، ويطلب منهم قراءة هذه الآيات قراءة جهرية تباعاً، على أن يقرأ كل واحد منهم آيتين أو أكثر.

4. الشرح:

قلنا في خطوات تدريس التلاوة إن الشرح هنا لايعني تفسير هذه الآيات وتحليلها، وإنما إعطاء معناها الإجمالي بعد تعرف معاني الكلمات الصعبة وهي مثل:

- لاريب فيه: لاشك فيه

- ختم الله على قلوبهم: طبع الله على قلوبهم فلا يدخلها الإيمان

- غشاوة: غطاء

يقول المعلم: إن هذه الآيات الكريمات تبدأ بقوله تعالى(الم) وهي حروف عربية أقسم بها الله سبحانه لأنها الحروف التي نزل بها القرآن الكريم، فكتاب الله (القرآن) (لا شكل فيه) وهو الذي يهدي من آمنوا به، والمؤمنون هم الذين يؤمنون بالغيب، ويؤيدون فرض الصلاة ويؤدون الزكاة وما فرضه الله عليهم من أن يطعوا من أموالهم التي رزقهم بها الله، هؤلاء المؤمنون بالقرآن الكريم، وبكل الكتب السماوية قبل القرآن.. وهكذا ترون أعزائي الطلبة أن القرآن الكريم انتقل بعد ذكر المؤمنين إلى ذكر الكافرين وكيف أنهم باقون على كفرهم، أأنذرهم الرسول صلى الله عليه وسلم أم لم ينذرهم، فهؤلاء طبع الله على قلوبهم ووضع على سمعهم وعلى أبصارهم غطاء فهم لايسمعون ولايرون، وقد خص الله هؤلاء بالعذاب الأليم، ثم ينتقل القرآن الكريم الى معالجة صنف آخر من الناس، وهو أولئك الذين يدعون إلى الإيمان وهم لم يؤمنوا، ووصفهم الله سبحانه بأنهم يخادعون أي مراوغون فهم يتلونه بحسب الأهواء والمواقف، وهؤلاء يخدعون أنفسهم فقط، وأنهم لايشعرون بجريرة عملهم هذا، هؤلاء المخادعون في قلوبهم مرض، فزاد الله مرضهم، إذ أصبحوا مؤهلين لأن يعذبهم الله على كذبهم وغشهم ومخادعته.

5. القراءة الجهرية الثانية للطلاب:

بعد الشرح الإجمالي لهذه الآيات تبدأ المرحلة التي تأخذ جل الوقت، وهي مرحلة القراءة الجهرية للطلاب، إذ إن درس التلاوة يعني أن يشترك أكبر عدد ممكن من الطلبة بالتلاوة، وسوف يقرأ الطلبة في هذه الخطوة قارءة صحيحة إلى حد ما، ذلك لأن معنى هذه الآيات أصبح واضحاً، ولايخفى ما لفهم المعنى من أثر في دقة القراءة وسلامتها.

6. الدروس والعبر:

يمكن أن يتوصل المعلم الى الدروس والعبر الآتية المستقاة من هذه الآيات الكريمة:

1. إن المؤمنين بما أنزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم هم أصحاب الدرجة العليا في الدنيا والآخرة.

2. إن الكافرين المنكرين الجاحدين هم الذين سيعاقبهم الله سبحانه وبكفرهم، ويعذبهم العذاب الذي يستحقونه.

3. إن المراوغين الذين يدعون الإيمان سيعذبهم الله عذاباً أليما جزاء كذبهم على الله والناس.

الفصل الرابع

مفهوم التفسير وخطوات تدريسه

إن تفسير القرآن الكريم لا يعني بأي حال من الأحوال مجرد شرح الغريب من الكلمات بكلمات مألوفة، فليس القرآن نصاً لغوياً أو أدبياً فحسب، وإنما تفسيره يعني استخلاص الأحكام أو التشريعات، واستنباط المواعظ والعبر، لأنه دستور حياة بأكملها، ومصدر هداية ورشاد، القرآن الكريم معين لاينضب، وكنز لايمكن أن ينقص، وسوف يظل موضوعاً متجدداً للشرح والتفسير والاستنتاج والاستنباط لكل الأجيال، وسوف لا يكون هناك تفسير واحد له يمكن أن يكون التفسير النهائي، ذلك لأن الحياة متطورة تأتي كل يوم بالشواهد التي تصدقه، وتتمخض عن أحداث تشرحه وتفسره.

إن القرآن الكريم وإن كان يبلغ العقول ويحرك النفوس عند قراءته أو الاستماع إليه، الا أن مسؤولية المسلمين ينبغي ان لاتقف منه عند هذا الحد، وإنما ينبغي أن يغوصوا في أعماقه، ليصلوا الى درره التي يحتفظ بها دائماً في تلك الأعماق، وإذا أضفنا إلى ذلك أن تفسير القرآن أصبح علماً له قواعده وأصوله، فإن دراسة هذا العلم أصبحت ضرورة ملحة.

التفسير بعد ذلك هو العلم الذي يبحث في معنى كلام الله في كتابه المجيد، بقدر الطاقة البشرية في الفهم، ولقد فسر الرسول صلى الله عليه وسلم الكثير من القرآن الكريم بالحديث النبوي قولاً وعملاً وتقريراً، فكان صلى الله عليه ونسلم أعلم المفسرين به، وبدأ علم التفسير محدوداً في القرن الأول الهجري، ثم توسع نطاقه في القرن الثاني زمن تدوين الحديث، ونما علم التفسير بجواز نماء علم الحديث، واختلط به، ثم استقل عنه في القرن الثاني الهجري، ثم نما التفسير بطريقة المنهج العقلي، وابتعد عن الرواية في القرآن الرابع الهجري.

إن التفسير القرآن الكريم يعتمد في الواقع على قواعد اللغة العربية، وعلى القرآن نفسه، إذ يفسر بعضه بعضاً، ويعتمد على الحديث الشريف كما أسلفنا، ذلك لأن تفصيل آيات القرآن كانت تعتمد على أسباب النزول، فلذلك قيل إن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم هو أعلم المفسرين، أما المفسرون الآخرون ففسروا القرآن، بما اعتمدوه من فهم وقرائن، وما تأثروا به من مذاهب، آراء المفسرين هذه لايمكن أن تكون ديناً، وإنما هي وسائل ومحاولات يسترشد بها المسلمون، ويفترض في التفسير الصحيح أن يكون نقياً من الخرافات والبدع والأهواء، ويتبع سلامة فهم كتاب الله عند تفسيره والقناعة العقلية بمعانيه، والإيمان القلبي المطلق بكل ما جاء به، والقراءة الجيدة لآياته، وربط معالجاته بالواقع، وإظهار الإعجاز البلاغي بأسلوب القرآن الكريم عند تفسيره.

إن التفسير بعد ذلك مبادئ أساسية يقوم عليها ومن أهمها:

- يجب أن يقوم الطالب بالتعلم بنفسه، ولكن تحت إرشاد المعلم وتوجيهه، فالطالب كلما وصل الى المعنى بنفسه أو بمساعدة المعلم كان أفضل، وكلما استطاع أن يشرح الآية بنفسه كان أفضل، لأن الطالب عندما يتعلم بنفسه يكون أثر هذا التعلم أعمق وأكثر دواماً، وعكس ذلك إذا كان المعلم هو المحور بالقراءة والشرح والاستنتاج يؤدي الى شعور الطالب بالعجز والاتكال.

- ينبغي في عملية التعليم أن نسعى الى إكساب الطالب مهارات التعليم الذاتي وقدراته، فلا يكون همنا على كيف يتعلم الطالب، ولا على ماذا يتعلم الطالب، بل يجب أن ندربه على الكيفية التي يمكن بها أن يصل الى الحقائق والمعلومات والمفاهيم.

- ينبغي أن يضيف المعلم وطلابه إلى الكتاب المقرر شيئاً، لا أن يكتفوا أن يكونوا صورة منه، ولكي يضيف المعلم وطلابه شيئاً إلى الكتاب ينبغي أن يبحثوا على كلمة أو عبارة لم يشرحها الكتاب، أو أن يناقش طلابه في الكيفية التي استنتج فيها لكتاب ما استنتج.

- إن القرآن الكريم كتاب عربي مبين، ولغته أعلى من أية لغة أخرى، وأسلوبه أرقى من أي أسلوب، ومع ذلك فإن الطالب العربي يمكنه أن يفهم آيات القرآن الكريم ولو فهماً إجمالياً، بعبارة أخرى يجب أن نرفع عن أذهاننا الاعتقاد القائل بان القرآن صعب.

- إن سياق الآيات يقوم بدور كبير في شرح المفردات والعبارات، وإذا ما فهم الطالب موضوع الآية ساعده ذلك حتماً على التغلب على صعوبة التفسير.

- يجب الاعتراف بان عقل الإنسان يفهم من الموضوع مايفهمه بشكل عام، ثم ينتقل من ذلك الفهم الكلي إلى فهم الجزئيات والتفاصيل، ومن هنا ينبغي الإفادة من هذا المبدأ في تفسير الآيات القرآنية، بمساعدة الطلبة على إدراك المعنى الكلي أو الموضوع عامة، ثم نتدرج معهم لمعرفة تفاصيل أكثر وأدق، ومن الخطأ السير في درس التفسير عكس ذلك.

خطوات تدريس التفسير

يمر تدريس التفسير عبر الخطوات الآتية:

1- التمهيد:

وهو تهيئة أذهان الطلاب للموضوع والآيات التي سوف تفسر، وفي التمهيد تتجلى فوائد كثيرة منها جلب انتباه الطلاب للدرس الجديد، وإيجاد الدافعية باتجاهه، ورفع ما علق بأذهانهم من دروس سابقة كي يكون الانتباه مركزاً حول الدرس الجديد، وللتمهيد أنوع فإما أن يقدم المعلم مقدمة موجزة يتناول فيها الفكرة العامة التي يدور حولها موضوع الآيات، أو يتحدث عن أسباب نزول هذه الآيات، أو يبدأ مباشرة بالتلاوة بوصف قراءاته النموذجية تمهيداً صالحاً للدرس، أو يثير مشكلة حيوية لها علاقة بموضوع الآيات لتعرف كيفية معالجة الاسلام لها، أو قد يلجأ بعض المعلمين إلى واحد أو أكثر من هذه الأنواع.

2- القراءة النموذجية للمعلم:

يقرأ المعلم الآيات موضوع الدرس قراءة تعبيرية مؤثرة واضحة يتجلى فيها الخشوع، لكي يتهيأ الطالب بل يتشوق لمعرفة معانيها، وعلى المعلم هنا أن يخبر طلابه بضرورة الالتزام بقواعد التلاوة الصحيحة، وإلزام الطلاب بها، إن القراءة التعبيرية تؤثر بلا شك بالطالب مثلما يتأثر بها المعلم، وهي تسهل على الطالب قراءة الآيات، وتفتح الباب أمامه لفهم مايقرأ.

3- قراءة الطلاب الجهرية:

ينتقل المعلم مباشرة إلى قراءة بعض الطلاب الجهرية، إذ يمكنه الاستغناء عن القراءة الصامتة، لأن درس التفسير يعني أن يكون التركيز على تفسير الآيات وليس على تلاوتها، لأن هناك درساً خاصاً بالتلاوة، نقول يقرأ بعض الطلاب، ونعني أفضل الطلاب في القراءة لتشجيعهم أولاً ولتشجيع زملائهم على المشاركة في القراءة مستقبلاً.

4- التفسير:

هناك طرائق وأساليب متنوعة في كيفية تفسير الآيات القرآنية، فهناك من المربين من يرى أن يكون التفسير بتناول الأفكار العامة والمعنى الإجمالي في الآيات القرآنية، أي تكوين فهم كلي للآيات، ثم الانتقال الى الجزئيات والتفاصيل، وهناك من يرى أن خطوات التفسير تأخذ المنحنى الآتي:

- شرح المفردات الصعبة والتراكيب الغامضة والمعاني.

- شرح معنى كل آية على انفراد.

- شرح معنى مجموعة الآيات التي تكون وحدة فكرية واحدة، بمعنى أن تنظم الآيات المفسرة على شكل مجاميع تعالج كل مجموعة منها موضوعياً معيناً، ثم ربط هذه الوحدات الفكرية مع بعضها وتفسيرها مجملة، مع مراعاة إظهار حكمة الانتقال القرآني من معنى إلى آخر، وروعة هذا

الانتقال، مثلما جاء في قوله تعالى مخاطبا يوسف عليه السلام: (يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ) ثم انتقل مباشرة إلى قوله تعــــــالى: (وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ ۖ) ([40]) .

- يمكن التفسير بذكر أسباب نزول الآيات، لأن أسباب النزول هي في الواقع تمهيد لشرح المغزى الذي تحمله هذه الآيات.

- قيام المعلم بتوجيه أسئلة منتقاة بشكل دقيق، يستحث فيها طلابه على محاولة التفسير، ويستحثهم أيضاً على التفكير، وفي هذه الطريقة شد للطلاب، وجلب لانتباههم، وإبعاد الكسل والاتكالية عنهم.

- يمكن أن يفسر المعلم بالاشتراك مع طلابه الآيات القرآنية بربط هذه الآيات بالواقع، فيضرب لهم أمثلة واقعية لها علاقة بموضوع الآيات، لأن ذلك يسهل عملية الفهم.

إن على المعلم وهو يفسر الآيات أن يراعي جانب الإقناع العقلي وإثارة الغيرة الدينية، أي يعمد الى مزج العاطفة بالتفكير، على أن يتجنب التزمت والتعصب، وإثارة النعرات الطائفية، ويتجنب الصياح والأسف، فكل ذلك ليس من أسلحة العلماء، بل هي أسلحة الضعفاء والجهال، لأن العالم يتصف أولاً بالخلق، وأول مزايا خلقه هدوؤه في الحديث، ولكن يبقى كل ذلك مجرد كلام، إذ يجب على المعلم أن يحول ذلك إلى سلوك لنفسه أولاً، ليكون القدوة الحسنة المنشودة.

5- الدروس والعبر:

يجب على المعلم أن يوجز الأفكار الأساسية على شكل نقاط محددة، وهي عبارة عن فوائد عملية يستقيها من الآيات المفسرة كي يتمثلها الطالب في حياته، ويفيد منها، ويجب أن يدون الطلبة في دفاتر خاصة هذه الدروس والعبر.

درس أنموذجي في تدريس التفسير

الأهداف العامة

1- فهم الطالب كتاب الله فهماً سليماً، وهذا يعني إمكانية التفسير الصحيح للقرآن الذي يؤدي إلى الفهم الصحيح لكتاب الله.

2- قناعة الطالب قناعة عقلية بمعاني القرآن الكريم، أي أن يطمئن عقله إلى الأحكام الواردة فيه، وتزويده بالدليل والبرهان وقوة الحجة للاستدلال على ذلك.

3- إيمان الطالب إيماناً قلبياً بكل ما جاء في القرآن الكريم، أي التسليم المطلق بما في الكتاب الشريف، سواء أجاء ذلك عن وعي أو لم يتمكن من الوعي فيه، فيما يتعلق بالأمور الغيبية خاصة.

4- قراءة الطالب كتاب الله العزيز قراءة جيدة، وهذا يعني ضبط حركاته وسكناته، ودقة نطق حروفه، والقراءة التعبيرية.

5- تمكين الطالب من ربط الإسلام بالواقع ربطاً يعي من خلاله أن الإسلام حل لمشكلات الواقع وبناء لكيانه.

6- تمكين الطالب من إظهار الإعجاز البلاغي بأسلوب القرآن، وتعريف سحر بيانه، ودقيق تصويره، وإحكام آياته.

الأهداف الخاصة

1- معرفة الطالب بعض آيات علم الله وقدرته.
2- تمكن الطالب من تلخيص الأفكار الأساسية في هذه الآيات.
3- اعتزام الطالب بقيمة علم الإنسان المستمد مما علمه الله سبحانه.

الأهداف السلوكية:

أ. الأهداف المعرفية

1- أن يعرف الطالب أن الله يعلم كل شيء، وقادر على كل شيء.

2- أن يقتنع الطالب تماماً أن كل كائن حي في هذا الوجود يرجع إلى الله فيحاسبه بما عمل.

ب. الأهداف النفسحركية (المهارية)

1- إن يلخص الطالب الأفكار الأساسية التي عالجتها الآيات البينات بلغته الخاصة.

2- أن يستعمل معاني المفردات الصعبة في كتاباته أو شرحه للآيات.

جـ. الأهداف الوجدانية:

1. أن يستوعب الطالب علم الإنسان الذي هو لاشيء أمام علم علام الغيوب.

2. أن يعتز الطالب بقيمة علم الإنسان وقدرته المستوحاة مما علمه الله.

خطوات الدرس

1- التمهيد:

قلنا إن هناك طرائق كثيرة يمكن أن يتبع المعلم إحداها لتفسير الآيات موضوع الدرس، والتمهيد لآيات (علم الله وقدرته) يمكن أن يطلب المعلم من طلابه قراءة النص الحكيم قراءة صامتة، ويمكن أن يعالج المعلم الكلمات الصعبة في النص، ويمكن أن يبدأ مباشرة بقراءة الآيات قراءة نموذجية بنفسه أو من مسجل، ويمكن أن يطلب من أحد الطلبة المتميزين قراءة النص قراءة أنموذجية.

وفيما يتعلق بآيات علم الله وقدرته فإن المعلم يمكن أن يمهد مستفيداً من قوله تعالى: (وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ)([41]) بأن يسأل: ما مفاتيح الغيب التي اختص الله بعلمها؟ يقول المعلم: إن الجواب على ذلك جاء في قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)([42]) فهذه الخمسة يمكن أن تكون هي مفاتيح الغيب.

2- قراءة النص قراءة أنموذجية:

يقرأ المعلم الآيات التي سوف تفسر في هذا الدرس، والتي تبين علم الله وقدرته، وهي قوله تعالى: (وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (59) وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (60)) ([43]).

3- الشرح والتحليل:

يقول المعلم: وردت في الآيتين الكريمتين كلمات قد تكون صعبة الفهم على بعضكم وبينها:

مفاتح: جمع مفتاح وهو الذي يفتح به ما هو مقفول.

الغيب: ما غاب عنا من معلومات، ويعلمها الله وحده.

ولا رطب ولا يابس: الرطب ماينبت، واليابس ما لا ينبت، وقيل هو الحي والميت، وقيل هو عبارة عن كل شيء، وقيل هو عبارة عن إحاطته بكل شيء.

الكتاب المبين: اللوح المحفوظ.

جرحتم بالنهار: كسبتم من خير أو شر

أجل مسمى: حياة محدودة الزمن في الدنيا.

مرجعكم: رجوعكم

ينبئكم: يخبركم.

يقول سبحانه وتعالى (وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ)وكلمة مفاتح تسمى في اللغة صيغة منتهى الجموع، إذن فمفاتح الغيب كثيرة، وهي على كثرتها يعلمها الله، فهو عالم الغيب.

لقد ذكرت لكم في التمهيد أن مفاتح الغيب التي اختص الله بعملها هي الخمسة التي وردت بقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ)، أي يعرف وحده سبحانه متى يبعث الناس من قبورهم يوم القيامة، وكل مايقال إن قيام الساعة يكون في يوم كذا، أو عصر كذا، أو زمان كذا، ماهو إلا ضرب من التخيل البشري القاصر، ولكن قيل بعلامات قيام الساعة، غير أنه لايمكن معرفة متى تكون هذه العلامات، فإنها في علمه وحده سبحانه.

وقال تعالة:(وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ)، إن مصدر الفعل ينزل هو تنزيل، والتنزيل غير الإنزال، فالله سبحانه ينزل الغيب تنزيلاً، ونزول المطر يكون بمشيئته تعالى في زمان ومكان محددين، ولكن إذا قال قائل إنا لعلم أثبت أن المطر ينزل في الشتاء في أماكن وفي الصف في أماكن أخرى، وان المطر يتكون من تصاعد النحار والمحيطات الى تطبيقات الجو العليا، وفي الجو العليا، وهناك تكون طبقة هوائية باردة تساعد على تكاثف قطرات الماء حول ذرات الغبار المتطايرة، فتصبح هذه القطرات ثقيلة لايمكن للرياح أن تحملها فتسقط مطراً، إن ذلك بعض ماتعلمه الإنسان بفضل الله تعالى، قال تعالى: (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً)، وقال سبحانه: (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ)، وإن حركة الرياح التي تحمل الغيوم الماطرة، بل حركة الكون كله إنما تكون بمشيئته تعالى.

وقال تعالى: (وَيَعْلَمُ ما في الأَرْحامِ) أي أن ما يوجد في بطون الأمهات من أجنة يعلمه الله، سواء أكان ذكراً أم أنثى، فإذا قال قائل إن علم (السونار) الحديث بدأ يعرف ما فيالأرحام فإن ذلك ممكن لتطور العلم وتقدمه، ولكن هذا لايعني أن الإنسان اشترك مع الله في هذا العلم، فالجنين الذي تكتمل صورته وأعضاؤه في شهر معين هو نفسه الوليد بعد تسعة أشهر، ولكن القصد هنا أن الله يعلم التكوين، أي منذ تتخصب البويضة بالحيمن الذكري، والأعظم من ذلك هو أن الله يعلم مستقبل هذا الجنين أشقى هو أم سعيد.

وقال تعالى: (وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً) ، إن الله يعلم الرزق، حتى ما يرزق به الجنين وهو في بطن أمه في قابل أيامه، وفي هذا تحد واضح للبشر، في أن يعرفوا مقدار ما يكسبونه في اليوم التالي، فإذا قال قائل إن الموظف يعرف مقدار ما يكسبه في نهاية الشهر، فإننا نقول إن المقصود ليس هو الكسب المادي فقط، وإنما المقصود هو كل مايسلكه الإنسان، أو كل ما يقوم به من عمل، خيراً كان أم شراً، وقال تعالى: (وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ).

فالموت هذا الهاجس المرافق للإنسان حيناً، وهذا القدر الحتمي الذي ينساه الإنسان أحياناً فإنه مدرك كل إنسان، ولكن متى؟ وكيف؟ وفي أي مكان؟ تلك أسئلة عجز الإنسان تماماً عن الإجابة عنها، وقال تعالى: (إن الله عليمٌ خبيرٌ) إن الله، وهذا توكيد، هو وحده سبحانه عنده علم ذلك وخبره.

وهكذا عرفنا(وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ) وهو يعلم كذلك (مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرْ) أي ما على ظهر الأرض، وما في باطنها، وما في جوف البحر من مخلوقات إلا يعلمها سبحانه. وهنا يجب أن نعرف أن هذه المخلوقات كلها، دون استثناء، يرزقها الله، فهو الرزاق الوحيد لها، فأنت إذا ما ذهبت إلى أعماق البحر، ووجدت حجرين فوق بعضهما، ورفعت أحدهما، لوجدت بينهما

دودة متناهية في الصغر، لعرفت حينئذ عظمة الله، وعرفت أن الله وحده يرزقها، ويضمن لها الحياة.

ويعلم كذلك: (وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا) فالله يعلم كل ورقة ساقطة من غصنها، ومن أي نوع، ونحن نعرف أن باقي القصر أو الاستثناء وجه بلاغي، فأنت تقول لزميلك: لاتذهب إلا بموافقتي، هي أقوى تعبيراً من قولك تذهب بموافقتي، وقال تعالى: (وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا)فزاد تأكيد الجملة بمن الزائدة، لذا يقول اللغويون هي الورقة الحقيقية، أو هي شيء آخر، فقد تكون روحاً جاء أجلها فسقطت ورقة رزقها كما يقولون، وذلك إيذاناً بالرحيل.

ويقول جل في علاه: (وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ)بعطف حبة على ورقة، فإذا كانت هناك ورقة سقطت بعلمه، فهو يعلم أيضاً بالقابل حبة في جوف الأرض، لا يصلها النور سوف تمزق سباتها بإذنه، وتنب لتورق وتزهر وتثمر، وقد يكون هذا تعبيراً واضحاً لدورة النبات في الطبيعة التي أحكمها الله سبحانه وتعالى صنعاً، إذن من أيقظ هذه الحبة من سباتها؟ إنه الله سبحانه هيأ لها شروط الإنبات فنبتت.

إننا نجد حبة صغيرة على بعد عدة أمتار من سطح الأرض تدفع الأرض بقوة عجيبة، أو تنفذ، من بين الصخور الصماء القاسية لتجد لها طريقا في الحياة، إنها قدرة الله وحكمته . ويقول تعالى:(وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ) فقد يكون الرطب ماينبت، واليابس ما لاينبت، أو إن الرطب تعبير عن الحي، واليابس تعبير عن الميت، او هو عبارة عن كل شيء فكل ما في هذا الوجود هو عبارة عن حي أو ميت، أو يكون المراد تعبيراً دقيقاً عن إحاطة علمه، وإن كل ذلك في اللوح المحفوظ، في قوله تعالى: (إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ)والآن لنفسر الآية الأخرى: (وهو الذي يتوفاكم بالليل) معنى يتوفاكم هنا ينومكم، لأن هناك مقارنة بين حال الإنسان وحالة النهار وليس المقصود هنا الموت الحقيقي لأن الانسان بحسب الروح ثلاثة أحوال: حالة يقظة، وحالة نوم، وحالة موت، فباعتبار تعلق الروح بظاهر الإنسان وباطنه تعلقاً كاملاً تثبت له حالة اليقظة وباعتبار تعلق الروح بظاهر الإنسان تثبت له حالة النوم، وباعتبار تعلق الروح عن الظاهر والباطن تثبت له الة الموت، فالله وحده هو المختص بكمال القدرة، فيتوفاكم بالليل، ينومكم للراحة، وأنت عندما تستيقظ في الصباح تشكر الله على بدء رحلة يوم جديد.

ويقول تعالى:(وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ)أي ما كسبتهم في النهار،(ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ)، أي يوقظكم في النهار، وقد قدم سبحانه وتعالى الكسب بالنهار على اليقظة، لأنه يعلم ما سوف يكتسبه الإنسان من خير، أو مايقترف من ذنب أو شر في يومه الآتي قبل استيقاظه.

والآن تعالوا لنتدبر قوله تعالى(ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُسَمًّى) أي لتعيشوا أو تحيوا تحيوا حياة محدودة الزمن في الدنيا (ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ) أي أنكم راجعون إليه حتماً، (ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) أي ثم يحاسبكم على أعمالكم في يوم القيامة.

لقد وردت (ثم) ثلاث مرات في هذه الآية، وأنتم تعرفون أن (ثم) حرف عطف يفيد بوجود فاصل زمني بين المعطوف والمعطوف عليه، فعندما نقول جاء خالد فعلى يعني أن خالداً جاء، وداء علي بعده مباشرة أي بدون فاصل زمني معين، في حين عندما نقول جاء خالد ثم علي فإن ذلك يعني أن علياً جاء بعد خالد بزمن معين قد يطول أو يقصر، ولذا قال تعالى:(وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)

([44])، أي أن هناك فاصلاً زمنياً هو طول الليل كله، وقال تعالى: (ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ)، أي ترجعون إليه بعد انقضاء حياتكم، أي أن هناك فاصلاً زمنيا هو طول عمر الإنسان، وقال تعالى: (ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) ، أي بعد انقضاء حياة البرزخ وهي حياة القبر، يبعثكم الله ليحاسبكم على أعمالكم، والفاصل الزمني هنا هي حياة القبر التي لانعرف مقدارها.

إن ما ورد من شرح لهاتين الآيتين وتحليلهما، لايمكن أن يكون حكراً على المعلم، وإنما يمكنه أن يشارك طلابه في الشرح والتحليل، إذ يستطيع المعلم أن يستثير طلابه بأسئلة خاصة تساعدهم على إعطاء بعض الأجوبة، أما التحيلي المعمق والمركز فيقع على عاتق المعلم.

4- استخلاص الدروس والعبر:

يستطيع المعلم وهو يحلل الآيات القرآنية أن يربطها بالواقع، فقد ذكرنا مثلاً في تفسير قوله تعالى: (ويعلم مافي الارحام)، إن جهاز (السونار) يستعمل الآن للتعرف على جنس الجنين وهو في رحم أمه، أما الدروس والعبر التي نستقيها من الآيات البينات فهي في الواقع الأهداف الخاصة نفسها، وعلى المعلم أن يطلع طلبته عليها، وأن يدونوها في دفاتر خاصة، وعلى ما يأتي:

1- إن الله يعلم كل شيء، وقادر على كل شيء.

2- إن كل كائن في هذا الوجود يرجع إلى الله فيحاسب بما عمل.

3- إن علم الإنسان مهما بلغ فهو لا شيء أمام علم علام الغيوب.

4- إن علم الإنسان مستوحى مما علمه الله.

الفصل الخامس

مفهوم الحديث النبوي الشريف

الحديث النبوي الشريف أو السنة النبوية المطهرة هو المصدر الثاني الذي تستقي منه التربية الإسلامية منهجها التربوي، والسنة لغة: هو الطريق: والأسلوب والمنهج، أما المعنى الاصطلاحي فيعني مجموعة مانقل بالسند الصحيح من أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأعماله، وما نهى عنه، وما وصفه، وما أقره، وما أحب، وما كره.. وغير ذلك. وقد جاءت السنة لتحقيق أهداف معينة:

أولها: إيضاح ما جاء في القرآن الكريم تنفيذاً لقوله تعالى: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ) ([45]).

وثانيهما: بيان تشريعات وآداب أخرى تنفيذاً لقوله تعالى: (وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ)([46])

إن السنة النبوية المطهرة لها فوائد تربوية عظيمة، فهي إيضاح للمنهج التربوي الإسلامي المتكامل الوارد في القرآن الكريم، والتفاصيل التي لم ترد فيه، وكذلك استنباط أسلوب تربوي من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم مع أصحابه، وعمله على غرس الإيمان في نفوسهم، لقد أدرك بعض علماء المسلمين الأهداف التربوية السامية لدى النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فصنفوا بعض أحادثيه تصنيفاً تربوياً مثل كتاب الترغيب والترهيب.

واشتق بعضهم من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وأحاديثه موضوعات تربوية قيمة.

وهكذا يكون كل ما أثر عنه صلى الله عليه وسلم سنة يجب على الناس اتباعها، وجاءت السنة مفسرة للقرآن، ولذا تقدم الكتاب العزيز على الحديث الشريف من حيث أن القرآن أصل وأساس الدين بما نزل به من الأصول الأساسية والقواعد الكلية والأهداف العامة، وجاءت السنة تابعة له لكن لاتختلف عنه.

لقد شملت الأحاديث النبوية حياة المسلمين الدنيوية والأخروية، وكان فيها من السهولة والواقعية ما جعلها قريبة للنفوس، موضحة ومفسرة لأحكام القرآن المجملة، وقد فسحت هذه السنة المجال للعقل الإنساني للتدبر والتفكير والإبداء.

وخلاصة القول إنه بحسب تحديدات علم الحديث فإن الأحاديث النبوية الشريفة الصحيحة يمكن اعتبارها مصادر لوضع المفاهيم الإسلامية وتطويرها.. وهكذا أرسى القرآن الكريم والسنة ونعا المحددات والحدود التي ينبغي أن يمارس ضمنها تكوين المفاهيم، ووضع النظريات واستنباط الاستشهادات.

إن مفهوم الحديث الشريف يأتي مما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل او تقرير، أما القول فيعني ما تلفظ به (صلى الله عليه وسلم) حول قضية معينة، وأما الفعل فما سلكه وما قام به من عمل لإنجاز شيء معين، أو ما قام به الآخرون وأقره صلى الله عليه وسلم وأيده، وهذا هو التقرير، ولأهميته البالغة في تكامل فهم الإسلام، وفي إظهار جوانب التكامل الإنساني في شخصية المصطفى صلى الله عليه وسلم اهتم المسلمون بالحديث فيما يتعلق بجمعة وتدوينه، وقد بذلوا جهداً

عظيماً خلال مدة زمنية طويلة، مما يمكن أن يكون معجزة بحق، وهو عمل يستحق كل إعجاب وثناء.

لقد ذهب بعض المفكرين والعلماء إلى أم الحديث الشريف وإن كان من قول النبي أو فعله إلا أنه تم بوحي من الله سبحانه، قال: (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى *)([47])، وهو بهذا المعنى مصدر ديني إلهي له قدسيته، وهو أصل من أصول الدين الإسلامي، ومنبع من منابع التشريع والهداية يجب الرجوع إليه والاعتماد عليه.

لقد شمل الحديث الشريف وتشريعه وهدايته حياة المسلمين في الدنيا والآخرة، بجوانبها السياسية والاقتصادية والفكرية والاجتماعية.

وهكذا يمكن أن نلخص أهمية الحديث الشريف بما يأتي:

- تثبيت العقائد الصحيحة كالإيمان بالله ورسوله وكتبه واليوم الأخر والملائكة والجنة والنار والثواب والعقاب.. وغير ذلك.

- تربية الوجدان الديني لدى الطلبة وحمايتهم من الانحراف الخلقي، وبث العادات الحسنة في نفوسهم مثل التعاون، والإحسان، وعمل الخير، واحترام حقوق الآخرين، والنظافة وإطاعة أولي الأمر.

- تزويد الطلبة بالألفاظ الدينية والمصطلحات الفقهية، وبكثير من أساليب اللغة وتراكيبها وصيغها، وتربية الذوق البلاغي لديهم.

- توسيع آفاق الطلبة ومعارفهم الدينية، واعانتهم على فهم نصوص القرآن الكريم، وإدراك أسراره، واكتسابهم القدرة على شرح ما يناسبهم من المسائل الدينية، وبما تعلموه من القرآن والحديث.

لقد أثر الحديث الشريف تأثيراً بينا في سلوك الفرد والجماعة، فقد كان صلى الله عليه وسلم هادياً بسلوكه الشخصي، مثلما كان هادياً بأحاديثه العظيمة، وهنا يجب تمثل هذه الأحاديث قولاً وعملاً.

إن صور الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم عديدة بينها الحديث الشريف، ومن هذه الصور أن:

الإنسان المسلم أولاً: يؤمن برسالات السماء جميعاً، ويتخذ من سلوك الأنبياء والرسل في حياتهم قدوة حسنة، وحدد النبي صلى الله عليه وسلم وضعه بين الأنبياء، والرسل بصورة دقيقة، يقول صلى الله عليه وسلم: (وإن مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بني بيتاً وأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له يقولون هلا وضعت هذه اللبنة، قال: أنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين) .

والإنسان المسلم ثانياً: يجب أن يهتم بجسمه، ولجسدك عليك حق، قال صلى الله عليه وسلم عندما سمع أن أحدهم يصلي الليل أبداً، وآخر يصوم الدهر ولايفطر، وثالث يعتزل النساء: (أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني).

وكان صلى الله عليه وسلم قدوة في المحافظة على هذا الجسد بالنظافة والرياضة والطعام والشراب والوقاية من الأمراض.

إن الإنسان المسلم ثالثاً: ذو خلق وحياء: قال صلى الله عليه وسلم: (من أحب عباد الله الى الله تعالى؟ قال: أحسنهم خلقاً، وخلق الإسلام هو الحياء)، وقال صلى الله عليه وسلم: (إن لكل دين خلقاً وخلق الإسلام الحياء).

والإنسان المسلم رابعاً: يتربى على الجمال، فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتسم بطابع الجمال سواء في مظهره أو قوله أو أفعاله، فالحسن والجمال والزينة ميزات لملابس الرسول صلى الله عليه وسلم ومظهره الجسمي سواء كان ذلك في صلاته أو حجه.

ومن مظاهر الجمال التي يربى عليها الرسول قوله: (إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الإناء)

إن الإنسان المسلم خامساً: يهتم بتربية عقله فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم المسلمين أمور الحياة وما يصادقهم من استفسارات، وذلك من أجل نماء العقل وفهمه وإدراكه، وبأنه صلى الله عليه وسلم يحدث المسلمين في حلقات علم، وفي حوار علمي.

نقل عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان في مجلس يحدث القوم فجاء أعرابي فساله، متى الساعة؟ فمضى النبي صلى الله عليه وسلم يحدث فقال بعض القوم: سمع ما قاله، وقال بعضهم: بل لم يسمع، حتى إذا قضى حديثه، قال: (أين أراه السائل عن الساعة) قال: ها أنا يا رسول الله، قال: (فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة)، قال: كيف إضاعتها؟ قال: (إذا وسد الأمر الى غير أهله، فانتظر الساعة).

والإنسان المسلم سادساً: عضو في جماعة، وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم مربياً اجتماعياً بارعاً، فقد تناول حديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) طريق التربية الإسلامية في المنزل وفي مجالات الحياة كافة.

ويمكننا القول إن الجزء الخاص بأمور التربية الاجتماعية من أمور المجتمع في الحديث الشريف هو أكبر جزء فيه، فلقد كانت رسالته (صلى الله عليه وسام) قائمة على تغيير سلوك الناس البغض، وتعليمهم كيف يكونون أخوة متحابين.

إن الحديث الشريف أخيراً لم يجمع في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وإنما بدأ الجمع الحقيقي له في عهد الخليفة الأموي عمر بن عبدالعزيز، ثم أكمل هذا العمل الجبار في العهد العباسي على يد البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه وغيرهم.

خطوات تدريس الحديث النبوي الشريف

1. التمهيد:

إن فوائد التمهيد وأنواعه واحدة تقريباً في كل فروع التربية الإسلامية، إلا أن لها خصوصية في بعض الفروع، ففي الحديث الشريف قد يتطرق المعلم إلى مشكلة قائمة يعالجها موضوع الحديث، أو يتحدث المعلم عن مشكلة عالمية إنسانية قد يعجز الإنسان عن حلها، ولها صلة بالحديث الشريف، أو قد يتحدث عن السلوك بشكل عام والاستقامة في الخلق بشكل خاص، أو يعطي تلخيصاً على شكل منظم متقدم للحديث الشريف تمهيداً للإسهام في شرحه وتوضيحه.

2. قراءة المعلم النموذجية:

يقرأ المعلم الحديث الشريف قراءة أنموذجية بأناة، وبصوت واضح من دقة ضبط الحروف، ويجب أن يقرأ المعلم الحديث بقدسية أيضاً، لأن الأحاديث الشريف جاءت موضحة لقدسية القرآن وتشريعاته.

3. الشرح والتحليل

على المعلم أن يشرح الحديث الشريف، ويحلل الأفكار المتضمنة فيه بتجزئته إلى وحداته الفكرية وعناصره الأساسية، إذا كان الحديث يعالج أكثر من قضية، وعلى المعلم أن يحلل كل وحدة بصورة مستقلة، ثم ينتقل بطريقة مدروسة من عنصر إلى آخر، ومن فكرة إلى أخرى انتقالاً مترابطاً ومؤثراً، وعليه أيضاً أن يربط الحديث الشريف خلال عملية الشرح والتحليل بالواقع ومشكلاته.

وعلى المعلم أيضاً أن يبتعد، وهو يحلل الحديث عن اللغة واللهذر، ويهتم بالتعليل والاستنتاج، ليكون حديثه منطقياً وأدبياً، ولا ينسى أن يدعم كلامه بالآيات القرآنية والأحاديث الأخرى، وعيون الشعر العربي، ولا ينسى أيضاً أن القصص تصور واقع الفكرة التي يشرحها الحديث، وهي أسلوب مشوق يفترض بالمعلم أن ينتقي بعض القصص الملائمة لبيان أهمية الحديث، وعليه أخيراً وهو يحلل الحديث الشريف أن يلخص كل وحدة بعناصرها بإيجاز، ثم يوجز المعنى الإجمالي للحديث في نهاية الشرح والتحليل.

4. الدروس والعبر:

يستنتج الملهم بالتعاون مع الطلاب الدرس والعبر التي يتضمنها الحديث الشريف، على أن يضعها على شكل نقاط محددة، يدونها الطلاب في دفاترهم الخاصة، وبعد أن يفرغ من استخلاص الدروس والعبر ينبه الى الواجب البيتي، وصورة حفظ الحديث لتسميعه في الدرس القادم.

درس أنموذجي في تدريس الحديث النبوي الشريف

علامات المنافق

الأهداف العامة:

إن أهم الأهداف العامة من تدريس الحديث الشريف، هي:

1) إتقان الطالب قراءة الحديث الشريف مضبوطاً ضبطاً سليماً.

2) الفهم الصحيح للحديث الشريف لاستخراج مافيه من أحكام وشروح، وأمور دينية ودنيوية.

3) تمييز الطالب بين القرآن الكريم والحديث الشريف.

4) تمكين الطالب من التفريق بين الأحاديث الصحيحة، والأحاديث الموضوعة (غير الصحيحة).

5) تنمية الوازع الديني لدى الطالب، لأن تنمية هذا الوازع يؤدي به الى الطريق القويم.

6) جعل الطالب محباً لرسول الله، ومتعلقاً بشخصيته وفعله وقوله.

7) تربية حسن التهذيب لدى الطالب، وعلو التقدير للآخرين واحترامهم، مثلما كان الرسل(صلى الله عليه وسلم) يفعل.

8) إفهام الطلاب منهج جمع الحديث الشريف، ومعرفته بصحة النص وصحة النقل.

الأهداف الخاصة:

1) معرفة الطالب معنى النفاق.

2) توصل الطالب الى توجيهات الحديث الشريف.

3) تجنب الطالب خصال النفاق.

4) كره الطالب للنفاق.

الأهداف السلوكية:

1) الأهداف المعرفية:

1) أن يعرف الطالب معنى النفاق.

2) ان يتعرف الطالب علامات المنافق.

2) الأهداف النفسحركية:

1) أن يتوصل الطالب إلى توجيهات الحديث.

2) أن يستعمل الطالب معاني الكلمات الصعبة الواردة في الحديث.

ج) الأهداف الوجدانية:

1) أن يمقت الطالب النفاق.
2) أن يتجنب الطالب أياً من خصال النفاق.

خطوات الدرس

1. تمهيد:

مثلما نعرف أن التمهيد لتدريس الحديث له خصوصية خاصة، فالمعلم قد يتطرق الى مشكلة قائمة يعالجها موضوع الحديث، أو يتحدث عن السلوك بشكل عام، وبخاصة ما يتعلق بالاستقامة في الخلق، أو قد يعطي المعلم ملخصاً على شكل منظم متقدم لهذا الحديث الشريف تمهيداً للإسهام ي شرحه وتحليله.

ويمكن للمعلم أن يمهد لهذا الحديث (علامات المنافق) بالقول: إننا نسمع كثيراً عن كلمة النفاق، ونطلقها على بعض الأشخاص بمجرد أنه ينقل لنا خبراً لم يثبت من صحته، ومرة يحلو لبعضنا أن يخاطب أصدقاءه وإخوانه على سبيل المداعبة، ويقول لهم: إنكم منافقون، وهي كلمة كبيرة، وعقابها عند الله شديد.

النفاق وصف لقوم أظهروا الإسلام، وفي حقيقتهم ودواخلهم قوم كافرون، وقد لعن الله المنافقين وذمهم، لأنهم يتصوفون بالغش والمكر والخديعة.

إن المنافقين يتخلقون بالكذب والفساد في الأرض، ويتصفون أيضاً بالنميمة والغيبة وشهادة الزور، وكذلك خلف الوعد ونقض العهد والخيانة في الامانة، قال تعالى: (الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿67﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ هِيَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿68﴾)([48]).

2. القراءة الجهرية الأنموذجية للمعلم

يقرأ المعلم الحديث الشريف قراءة أنموذجية مرة أو أكثر، والحديث الشريف موضوع الدرس هو:

عن ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا أؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر).

3. الشرح والتحليل

وردت في الحديث الشريف مفردات تستدعي الشرح والتوضيح، منها:

النفاق: مخالفة الباطن للظاهر.

غدر: نقض ما اتفق عليه، ولم يف بما عاهد عليه.

خاصم: نازع.

فجر: بالغ في الخصومة، ومال عن الحق.

المنافقون في كل زمان ومكان تختلف أفعالهم وأقو\الهم، ولكنها ترجع الى طبع واحد، وتنبع من معين واحد: سواء الطوية ولؤم السريرة والفخر والدس والضعف عن المواجهة، والجبن في الصراحة، والخيانة في الأمانة، والكذب في القول والفعل، والغدر والفجور، تلك هي سماتهم، أما سلوكهم فالأمر بالمنكر والنهي عن المعروف، والبخل بالمال إلا أن ينفقوه ابتغاء السمعة، فهم خارجون عن افيمان منحرفون عن الطريق.

لقد جعل الرسول الكريم في حديثه الشريف، موضوع درسنا اليوم، للمنافقين علامات يعرفون بها، وهذه العلامات أربع:

أولى هذه العلامات الخيانة: وهي عدم الأمانة فيما يوكل الى الإنسان من عمل أو مال أو قول، والأمانة واسعة الدلالة ترمز الى معان كثيرة، وتتسع للعلاقات جميعها، وفيها يشعر المرء بتحمله لهذه الأمانة، وإنه مسؤول عنها أمام ربه، فمثلاً التزام الإيمان أمانة، وإعطاء كل حق حقه أمانة، ووضع كل شيء في المكان اللائق به شرعاً أمانة، يقول (صلى الله عليه وسلم): (لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له) إن خيانة الواجبات تتفاوت في الإثم وأعظمها خيانة حاكم أو مسؤول تولى أمور الأمة فنام عنها حتى أضاعها.

وثانية علامات المنافق الكذب: وهي رذيلة محضة تنبئ عن تمكن الفساد في نفس صاحبها، وعن سلوك ينشئ الشر إنشاء، ويندفع الى أم من غير ضرورة قاهرة، مع أن الكاذب يجني على نفسه قبل أن يجني على غيره، فلا يقام له وزن، ولا يأمنه أحد على شيء، فإن كان الكاذب عالماً اتهم في قلمه ولسانه، أو تاجراً اتهم في أعماله، أو طبيباً اتهم في آلته أو معرفته، أو محامياً اتهم في أمانته وقدرته.

وبعد الكذب على دين الله من أقبح المنكرات، ويدخل في نطاق هذا الافتراء سائر ما ابتدعه الجهال والمنافقون على دين الله من محدثات لا أصل لها، عدها العوام ديناً وما هي بدين، ثم ما ينبغي لعاقل أن يتخذ الكذب عادة له، وهو يعلم أن الله محاسبه، قال تعالى:(مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) ([49])، ومع ذلك كله فإن الكذب المباح عندما يراد به طريقاً فلإصلاح بين الناس، أو النصر على عجو كافر.

وثالثة علامات المنافق الغدر، وهو نقض العهد، ونقض العهد صفة تكون سبباً في فساد الثقة وانعدامها في المواثيق التي تعقد بين الناس أو بين الدول.

إن العرب حق في جاهليتهم كانت تنصب عندهم راية في الأسواق المعروفة، يلعن بها غدر الغادر تشهيراً به، شناعة لأمره، ليعلن اسمه على الملأ فلا يثق الناس بعهوده، ولايعقدون معه المواثيق، وكذلك سيكون حال من اتصف بذلك في الآخرة، قال الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم): (لكل غادر لواء يوم القيام يقال: هذه غدرة فلان ابن فلان).

أما رابعة علامات المنافق فهي الفجور في المخاصمة، وهذه خصلة تدفع إلى كل المفاسد، فالفاجر ينكر على خصمه كل حق، ويدعي عليه بكل باطل، ويقسم على ذلك بالإيمان الكاذبة، ويعمل على النكاية به بكل الوسائل، يستبيح ماله وعرضه متنكراً لأبسط أنواع العلاقات الإنسانية.

إن علم المعلم بعد ذلك أن يربط مضمون هاذ الحديث بالواقع، وذلك بأن يتطرق إلى خطر المنافق في المجتمع، فهو يفتك بالأخلاق، ويقطع كل أواصر الصلة في المجتمع، فهو جندي الشيطان يسخره للفتنة، وما كثرة القتل وتحارب الدول مع بعضها إلا بعمل المنافقين.

من هنا جعل الرسول (صلى الله عليه وسلم) علامات يعرف بها المنافقون، فيشار إليهم بالفسق والفجور والكذب على الله، وعند ذاك يمكن تجنبهم

4. الدروس والعبر

يثبت الطلبة الدروس والعبر الآتية المستقاة من الحديث الشريف:

1) إن النفاق والمنافقين خطر على الأفراد والمجتمعات والدول.

2) إن النفاق جملة خصلة ممقوتة يجب تجنبها.

3) إن الله سبحانه وتعالى أعد للمنافقين عذاب السعير.

إن هذه الطريقة التي درس بها الحديث الشريف (علامات المنافق) تسمى الطريقة القياسية، حيث يعرض الحديث أولاً ويحلل، أما إذا أراد المعلم إتباع الطريقة الاستقرائية في تدريس الحديث فإنه ينبغي أن يبدأ بتناول أفكار يناقشها مع طلابه، ثم ينتهي بقانون عام أو تعميم يمكن أن يعبر عن جميع هذه الأفكار، إن هذا التعميم هو الحديث الشريف.

درس أنموذجي لتدريس حديث نبوي شريف بالطريقة الاستقرائية

(فضل الصدق)

الأهداف العامة:

وهي أهداف تدريس الحديث نفسها المذكورة في تدريس حديث (علامات المنافق).

الأهداف الخاصة:

1) معرفة الطالب فضل الصدق، وأهمية الإنسان الصادق.

2) معرفة الطالب ما يؤدي اليه الكذب، ومقت الإنسان الكاذب.

3) إطلاع الطالب على ما أعد للصادق، وما أعد للكاذب.

4) حمل الطالب على الصدق واجتناب الكذب.

الأهداف السلوكية

1) الأهداف المعرفية:

1) أن يعرف الطالب فضل الصدق.

2) أن يعرف الطالب أن الكذب خصلة ممقوتة .

3) أن يطلع الطالب على الثواب الذي وعد به الصادق، والعقاب الذي سيجزي به الكاذب.

2) الأهداف المهارية:

1) أن يزاول الطالب الصدق.

2) أن يجتنب الطالب الكذب.

3) أن يروي الطالب قصة عن الصدق والكذب.

ج) الأهداف الوجدانية:

1) أن يؤمن الطالب بالصدق صفة ملازمة للمؤمن.

2) أن يثمن الطالب الإنسان الصادق.

3) أن يمقت الطالب الكذب والكذابين.

خطوات الدرس

1. التمهيد:

يمكن أن يمهد المعلم هنا بمن روى حديثاً صحيحاً عن فضل الصدق، وهو الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود، فيقول عبدالله بن مسعود الهذلي (رضي الله عنه) أسلم في أول الدعوة الإسلامية، وهو أول من جهر بالقرآن الكريم في مكة المكرمة، وتحمل الأذى بسبب إلامه، اشترك (رضي الله عنه) في غزوات الرسول (ص)، وفي الفتوحات من بعده، أرسله الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى الكوفة لتعليم الناس الإسلام، وتلاوة القرآن الكريم، عينه الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) والياً عليها، توفي عبدالله بن مسعود في المدينة المنورة سنة اثنين وثلاثين للهجرة.

1) عرض الأفكار:

قلنا إن الاستقراء يعني أن تبدأ بالجزيئات، وفي تدريس موضوع(فضل الصدق) يمكن أن يناقش المعلم طلابه في هذا الموضوع، وصولاً الى الحديث الشريف الذي هو بمثابة التعميم أو القانون العام.

يقول المعلم: نحن نعرف جميعاً أن الصدق من أكرم الصفات التي أمر بها الله سبحانه وتعالى، وتحلي بها أنبياؤه عليهم السلام، وقد عرف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالصدق قبل البعثة وبعدها، حتى كان قومه يلقبونه بالصادق الأمين، وقد كان لذلك أثره الكبير في إيمان الناس به ودخولهم الإسلام.

ويقول أحد الطلاب:

إنني قرأت في درس التاريخ أن ملك الروم الذي دعاه الرسول محمد (ص)، أنه أي ملك الروم استدل على صدق النبي محمد(صلى الله عليه وسلم) بأن سأل أبا سفيان الذي كان كافراً وقتها عن النبي(صلى الله عليه وسلم)، فقال ابو سفيان أن محمداً يدعونا الى عبادة الله وحده، ويأمرنا بالصلاة والصدق، فقال الملك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل النبوة؟ فقال أبو سفيان: لا، قال الملك: ما كان ليترك الكذب على الناس، ويكذب على الله.

ثم يسأل المعلم طلابه:

هل عُرف الصدق عن أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم)؟

يجيب أحد الطلاب: نعم فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين صادقين في علاقتهم بالله أولاً، وكانوا صادقين في أقوالهم وأفعالهم، صادقين في بيعهم وشرائهم، صادقين في تعاملهم مع المسلمين وغير المسلمين، وقد مدحهم الله تعالى بهذه الصفة، وأي تزكية لهؤلاء أفضل من تزكية الله لهم، يقول تعالى: (لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) ([50]).

طالب آخر: ومن صدقهم أيضاً ما روي عن أنس بن النضير رضي الله عنه أنه لم يشهد معركة بدر مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فتألم لذلك ووعد لئن حضر غزوة أخرى مع رسول الله(صلى الله عليه وسلم) ليرين الله مايصنع وعندما حدثت غزوة أحد خرد مع المسلمين يقاتل قال الأبطال حتى سقط شهيداً، وأثنى الله سبحانه وتعالى غليه في قوله:(مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا) ([51]) .

ثم يسأل المعلم: استناداً الى ذلك ما جزاء الصادق؟

يجب أحد الطلبة: إ‘ن المسلم الذي يتحلى بالصدق ويعتاده، فيحرص عليه في كل أقواله وأفعاله، ويلازمه طوال حياته، حتى يعرف به ويرضى عنه الله تعالى ويدخله الجنة، ويجعل له فيها منزلة عالية مع النبيين والصديقين، ويكسب كذلك ثقة الناس ومحبتهم

ينتقل المعلم هنا مع طلبته الى قبح الكذب وأضراره فيقول:

الكذب عكس الصدق، وفيه يعتمد الإنسان الى البعد عن الحق، فإذا تكمل أخفى الحقيقة، وإذا سأله احد عن شيء كذب في إجابته، وقد يدعي أنه فعل شيئا وهو لم يفعله، فيكون بذلك كاذباً.

أحد الطلبة:

الكذب صفة مذمومة لما فيه من خداع، ولما يسببه من فساد وخصومه لبين الناس، وضياع حقوقهم، وقد نهى الإسلام عن الكذب، وشدد على محاربته، وحذر من عقوبة الكاذب.

إن الكذب يؤدي الى معصية الله وغضبه، والكاذب يخالف أوامر ربه، ويستهين بوعيده، ويتجرأ عليه، ويخرج بذلك عن طاعته، وهو بذلك يفعل ما يغضب الله تعالى ورسوله، ويجلب سخطه وعذابه.

ويعقب المعلم:

هكذا هو الكذب رذيلة يجب اجتنابها، فقد روي عن عائشة (رضي الله عنها) أنها قالت: (ما كان خلق أبغض الى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من الكذب)

إن الكذب لا يأتي بخير، بل يضر صاحبه، ويجعله يخسر ثقة الناس به، ويفقد احترامهم له، ولا يحل أن يلجأ اليه ي جد أو مزاح، ولا أن يتعامل به مع الكبار أو الصغار، لأنه في جميع الأحوال عادة ممقوتة، وفعل قبيح.

ويسأل المعلم: ما جزاء الكاذب؟

يجيب طالب: إن الإنسان إذا أصر على الكذب وداوم عليه يصبح الكذب عادة ملازمة وصفة يمتاز بها، ويقوده ذلك الى الفجور وارتكاب المعاصي، فيستحق غضب الله تعالى وسخطه.

وبعد أن يتطرق المعلم مع طلابه الى الصدق والكذب وإجراء هذه المقارنة بينهما يمكن أن ينتقل الى أجزاء الحديث الشريف موضوع الدرس.

فيسال: الى أي شي يهدي الصدق؟

فيجيب أحد الطلبة: يهدي الى الخير والمحبة والاحترام، بل كسب رضا الله، ثم تأتي المكافأة التي ينتظرها أل وهي الفوز بالجنة.

طالب آخر:

ويمكن أن أسأل: إذا كان الصدق يهدي الى هذه الصفات العظيمة فإلى أي شيء يهدي الكذب؟

أحد الطلبة يحيب:

إن الكذب يهدي إلى الفجور والمعصية، والذي يعصي ربه، ويزاول الموبقات دون خجل، بل قد يتباهى بمزاولتها فإنه حتماً يجزي بما كسب وزاول، أي أن مصيره النار.

يقول المعلم:

أحسنتم جميعاً.. وهكذا جمع الرسول الكريم(صلى الله عليه وسلم) بحديث شريف يمكن أن نعده دستوراً وقانوناً نلتزم به، لأنه (صلى الله عليه وسلم) يهدينا للتي هي أقوم.

2) استنتاج القاعدة أو القانون أو التعميم:

يثبت المعلم في هذه الخطوة الحديث الشريف موضوع الدرس.

عن ابن مسعود (رضي الله عنه) عن النبي(صلى الله عليه وسلم) قال: (إن الصدق يهدي الى البر، وإن البر يهدي الى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكون يكون صديقاً، وإن الكذب يهدي الى الفجور، وإن الفجور يهدي الى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاً).

3) التطبيق:

لقب أبو بكر (رضي الله عنه) بالصديق لصدقه لرسول الله، ولملازمة هذه الصفة نله.. اذكر لمحات تعرفها من سيرة أبي بكر الصديق.

4) الدروس والعبر

يمكن استخلاص الدرس والعبر الآتية:

1) المسلم يحرض على التزام الصدق في القول والعمل لما له من فضل عند الله تعالى.

2) المؤمن الصادق يطيع ربه فيرضى عنه ويدخله الجنة

مفهوم السيرة النبوية

خطوات تدريسها

تعتبر السيرة النبوية من أخصب المواضيع الإسلامية من الناحية الفكرية، فهي تصوير لسيرة المصطفى(صلى الله عليه وسلم) من جوانبها كافة فقد اتصف محمد (صلى الله عليه وسلم) بأقصى ما وصل إليه من الإنسان من درجات الكمال، فهو الذي قال فيه الخالق سبحانه: (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) ([52])، وقال تعالى: (وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ) ([53])، وورد عنه قوله (صلى الله عليه وسلم): (أدبني ربي فأحسن تأديبي) إن الرسول الكريم يعد قوة لاتقهر، وعزيمة لاتفل، ونفساً لا تهدأ، هو طاقة دفاقة من النشاط في عبادة الله، وهو الزاهد في الدنيا، هاجسه الأول والأخير رضاء الله سبحانه وتعالى، فضلاً عن أن الله كمل خلقته، وجمل خلقه. إنه السياسي والإداري والقائد، وهو العسكري الشجاع، والصارم المطاع، وهو العابد الذي تخشع جميع حواسه لله سبحانه وتعالى.. وهكذا كان محمد (صلى الله عليه وسلم) زاهداً متواضعاً رحيماً وفياً بليغاً، قال تعالى فيه:(لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) ([54]) .

إن رجلاً هذه صفاته وهذه سيرته لا بد من دراسته والوقوف على جوانب حياته التي غيرت وجه حياته التي غيرت وجه العالم.

إن السيرة بعد ذلك تعني مضمون حياة الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) القيادية والفكرية والعلمية، ومنهجه في تبليغ الدعوة الى الناس، وطريقة عرضه من الوجهة الأخلاقية والنفسية والسياسية، وما واجهه (صلى الله عليه وسلم) من مصاعب ومحن، وكيف تغلب عليها بتأييد الله وبعزيمته الصادقة.

لقد كانت حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم) نموذجاً خالداً لحياة الرجال، ومن هنا كانت دراسة سيرته ضرورية لكي نستلهم منها الفائدة والعبرة، وبناء على ذلك كانت دراسة هذه السيرة المعطرة في المدارس خاصة ذات أهمية كبيرة، فيها تتوحد للأهداف، وتنشأ الإرادة، ويقوم الخلق، وواجب المربين، وبخاص المعلمين، أن يبنوا جيلاً إسلامياً يتأسى بهذه السيرة العطرة، وبسيرة الصحابة الكرام بما قالوه وفعلوه.

ولكي نفهم السيرة فهماً دقيقاً لابد من ربطها بفرع التربية الاسلامية الأخرى، فالسيرة أولاً لها ارتباط وثيق بالقرآن الكريم، إذ كان (صلى الله عليه وسلم) خلقه القرآن، وعلى المعلم أيضاً أن يربط السيرة بالعقيدة الإسلامية وبدروس الفقه الإسلامي، وإن للسيرة النبوية بعد ذلك أثراً في سلوك الأفراد والمجتمعات، فليس الغرض من دراسة السيرة النبوية وفقهها مجرد الوقوف على الوقائع، وإنما دراسة هذه السيرة بوصفها تاريخاً يجب أن يكون الغرض فيه تقديم صورة المسلم عن الحقيقة الإسلامية في مجموعها، متجسدة في حياته(صلى الله عليه وسلم).

أما أهمية السيرة لتتجلى في فهم شخصية النبي(صلى الله عليه وسلم)، وذلك من خلال حياته، والظروف التي عاش فيها، وتتجلى في صورة المثل الأعلى في كل شؤون الحياة، تلك الصورة

التي تمثل دستوراً ومثلاً يجب التمسك به، وإننا نجد في سيرته(صلى الله عليه وسلم) ما يعيننا على فهم كتاب الله، وتذوق روحه ومقاصده، وكذلك يستجمع لدينا نحن المسلمين قدر كبير من الثقافة والمعارف الإسلامية الصحيحة.

إن الغرض من تدريس السيرة هو تهذيب السلوك وتقويم الأخلاق، لأن السيرة تزودنا بالعبرة والعظمة والأسوة والقدوة ن فيكون ذلك وسيلة موصلة الى التخلق بالأخلاق الفاضلة، والتحلي بالآداب الطيبة، فدروس السيرة بصفة عامة إنما هي دروس اقتداء واهتداء.

وتجدر الإشارة الى أنه يجب أن يكون المعلم ملماً إلماماً تاماً بالسيرة وصاحبها، وأن سكون قادراً على إخراجها في صورة قصصية شائقة، لتثير الطلبة وتشجعهم على متابعة حوادثها موقفاً بعد موقف، ونتيجة بعد مقدمة، ليكون مغزى القصة من ضمن أعمالهم العقلية وانفعالاتهم الوجدانية، وينعكس ذلك على سلوكهم وأخلاقهم.

خطوات تدريس السيرة النبوية

تأخذ خطوات تدريس السيرة النبوية مرحلتين هما:

- مرحلة التحضير.

- مرحلة التدريس.

فعلى المعلم في مرحلة التحضير أن يقرأ بدقة قبل المجيء الى الصف، وأن يبحث في المصادر التي تخص الموضوع، وبعد ذلك يبدأ بترتيب الموضوع على وفق الأفكار فيضع مثلاً الموضوع على شكل رؤوس نقاط متسلسلة، بعد أن يضع مقدمة مناسبة، وأن يضع أسئلة تلخيصية، وأن يبين كيف سيربط موضوع السيرة بالواقع، وكيفية مقارنة هذا الرجل العظيم بنماذج من شخصيات تدعى العالمية.

أما مرحلة التدريس فتتمثل بالخطوات الآتية:

1) التمهيد:

يختلف التمهيد لدرس السيرة عن الدروس الأخرى لتنوع موضوعات السيرة، ومع ذلك فيمكن للمعلم أن يمهد بالحديث عن الإنسان الكامل، والقدوة الحسنة، والصورة الحية للإسلام، والنموذج الخالد لتربية الله، وهذه كلها تتجسد في شخصية محمد (صلى الله عليه وسلم) وقد يمهد بذكر الواقع، ومقارنة هذه الواقع، سواء أكان عربياً أم عالمياً بسيرة المصطفى(صلى الله عليه وسلم)، أو يكون التمهيد بعرض نماذج من كتب السيرة النبوية، وهي كثيرة، وكل منها يتناول جانباً أو أكثر من حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم).

2) عرض الموضوع:

يمكن للمعلم أن يعرض موضوع السيرة بعدة طرق، فقد يعرضه بطريقة الاستجواب، وذلك بتوجيه أسئلة واضحة في موضوع الدرس، والحصول على إجابات الطلبة، ويمكن للمعلم أن يساعد الطلبة على هذه الإجابة وتسجيل بعض عناصر الموضوع على السبورة.

ويمكن أن يعرض المعلم موضوع السيرة بطريقة الوحدات، أي بتقسيم الموضوع إلى وحداته الفكرية، وذكر الخلاصة في نهاية كل وحدة مأخوذة من الطلاب، على أن يصوغها المعلم بأسلوبه الخاص، وتثبيت عنوان كل وحدة وعناصرها على السبورة، وهناك طريقة أخرى للعرض هي طريقة القصص، أي يجعل موضوع السيرة قصة لها شروطها وأهدافها، على أن يراعي المعلم عندما يعرض الموضوع على شكل قصة التسلسل المنطقي والتاريخي لها، وإتباع أسلوب التشويق لتحقيق الإثارة الوجدانية، والعناية بحس التحليل والتعليل، مع الموازنات والمقارنات، والاهتمام بمغزى موضوع السيرة.

3) الدروس والعبرة:

على المعلم من خلال عرض الموضوع أن يشير إلى أننا نستفيد الكثير من الدروس من موضوع السيرة، وعندما يفرغ من العرض والتحليل يجب أن يوجه أسئلة لطلابه حول ما أفادوه من هذا

الموضوع، وبعد تهذيب الإجابات يصوغها المعلم بأسلوبه الخاص، ويطلب من طلابه تدوينها في دفاترهم الخاصة.

درس أنموذجي في تدريس السيرة النبوية

الأهداف العامة:

1- تكوين حب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وحب أصحابه والاقتداء بهم.

2- تصور الطالب للسيرة النبوية في عقله وروحه وعاطفته ومشاعره وخلقه وعقيدته.

3- تنمية الشعور الديني لدى الطلاب، ودفعهم إلى التمسك بمبادئ الدين، نتيجة تأثرهم بالسيرة المطهرة.

4- فهم الطالب الإسلام ونظمه وشريعته وأحكامه، من خلال سيرة المصطفى محمد (صلى الله عليه وسلم).

5- تمييز الطالب بين الصلاح والتقوى، وبين الفساد والشر والانحراف.

6- غرس حب العمل المتقن في نفس الطالب ن وحب الأسرة والأهل والعدل بينهم، والقيام بواجبهم، والتضحية في سبيلهم.

الأهداف الخاصة:

1- معرفة الطالب بسيرة المصطفى (صلى الله عليه وسلم).

2- تمكن الطالب من تمثل السيرة العطرة للرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم).

3- الإلمام بالأبعاد الدينية والدنيوية لسيرة الرسول الكريم(صلى الله عليه وسلم).

4- معرفة الطالب بدور الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) على الصعيدين المدني والعسكري.

لقد شاع الانسجام الفكري بين المسلمين بالتوحيد، وليس بأي شيء آخر، وإن هذا الانسجام جعل الجهاد ممكناً، يقود الى النصر وتحقيق الظفر، وبالتالي بناء الأمة العربية الإسلامية الواحدة.

عرض الموضوع:

يعرض المعلم هنا الموضوع وهو بعنوان (السيرة النبوية) متطرفاً الى تناول بعض أنماط هذه السيرة، بحيث تتناول هذه المحاور الموضوعات الآتية:

أ_ تاريخ جيش النبي (صلى الله عليه وسلم).

ب_ رسالة المسجد العسكرية.

ج_ بناء الإنسان المسلم.

إن هذه المحاور يمكن معالجتها بوصفها وحدات هذا الموضوع، وهو يمثل بعض جوانب السيرة العطرة.

أما تاريخ جيش النبي فإن المعلم يمكن أن يتناوله بالقول: إن تاريخ هذا الجيش يبدأ من يوم مبعث النبي(صلى الله عليه وسلم) فقد عمل (صلى الله عليه وسلم) جاهداً في ميدان بناء الإنسان المسلم الذي هو المجاهد المسلم وجندياً، لكن هذا الجيش بدأ مهمته الفعلية في المدينة المنورة.

ويمكن أن يشترك الطلاب بالحديث عن هذا الجيش فيقول أحدهم مثلاً: لقد بدأ في المدينة تنظيم هذا الجيش وتسليحه وتجهيزه وقيادته، جيشاً نظامياً له كيان واحد، وهدف واحد، وفكر واحد، وقيادة واحدة.

ويمكن أن يضيف طالب آخر: لقد بادر النبي(صلى الله عليه وسلم) بعد استقراره في المدينة إلى اختيار مكان مناسب لبناء مسجده الذي يعتبر الثكنة العسكرية الأولى، فضلاً عن كونه مكاناً للصلاة.

يقول المعلم: نعم لقد تكوّن جيش المسلمين الأول في ذلك المكان المبارك، وبدأت رحلة الجهاد والفتح، وليم يبدأ الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) جهاده في مكة، إذ أنه يقرر في ضوء تعليمات الوحي، فقد أمر الله سبحانه وتعالى بالقتال في أول آية من آيات القتال التي نزلت في المدينة المنورة، قال تعالى: (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ) ([55]) وعليه خرج الرسول القائد غازياً، إذ بدأ الجهاد الاصغر عملياً.

ثم يبدأ المعلم بمعالجة المحور الثاني (رسالة المسجد العسكرية) فيقول: لقد قضي النبي (صلى الله عليه وسلم) اثنتي عشرة سنة من عمره المبارك في مكة المكرمة وسنة واحدة في المدينة المنورة بعد هجرته إليها يعمل جاهداً في ميدان بناء الإنسان المسلم، منفذاً رسالة الله في مجال الجهاد الأكبر.

وقضى (صلى الله عليه وسلم) عشر سنوات في المدينة وهو يؤدي رسالته في مسجده المبارك، وبوصفه نبياً ورسولاً ومعلماً ورائداً وقدوة وزعيماً وقائداً.

كان (صلى الله عليه وسلم) يحشد أصحابه في المسجد ليشحنهم بطاقات مادية ومعنوية لا ينضب معينها، ويحرض المؤمنين على القتال، ويأمرهم بالثبات وينههم عن الفرار، ويحذرهم من الفرقة والنزاع، ويأمرهم بالطاعة والنظام، ويشيع فيهم المحبة والألفة والتآخي.

وكانت الغزوات والسرايا تنطلق من المسجد، وتعقد ا لرايات والأعلام والبنود للمجاهدين في المسجد، وتوزع فيه الأسلحة والمعدات، وكان أصحابه يجتمعون في المسجد حين يداهمهم الخطر، ويعود المجاهدون من الغزوات الى المسجد، وتضمد جروح المصابين في المسجد، ويتعلم المسلمون أحكام الجهاد في المسجد.

لقد كان المسجد في أيام النبي(صلى الله عليه وسلم) (مثابة) للمجاهدين قادة وجنوداً، والمثابة في المصطلحات العسكرية هي مكان اجتماع القائد برجاله، لإصدار الأوامر إليهم، وكان المنادي ينادي حين يتعرض المسلمون لخطر داخلي أو خارجي،: الصلاة جامعة، الصلاة جامعة، فيتقاطر المجاهدون الى المسجد زرافات ووحدانا تلبية للنداء، وينطلقون من هناك لملاقاة العدو، ويقضوا على الخطر الداهم، تنفيذاً لخطة قائد واحد، وتحقيقاً لغاية واحدة، وهي الدفاع عن الإسلام والمسلمين.

ثم يتناول المعلم المحور الثالث (بناء الإنسان المسلم) ويمكن أن يوجه المعلم سؤالاً حول: كيفية بناء الإنسان المسلم، وقد يشجع طلبته على الجواب عن هذا السؤال، بأن يقول لهم: استطاع النبي(صلى الله عليه وسلم) بناء الإنسان المسلم على ثلاث دعائم هي:

- العقيدة الراسخة.

- القدوة الحسنة.

- احتيار الرجل المناسب للعمل المناسب.

ويمكن أن يتناول أحد الطلاب الدعامة الأولى فيقول: أما العقيدة الإسلامية فهي عقيدة منشئة بناءة، صالحة لكل زمان ومكان، لأنها تهتم بالمادة اهتمامها بالروح، وتعني بالحياة الدنيا عنايتها بالدار الآخرة، وتغرس الضبط والنظام في القلوب والنفوس، وتلتزم بالخلق الكريم والمعاملة الحسنة والمثل العليا، وتأمر بالشجاعة والثبات، وتنهى عن الجبن والفرار.

ويجيب طالب آخر عن القدوة الحسنة بقوله: أما القدوة الحسنة فقد تمثلت في سيرة المصطفى (صلى الله عليه وسلم) أصدق تمثيل، فقد كان صلوات الله عليه خلقه القرآن، وكان تعاليم الإسلام تمشي على الأرض بشراً سوياً، لا يأمر بشيء إلا طبقه على نفسه على أحسن ما يكون التطبيق، ولا ينهى عن شيء إلا ابتعد عنه أسد مايكون البعد، وكان مثالاً عالياً للشجاعة وأْدام.

ويضيف طالب آخر: كان الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) قمة عالية في عمله ومعاملته بالنسبة لأصحابه، وكلهم قمم عالية كان يؤثر رجاله بالخير والأمن، ويستأثر دونهم بالخطر والمشقة، وكان شخصياً مثالياً لأصحابه في كل عمل يبتغي به وجه الله والدار الآخرة.

ويقول المعلم: أما اختياره الرجل المناسب للعمل المناسب، فقد كان مثالاً رائعاً في الالتزام بالعمل الصالح، والإيمان العميق، والخدمة المثمرة، والكفاية العالية، والماضي الناصع المجيد في اختيار قادته وعماله وقضاته وجباته.

إن كل من قرأ سير عظماء الأمم في العصور المختلفة، وفكر كثيراً في طرق اختيارهم للذين يوكلون إليهم المناصب العامة، لا يمكن أن يجدوهم شيئاً مذكوراً بالنسبة لأسلوب النبي (صلى الله عليه وسلم) في اختيار الذين يوكل إليهم المناصب العامة عسكرية أكانت أم مدنية.

إن الرسول الكريم(صلى الله عليه وسلم) لم يكن يقدم رجلاً على رجل إلا بالحق، وكان يختار الرجل المناسب للعمل الذي يناسبه، فقد ولى قيادة الجيش صاحب الطبع الموهوب والعلم المكتسب والخبرة العملية، لذلك انتصر قادته في السرايا التي تولوا قيادتها في حياته المباركة.

فلما رحل الى لقاء الله أصبح قادته أبرز قادة الفتح الإسلامي، لأنهم من خريجي مدرسته في اختيار الرجال، وهكذا استطاع (صلى الله عليه وسلم) بالدعامة الأولى (العقيدة الراسخة) أن يجعل من ضمير الفرد رقيباً عتيداً عليه، يأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر، وأن يجعل من المجتمع الإسلامي أخوة متحابين في الله، (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) ([56])

واستطاع بالدعامة الثانية (القدوة الحسنة) أن يجعل من الفرد المسلم مؤمنا بأن العقيدة الإسلامية قابلة للتطبيق العملي، وأن ما لايمكنه أن يكون، يمكن فعلاً أن يكون، وأن يجعل المجتمع الإسلامي

يؤمن لأنه المجتمع المثالي الذي يؤمن بعقيدة مثالية جاءت لمصلحة المؤمنين والناس جميعاً (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ) ([57])

واستطاع بالدعامة الثالثة اختيار الرجل المناسب للعمل المناسب من خلال جعل الفرد المسلم يعتمد على قدرته، وكفايته، وإيمانه للتقدم لا على حسبه ونسبه وانحرافه عن مبادئه، ويجعل المجتمع الإسلامي يثق بعدل القيادة وترفعها عن التحيز والأهواء.

الدروس والعبر

يطلب المعلم تدوين الدروس والعبر الآتية المستفادة من الموضوع:

1- إن الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) بنى جيشاً قوياً بالإيمان.

2- إن الإسلام دين يقوم على القوة لتثبيت دعائمه وأركانه، فالمؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف.

3- إن المسجد النبوي في المدينة كان أول ثكنة عسكرية في الإسلام، بمعنى أن المساجد ليست للعبادة فقط.

4- إن المسلم الحقيقي هو من كان بناؤه يقوم على الإيمان المستوحى من العقيدة الراسخة.

5- على كل مسلم أن يكون قدوة حسنة (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) ([58])

6- أن يكون اختيار الرجال لمناصبهم بحسب مؤهلاتهم، ومناسبة ذلك المنصب لهم على أساس الكفاية وليس على أي سبب آخر.

الفصل السادس

مقومات الاستقامة في تعليم النشء

قد لايتصور كثير من الباحثين أن لغة الخطاب التي تحمل هدي الإسلام بين الأجيال الكثيرة والناشئة تمثل أدباً رفيعاً في مخاطبة الوجدان ووقعاً حبيباً على النفس خاصة إذا ما اقترنت التوجيهات بنبرة القلب الخاشع ومشاعر الوالد الحنون.

إن القرآن الكريم وهو يقدم للإنسانية الهدي الإسلامي في تربية الناشئة يعطينا أعظم الدلالات وأقوى البراهين على صلاحية هذا الدين لكل زمان ومكان.

وإذا نظرنا إلى القرآن الكريم نرى أن يلفت أنظار الآباء إلى مهمتهم، وفي وصايا لقمان لابنه ومواعظه كما حكاها القرآن نفسه عن هذا الأب الحكيم في هذه الآيات الكريمة التي تبدأ بالثناء على لقمان بأنه أوتي الحكمة ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً، نرى الدرس ألغ ما يكون، فيقول تعالى:(وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ) ([59])

قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ).

قال تعالى:(يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ).

قال تعالى: (يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ).

قال تعالى:(وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ).

قال تعالى: (وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ)

إن هذه التوصيات التربوية، التي حكاها القرآن على لسان لقمان كنموذج لاهتمام الآباء بالأبناء أو عناية الشيوخ بالشباب- واضحة المعاني، سامية الأهداف لا تحتاج الى تفكير كثير، أو تفصيل طويل.

فهي أولاً: تتضمن النهي عن الشرك بالله فهو الحقيق بالتوحيد والعبادة لأنه الخالق الرزاق والمحيي والمميت، وهو الفعال لما يريد.

ثانياً: التنبيه إلى أن الله تبارك وتعالى يعلم السر وأخفى، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وإن الأحداث والأشياء الصغيرة، مهما دقت وخفيت فإن الله يعلمها ويأتي بها بوم القيامة ويحاسب عليها، إن خيراً فخير وإن شراً فشر، إن الله لطيف خبير، فعلى الشباب أن يدركوا هذا المعنى الدقيق لقدرة الله، ولحكمته الواسعة، وخبرته المحيطة.

ثالثاً: الأمر بإقامة الصلاة التي هي عمود الإسلام، وهي كذلك فرق مابين الكفر والإيمان، ثم التوجيه إلى واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اللذين هما أساس المجتمعات وقيامها على الحق، والخير والبر، ثم الوصية بالصبر على مكاره الدعوة الى الله، ومتاعب الجهاد في سبيله،

ففي الصر – كما جاء في الحديث- خير كثير وجزاء للصابرين كما يقول القرآن:(إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) ([60]) .

رابعاً: الزجر عن الكبرياء في معاملة الناس، وعن الخيلاء مشياً في الأرض فإن الله يبغض كل مختال فخور.

خامساً: الأمر بالاعتدال في الخطى ن وخفض الصوت عن الكلام لأن رفع الصوت ليس من أدب الإنسان بل هو شأن الحيوان.

ونمضي في تـأمل آيات القرآن الكريم، فنجده يثني على جماعة من الشباب بـــــ (إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى)([61]) .

لماذا ؟ لأنهم هجروا قومهم الذين اتخذوا من دون الله آله، ولجأوا الى الله في كهف يعبدونه ويدعونه (رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا) ([62]) .

ونجد القرآن – في موضع آخر، في سورة كاملة- يضرب بنبيه يوسف (عليه السلام)، مثلاً للشباب الصالح العفيف الذي يستعصم عن الفسوق وهو يتعرض لفتنة جمال امرأة العزيز، ويتصدى لرغبتها فيه، ودعوتها إياه واستعدادها له: (وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) ([63]) .

كما نقرأ في أواخر سورة (النور) تأديباً قرآنياً رائعاً لأعضاء الأسرة المسلمة يشمل الشباب، في موضوع الاستئذان من الصغار بدخولهم على الكبار في أوقات الراحة والخلوة (وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) ([64]) وذلك لئلا يطلعوا على علاقات آبائهم الخاصة، فيشغلوا بها، قبل أوانها وفي ذلك فساد كبير.

وأخيراً نجد القرآن يصور لهفة الآباء وحرصهم على صلاح ذريتهم في الدنيا تمهيداً للحاقهم بهم في سعادة الآخرة: (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا) ([65]).

وبصفة خاصة ينبئنا القرآن بقصة نوح عليه السلام مع ابنه: (وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ) ([66]) ولكن الابن أصر على الافتراق عن أبيه، فلم ييأس نوح عليه السلام وتوجه الى ربه العزيز الحكيم بقلب الأب العطوف المتعلق: (وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ) ([67]) وقريب منها قصة ابراهيم عليه السلام في سؤال ربه عز وجل أن يشمل بنيه بالصلاح: (وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ) ([68]) وأن يجعلهم أئمة هدى مثله (وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) ([69]).

فالقرآن إذ يقدم لنا من وصايا وآداب وقصص عن (الأبناء) وضرورة عناية (الآباء) بتقويمهم وتعليمهم إنما يؤكد اهتمامه البالغ بشباب الأمة الإسلامية، ولقد اهتم نبي الإسلام (صلى الله عليه وسلم) بالشباب تعليماً وتربية وتوجيهاً الى الخير، وانتفاعاً بنشاط الشباب وحماسه، وإخلاصه، فقد رويت عنه (صلى الله عليه وسلم) الأحاديث التالية:

- (أوصيكم بالشباب خيراً، فإنهن أرق أفئدة.. إن الله بعثني بالحنيفية السمحة فحالفني الشباب وخالفني الشيوخ)([70])، ثم تلا قوله تعالى: (فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ) ([71]) .

- اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك) ([72]).

- كما ذكر (صلى الله عليه وسلم) فيما يسأل عنه العبد يوم القيامة قبل أن يقضي له أو عليه أنه: (يسأل عن شبابه فيما أبلاه)([73]) .

- وعد الرسول (صلى الله عليه وسلم) الذي يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: (الشاب الذي ينشأ في عبادة ربه) ([74]).

- (يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحفظ للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء) ([75]) .

- (ما نحل والد ولده نحلة أفضل من أدب حسن) ([76]).

- (لأن يؤدب الرجل ولده خير من أي يتصدق كل يوم بنصف صاع) ([77]).

- (مروا أولادكم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر، وألبسوهم السراويل وفرقوا بينهم في المضاجع) ([78]) .

- (أكرموا أولادكم وأحسنوا آدابهم)([79]).

- يا غلام أعلمك كلمات: (احفظ الله يحفظك، أحفظ الله تجده اتجاهك، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله) ([80]).

- وغير ذلك من توجيهات تربوية يخص الإسلام بها الشباب- وبتأمل هذه الاهتمامات النبوية بالشباب نتبين أن الإسلام حريص على أن يلفت أنظار المسلمين وأفكارهم الى حقيقة تكوين الشباب كغرسة ناشئة طرية قابلة للتشكيل والتلوين على الصورة المرادة.

- هذا وغاية الإسلام من طرح لغة الخطاب الراقية التي يجب أن تكون بين الأجيال ضبط سلوكه وفق عملية تربوية بحيث تتسق وتتطابق مع السلوك والاتجاهات الإسلامية (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى { 14 } وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى { 15 } بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا { 16 } وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى { 17 }) ([81]).

هذا ويوجه القرآن الكريم أنظار الآباء والمربين الى مبادئ تربوية سامية عليهم الحرص عليها خلال تربية أبنائهم، ويتجلى هذا التوجيه في عدة مواضع من القرآن الكريم منها قصة الشاب الصالح في البيئة الفاسدة، نبي الله يوسف (عليه السلام) قال تعالى: (وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿23﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۚ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿24﴾) ([82]) .

ويوضح لنا الخالق سبحانه وتعالى في سورة النور، مجموعة من الآداب والقيم الاجتماعية التربوية التي يجب غرسها في نفوس النشء وتدريبهم سلوكياً عليها، مثال هذا وكما سبقت الإشارة إليه

استئذان الصغار عند دخولهم على الكبار خلال وقت الراحة والخلوة: (وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِي)([83])، وذلك حتى لايطلع الأبناء على علاقات آبائهم الخاصة فتترك أثراً سيئاً في نفوسهم وينشغلون بها قبل الأوان.

يوضح لنا القرآن الكريم في سورة الفرقان خصائص عباد الرحمن التي يجب غرسها في النشء من خلال العملية التربوية قال تعالى:(وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (63) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (64) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (65) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (66) وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا (67)) .

وقال تعالى:(وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (68) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (69) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (70) وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا (71) وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (72) وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (73) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (74)) ([84])

ومن قصة نوح عليه السلام مع ابنه ليس على المربين إلا أن يتخذوا من القرآن الكريم أسلوبه العظيم في مخاطبة الناس، ودعوتهم الى الخير لأنه بالاضافة الى أنه كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، فهو يتضمن أرق الأساليب وأعظم وسائل التربية.

الفصل السابع

الإطار العام لمنهج الإسلام التربوي

من نافلة القول أن نؤكد هنا أن من أبرز سمات ذلك الإطار أو فلنقل ذلك المنهج التربوي أنه يتميز على المناهج الاجتماعية بأنه منهج عبادة، ولكن العبادة في هذا المنهج تحتاج الى توضيح: فهي ليست قاصرة على مناسك التعبد المعروفة من صلاة وزكاة.. وإنما هي معنى أعمق من ذلك جداً.. إنها العبودية لله وحده.. والتلقي من الله وحده في أمر الدنيا والآخرة كله.. ثم هي الصلة الدائمة بالله في هذا كله.

وهذه الصلة في الحقيقة هي منهج التربية كله، تتفرع منه جميع التعريفات وتعود في النهاية كلها إليه.

والصلاة والصيام والزكاة والحج وسائر الشعائر التعبدية، إن هي إلا مفاتيح... مجرد مفاتيح للعبادة، أو (محطات) يقف عندها السائرون في الطريق يتزودون بالزاد، ولكن الطريق كله عبادة، وكل ما يقع فيه من نسك أو عمل، أو فكر أو شعور فهو كذلك عبادة... ما دامت وجهته إلى الله، ما دام قد شهد حقاً – لا باللسان- أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأقام حياته كلها وواقعه كله على هذا الأساس.

والعبادة بهذا المعنى تشمل الحياة بكل مافيها من سلوكيات وتوجهات، إنها لا تقتصر على اللحظات القصيرة التي تشغلها مناسك التعبد، وما هذا هو القصد من الآية الكريمة:(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)([85]).

إنما قيمتها أن تكون منهج حياة يشمل كل الحياة، قيمتها أن تكون خطة سلوك وخطة عمل وخطة فكر وخطة شعور، قائمة كلها على منهج واضح، يتبين فيه – في كل لحظة- ما ينبغي وما لاينبغي أن يكون.

ومرد الأمور كلها في ذلك هو الله، هو المرجع الذي يرجع إليه في كل أمر ودستوره هو الدستور الذي يستثار في كل لحظة، يستثار في داخل القلب وفي وعي العقل وفي واقع السلوك.

إن إيجاد الصلة بين القلب البشري وبين الله، الصلة الدائمة التي تدفع القلب الى الرجوع لله في كل لحظة، وفي كل أمر، هو القاعدة الرئيسية للتربية الإسلامية، التي يتم بها كل شيء، ومن دونها يصبح كل شيء خواء.

والإسلام يتخذ لهذا الهدف كل وسيلة من الوسائل الموصلة، بالتوقيع على كل وتر من أوتار النفس الإنسانية.

ومما يجدر ذكره في هذا المقام والإشارة إليه أن بعض مناهج التربية يربط القلب البشري ببقعة من الأرض معينة، وبعضها يربطه بفرد من الناس معين وبعضها يربطه بأسطورة من الأساطير، ثم يكون المنهج كله قائماً على هذه القواعد، فيصطبغ العمل والشعور والفكر والسلوك بهذه الصبغة، ويتجه كله في هذا الاتجاه، ثم ينشأ الفرد على (فضائل) بعينها مستمدة من هذه القاعدة نابعة من مفاهيمها، متمشية مع صالحها.

ولا شك أن في هذه الفضائل قدراً من الفضائل (المطلقة) التي تلتقي عندها البشرية، فمهما ضلت البشرية وانحرفت فإنها بمقومات الفطرة التي وهبها الله للناس جميعاً تهتدي إلى قدر من (الحق) قليل أو كثير، ولكنها غالباً ما تكون فضائل ذاتية خاصة بقوم أو جماعة دون أخرى وليس من بينها فضائل (إنسانية) حقا إلا ما كان نابعاً من العقيدة في الله، مستمداً من دستوره الذي ارتضاه وهو هدي الإسلام وفق ما جاء في الكتاب والسنة.

وخذ ذلك مثلاً مناهج التربية الأوروبية، وخذ من بينها أفضلها جميعاً في نظر كثير من الناس: التربية الإنجليزية، إنها تنشئ الفرد على كثير من الفضائل، لايسرق ولا ينهب ولا يغتصب ولا يكذب ولا يغش، استقامة جميلة في الطبع والمعاملة، استقامة مريحة تثير الإعجاب، وميل الى التعاون ونبذ للأنانية وإحساس بالصالح (العام) وتضحية بشيء من الصالح الخاص في هذا السبيل، كل ذلك نعم.

ولكنه في حدود بريطانيا، في حدود القومية البريطانية، فإذا انتقل هذا الرجل الإنجليزي قيد شعرة خارج الحدود البريطانية، خارج الوثن الذي ربي على عبادته، وقام منهج التربية كله على أساه، فهنا يفجؤك منه شخص آخر لم تعهده من قبل، الأنانية البغيضة والجشع الكريه، والغش والخداع والكذب والدسيسة، والغصب والسلب والنهب، وإيثار الصالح الخاص على كل قيم إنسانية أو صوت للضمير.

كلا، وإنما هو ما يزال مخلصاً للوثن الذي يتعبده، ولم يكن قط مخلصاً (للإنسانية) لأنه لم يترب تربية إنسانية ولم يكن قط مخلصاً لله، لأن قاعدة ترقيته لم تكن الاتصال الحقيقي بالله.

ذلك مثل يبين الفارق الحاسم بين منهج التربية الإسلامية ومنهاج التربية غير الإسلامية، ويبين في الوقت ذاته لماذا يحرص الإسلام – كلمة الله إلى (الإنسان) عامة – على أني قيم منهجه التربوي على أساس العبادة- بمعناها الواسع- وعلى أساس الصلة الدائمة بالله. إن تحقيق توحيد الربوبية وتوحيد الإلوهية له وحده سبحانه بإقرار العبادة له دون سواه ضمان حقيقي للخير في هذه الأرض بعقد الصلة الحية الواصلة بين القلب البشري والله، لا ضمان لإقامة الحق والعدل الأزليين إلا بالتقاء البشر كلهم عند خالقهم، ومن ثم استشعار الرابطة الإنسانية الحقيقية التي تربط الجميع.

وإذ يدرك الإسلام هذه الحقيقة فإنه يجعل العبادة هي القاعدة الكبرى، ويستمد مها نظام الحياة كله، الفرد في خلوته، والناس في جمعهم، في وقت التعبد وفي وقت العمل وفي وقت التعامل في تجارة أو صناعة أو سياسة أو حرب أو سلم، وفي وقت المودة وفي وقت الخصومة، وفي كل لحظة من هذه اللحظات يربي الإسلام الفرد على أن تكون صلته بالله، وتعامله مع الله، وخشيته من الله، وحبه لله، ورجوعه الى منهج الله، فإذا ختم صلاته هبت في داخل نفسه نوازع الطمع والجشع والعدوان أو تخاذل عن القيام بالأمانة، أو ضعف عن نصرة الحق، أو تواكل عن العمل المنتج في عالم الحس.

كلا، فما هو إذن موصول القلب بالله ولا هو المسلم القوي الذي هو أحب الى الله من المسلم الضعيف. والعبادة هي السير في الطريق، مع التردد بين الحين والحين، والسير في الطريق والقلب يحمل الشحنة الحية الواصلة، التي تدفع للعمل..ز تدفع دائماً الى الأمام.

والإسلام يحرص حرصاً شديداً على هذه الشحنة التي تعبئ القلب، فتكون الهادي له في الطريق، وتهديه وهو في خلوته يفكر ويشعر، وتهديه وهو قائم يعمل بيديه وجسمه، وتهديه وهو يلقي أخوته

البشرية ويتعامل معهم، وتهديه وتضيء له كالقبس ظلمات الطريق فلا يتعثر لا يجثم في عثرته، وإنما ينفض عنه التراب ويقوم، مادامت الشحنة حية تضيء.

والإسلام صريح في اعتبار العمل هو العبادة مادام القلب يتجه فيه الى الله،(لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) ([86])

هذا هو منهج العبادة الذي يرسمه الإسلام ويقيم عليه أسسه التربوية وينظم الحياة الاجتماعية على هديه ويشترط في كل ذلك الصدق مع الله، والتقوى لله أي الصلة الدائمة بالله.

ضوابط المنهج الإسلامي

ضروب الحياة المختلفة التي تتحدد فيها حركة المسلم في ضوء الحلال والحرام الذي يؤمن به ويلتزم العمل به، لا ينضبط السلوك المسلم فيها إلا بإيقاع الروح تحت تأثير هديها، فما الروح الذي يهيمن على المسلم ويضبط سلوكه؟ إنها شيء مبهم غامض ليست له حدود.

وهذا الإبهام في طبيعة الروح، والغموض الذي يحيط بها، والعجز عن إدراك كنهها، هو الذي أغرى الماديين في العصور الحديثة أن يهملوها إهمالاً ويسقطوها من الحساب.

ولكن الدوس هكسلي يرد عليه في هذا الأمر، رغم أنه لا يؤمن بالدين، فيذكرهم بحقيقة ينسونها وهم يجادلون: (إنه لم يعد لنا مناص من الاعتراف بأن بعض البشر مزود بالقدرة على استشفاف المجهول بطريقة خارجة عن نطاق الحواس، وأن جهلنا بالطريقة التي يتم بها هذا الاستشفاف لايبرر إنكارنا له، فإنه لا يزيد على جهلنا بالطريقة التي تتم بها عملية الإدراك وعملية التذكر، من منا يستطيع أن يعرف كيف تتم معجزة الإدراك؟ أو التذكر؟. كذلك نحن لانعلم كيف يتم الاستشفاف، ولكنه رغم ذلك حقيقة علمية)

إن الدوس هكسلي لا يسير معنا الطريق كله، ولكنه يسير نصف الطريق، يقرر أن هناك طاقة مجهولة في الإنسان يقدر بها على الاستشفاف، ويقرر كذلك أن جهلنا لكنه هذه الطاقة لايعني أنها غير موجودة في الواقع، فهي كذلك موجودة رغم هذا الجهل، وهي حقيقة علمية.. وأهم من ذلك إنه يقرر أننا اعترفنا من قبل بوجود طاقات بشرية أخرى رغم أننا نجهل كنهها تمام الجهل، كعملية الإدراك وعملية التذكر.

وذلك نصف الطريق، فهكسلي يقصر هذه القدرة على الاستشفاف، ثم يقصرها على (بعض) الناس فقط، ولايجعلها طاقة (بشرية) أصلية، ولكن حيث ينظر الإنسان إلى الاتجاه المادي الغارق في المادية، الذي يسيطر على تفكير الغرب ومشاعره، يجد أن هذا الاعتراف من رجل لايؤمن بالعقيدة، يعد في الواقع تقدماً كبيراً نحو الفهم الصحيح للإنسان، الفهم الذي قررته العقيدة منذ أقدم الأزمان.

الروح طاقة مجهولة .. مبهمة غامضة، محجوبة عن الإدراك، ومع ذلك فهي حقيقة، وإذا كنا نظن أن عملية الإدراك أو عملية الذكر عملية (محسوسة)، ومن أجل ذلك نؤمن بوجودها الواقعي، فنحن مخطئون في هذا الظن، فهي في الحقيقة ليست محسوسة في ذاتها، وإنما نحن ندرك نتائجها، ووضوح الإحساس بنتائجها هو الذي أغرانا بذلك الظن الخاطئ، كما أنه هو الذي أدخل في وهمنا أننا (نعرف) كيف يتم الإدراك وكيف يتم الذكر، أما الحقيقة فهي أننا لانعرف كنه هذه العملية ولا تلك، ونكتفي منهما بالنتائج التي تدركها الحواس.

ولو تدبرنا الأمر لوجدنا الطاقة الروحية كذلك.

إنها مجهولة في كنهها، مبهمة، غامضة، محجوبة عن الإدراك، ولكن نتائجها ليست مجهولة، ولا محجوبة عن الإدراك.

ونحن لو حاولنا أن نعرف عملية التذكر، فلن نجد إلا لفظة واحدة نشرحها بها، سنقول إنها عملية التذكير، ولو حاولنا أن نعرف عملية الإدراك، فلن نجد إلا اللفظة ذاتها أو ما يرادفها، وسنقول إنها عملية الإدراك.

ولكننا سنقول عن الروح: إنها الطاقة التي يصل بها الإنسان بالمجهول، بالغيب المحجوب عن الحواس.

الاستشفاف (عملية) من عمليات الروح

والحلم التنبؤي عملية من عمليات الروح

والتخاطر عن بعد (التليباتي)

وهي كلها جليلة عظيمة باهرة معجزة.. يقف الإنسان حائر أمامها، مبهوتاً من العجب والإعجاب.

ولكنها مع ذلك عمليات جانبية.. إنما الوظيفة الكبرى للروح هي الاتصال بالله، كيف يتم الاتصال؟ والاستشفاف. والحلم التنبؤي؟ لاندري، كما أننا لاندري كيف يتم الإدراك والتذكر.. ولكنه يتم على اي حال.

الروح.. تلك الطاقة المجهولة التي لانعرف كنهها ولا طريقة عملها.. هو وسيلتنا للاتصال بالله.

وهي مهتدية الى الله بفطرتها، إنها من روح الله التي أودعها قبضة الطين: (فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ) ([87])، ومن ثم فهي بذاتها تهتدي الى خالقها، وتتصل به على طريقتها: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ) ([88])، تهتدي إليه كما يهتدي كل شيء من خلق الله بفطرته، دون كد ولا تعب ولا جهد من الاهتداء:(قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ) ([89])، كل مافي الأمر أن الله قد كرم هذا المخلوق البشري: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) ([90])، ومن آيات هذا التكريم أن جعل للإنسان فؤاداً واعياً: (وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۙ) ([91])، فجعل عملية الهدي عملية واعية يشترك فيها الفؤاد البصير، فتفترق بذلك عن الطاقة التي يمارسها الجماد والنبات والحيوان.

ومع ذلك فالإنسان يضل.. يضل حين تنحرف فطرته ويصيبها المرض: يضل فلا يهتدي الى الله، ولايصل بروحه إليه، ولا يستمد منه، ولا يلجأ إلى حماه.

على أنه حتى حين يضل، حين تتغبش، روحه فلا تستطيع أن تشف، حيث يغشاها ركام الشهوات فيحجب عنها النور.. حتى حينئذ تظل بقية من الفطرة – برغم ضلالته- تتجه الى خالقها، كما تتجه العين الكليلة الى الضوء لا تراه كله ولكنه لاتعمى عنه، فيعبد الناس الله ويشركون به غيره من الكائنات (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ) ([92]) (قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) ([93])، او يعبدون قوة -ما – يزعمون أنها الله، ولكنه – فيما عدا الشذوذ الذي لايحسب له حساب- لا ينكرون وجود خالق لهذا الكون قوي مسيطر مريد.

ومهمة العقيدة هي مساندة الفطرة وتوجيهها، مهمتها أن تساعد الفطرة في الاهتداء الى الله.. والاهتداء الذي هو كامن في كيانها ولو حجبتها عنه الأمراض، مهمتها أن تطلق الروح من

إسارها.. لكي تضبط حياتها وسلوكها وفق هدي الله، والإسلام يعني عناية خاصة بالروح إنها في هديه مركز الكيان البشري ونقطة ارتكازه، إنها القاعدة التي يستند إليها الكيان كله ويترابط عن طريقها كما إنها المهمين الأكبر على حياة الإنسان، إنها الموجه الى النور، يكفي أنها صلة الإنسان بالله.

والإسلام – في عنايته الفائقة بتربية الروح- هو دين الفطرة، فالحق أن الطاقة الروحية في الإنسان هي أكبر طاقاته وأعظمها، وأشدها اتصالاً بحقائق الوجود، طاقة الجسم محدودة بكيانه المادي وبما تدركه الحواس، وطاقة العقل أكثر طلاقة، ولكنها محدودة بما يعقل، محدودة بالزمان والمكان، بالبدء والنهاية، ومحكومة بالفناء.

وطاقة الروح- وحدها- في كيان الإنسان هي القادرة على أن تجعل منه إنساناً يتميز بروحه عن مستوى غيره من المخلوقات، وهي وحدها التي تملك الاتصال بالخلود الأبدي والوجود الأزلي، وتملك القدرة على تقبل كمالات الوحي الإلهي وضبط العلاقات الإنسانية وفق مراد الله.

كيف؟ لانعلم، لكنا نحسن، نحسن بإشراقة الروح الصافية التي تشمل الحياة كلها فهي ومضة، وتشمل الآباد والآماد، نحس بسبحة الروح الطليقة التي تجوب آفاق الكون وتتصل بكل حي فيه، والكون كما يقول العلم كله حياة، تحسب بتلك اللحظة الدقيقة العجيبة العظيمة الرائعة، التي يرتعش فيها الكيان كله، ويحب في أعماقه أنه يرى الله.

لقد كان طبيعياً إذن أن تهتم العقائد كلها بأمر هذه الروح، وكان طبيعيا أن يهتم الإسلام خاصة بهذه الطاقة، وهو الذي جعل منهجه الاهتمام بالطاقات البشرية كلها، وأعطاها حقها من الرعاية والتوجيه.

طريقة الإسلام في تربية الروح هي أن يعقد صلة دائمة بينها وبين الله، في كل لحظة وكل عمل وكل فكرة وكل شعور لينجو المجتمع من المآثم والانحراف، إن الإنسان – بطبيعته- قد تشرق روحه لحظة قد تأخذ بلبه الليلة المقمرة، فينتشي بشعرها المهوس، وأطيافها الراقصة، وظلالها المسحورة، قد تأخذه ضخامة الكون وانتظام سننه ودقة نظامه.

قد تروعه حادثة مفاجئة فتهز نفسه وتوقظه لعالم الغيب ومدبر الأمور.. وكل ذلك جميل، ولكنها لحظات منقطعة لا دوام لها ولا استقرار، لحظات خاطفة لا تلبث – بزوال مؤثرها- أن تزول، والإسلام لا يريد ذلك، لا يريد لهذه الاشراقة الروحية أن تنطفئ، لا يريد لها أن تخنس وتخبو، لا يريد أن يغشى صفاءها شيء أو يحجبها عن انطلاقها في الآفاق، ومن ثم لا يكتفي بتلك اللحظات الفائقة التي تجيء عرضاً ولا تلبث أن تزول، لا تكاد تترك لها أثراً في النفس، ولا تسيرها على منهج واضح أصيل.

إنما يريد الإسلام أن يجعل هذه الاشراقة منهج حياة، يريد أن يذكي الشعلة المقدسة فتظل على الدوام مضيئة، يريد أن تظل القبسة اتي يشتمل عليها الإنسان من روح الله مشعشعة وأصلة لنبعها الأصيل.

يريد ألا تكون الطلاقة فلتة عابرة، وغنما تكون هي الأصل، والقعود عنها هي الفلتات، وحين يصنع الإنسان ذلك فهو لا شك يحقق أرفع ما في كيانه، ويصل الى صدق العبودية لله تعالى، ومع ذلك ففي الإسلام تتجلى رحمة الله بعباده.ز إنه لايريدها على المستحيل وهو يعمل ان الطلاقة

الدائمة الكاملة بالنسبة للبشر مستحيل فقبضة الطين لها (ثقلة، ودفعة الشهوة لها قوة، وقلة المادة لها ضغط، ومن ثم يكون (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ) ([94])، ويقول:(لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ) ([95]).

ولكنه لا يقول- كما تقو المذاهب الواقعية المنحرفة، المذاهب التي تؤمن بحيوانية الإنسان وماديته ([96]) لايقول: أيها البشر، ما دامت فيكم ثلة الطين ودفعة الشهوات وضغط المادة، فلا فائدة من رفعتكم، ولا أمل في اطلاقكم، فاجثموا حيث أنتم على الأرض، كلو وتمتعوا كما يتمتع الحيوان.

كلا، لايقول ذلك، لأنه – وهو دين الفطرة يؤمن بكل ما تحتويه الفطرة من طاقات، ويؤمن بطاقة الروح وقدرتها الفائقة على التحليق والانطلاق، وهو – في واقعيته الكاملة التي تحسب حساب الضعف البشري- لايكف أبداً عن المحاولة، لا يكف عن النفخ الدائم لإذكاء شعلة الروح، لأن هذا هو الطريق الوحيد للرفعة، والطريق الوحيد لموازنة مايخبط بالنفس من أثقال وما قد تقع فيه من انحراف.

خاصية التوازن التربوي

إذا نظرنا غلى بعض خواص النظام التربوي والأخلاقي في الإسلام نجد ان النظام الأخلاقي الإسلامي يجمع القانون الأخلاقي كله ويتسع نطاق الأخلاق فيه ليشمل الخلاق النظرية والخلاق العملية وما يدخل تحت الأخلاق العملية من أخلاق فردية، وأخلاق أسرية، وأخلاق اجتماعية، وأخلاق اقتصادية، وأخلاق سياسية، وأخلاق علمية، وغيرها من أنواع الأخلاق العملية.

ولعل أهم مظاهر شمول الأخلاق الإسلامية التي تستحق منا أن نقف عندها قليلاً ونورد بعض الشواهد الدالة عليها من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة هو المظهر المتعلق بشمول هذه الأخلاق لعلاقة الإنسان بالحيوان.

فالاسلام يطالب المسلم بالتمسك بالفضائل الأخلاق من إحسان ورحمة ورفق وشفقة وغيرها حتى مع الحيوان الأعجم، وبذلك سبقت الدعوة الإسلامية بقرون طويلة ماتنادي به جمعيات الرفق بالحيوان الحديثة التي نلاحظ وجودها في بعض البلدان الغريبة.

فالقرآن الكريم يحمل الدعوة الى احترام وتقدير قيمة الحياة حتى لو كانت في الحيوان لأن فضل تخير الإنسان على الحيوان جاء بمنحة وهبة من الله الخالق، يقول الله تعالى: (وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم) ([97])

وفي الحديث النبوي الشريف: أن الله كتب الاحسان على كل شيء، وحتى البهيمة تدخل في ذلك، لما ثبت أن النبي (صلى الله عليه وسلم) سئل عن سقيها فقال: (في كل كبد رطبة صدقة)، وأخبر أن بغياً سقت كلباً يلهث من شدة العطش، فشكر الله لها، فغفر لها.

والرحمة الإسلامية، رحمة جماعية، تعم ولا تخص، تبسط جناحيها على الكون كله، على البار والفاجر، والمؤمن والكافر، والإنسان والحيوان، لقد قال بعض الصحابة للنبي(صلى الله عليه وسلم): لقد أكثرت يارسول الله من الرحمة، وإنا نرحم أزواجنا وأولادنا، فقال الرسول الرحيم: (ما هذا أريد، إنما أريد الرحمة بالكافة)([98]).

وعن النبي(صلى الله عليه وسلم) أيضاً: (إنه مر على قوم وهم وقوف على دواب لهم ورواحل، فقال لهم: اركبوها سالمة ودعوها سالمة).

ونظرة متأنية لأبعاد الأخلاق في الإسلام يتضح لنا أنها تمتاز بتوازنها وتقديرها لمختلف الحاجات الإنسانية ولجميع مطالب الحياة، فهي تقدر الطبيعة الإنسانية المكونة من جسم وروح، وتأخذ في الاعتبار مطالب الجسم والروح، ومطالب الدنيا والاخرة، ويمكن القول وبغير تجاوز أن الأخلاق الإسلامية لاتضحي بالجسم في سبيل الروح ولا بالقيم المادية في سبيل القيم الروحية، بل تعطي كل جانب حقه من الرعاية، وتضعه في المكان الذي يجب أن يوضع فيه بلا إفراط ولاتفريط، فالاسلام بتعاليمه وقيمه وأخلاقه يعالج الإنسان معالجة كلية مطالبه المادية ومطالبه المعنوية.

فمثلاً لا يأمر الإسلام بالزهد البالغ في الدنيا، او بالرهبانية بل أن الله تعالى صخر لنا مافي السموات وما في الأرض، ويعجب ممن حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق، ويأمر السعي والعمل في هذه الحياة بكل طريق شريف.

يقول سبحانه في شأن هذا التوازن: (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ) ([99]).

ويقول: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) ([100]).

ويقول: (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ) ([101]).

ويقول: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) ([102]).

وتؤكد السنة النبوية الشريفة هذا التوازن في أكثر من حديث، فمن ذلك قوله (صلى الله عليه وسلم): (اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً)، وقوله أيضاً: (ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة، ولا الآخرة للدنيا، ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه..) وقوله: لا رهبانية في الإسلام)، وقوله (صلى الله عليه وسلم) أيضاً في رواية أخرى: (خيركم من لم يترك آخرته لدنياه ولا دنياه لآخرته، ولم يكن كلا على الناس).

والإسلام بهذا التوازن والتكامل بين مطالب الجسم ومطالب الروح، وبين مطالب الدنيا ومطالب الآخرة سلم من الازدواج والتنافر بين هذين النوعين من المطالب اللذين نلحظها في معظم النزعات الفلسفية والمذاهب المادية الوضعية التي اتجهت اتجاهاً مادياً، والمذاهب الروحية والنزعات الصوفية المتطرفة التي اتجهت اتجاهاً روحياً لدرجة التطرف لدى بعضها أو تعطيل كل أسباب الحياة الكريمة والأخذ بسنن الله تعالى في الخلق.

غاية الأخلاق في الإسلام

التوازن التربوي الأخلاقي الذي أشرنا الى أهم سماته ومعالمه في المنهج الإسلامي يستهدف تحقيق مطالب الإنسان الأسمى وهو تحقيق سعادة الدارين والكمال النفسي للفرد وتحقيق السعادة والتقدم والقوة والمنعة للمجتمع.

فالدين الإسلامي أو الأخلاق الإسلامية لاتقتصر غايتها على تحقيق السعادة الأخروية المتمثلة في الفوز برضا الله ورحمته وغفرانه ومثوبته والفوز بالنعيم الأخروي الذي وعد الله به الأبرار والمتقين من عباده والذي أشارت إليه كثير من آيات القرآن الكريم وأحاديث النبي العظيم من أمثل قوله تعالى: (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ) ([103])، وقوله (صلى الله عليه وسلم): (هناك ما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)، بل تتعدى تلك الغاية هذه السعادة الأخروية المحضة الى تحقيق السعادة الدنيوية المشروعة التي توصل الى السعادة الأخروية.

ويدخل تحت السعادة الدنيوية – بالنسبة للفرد- الخيرات البدنية المختلفة من صحة وقوة وجمال وطول للعمر وغيرها، والخيرات التي من أبرزها: المال، والأهل، والعز، وكرم الأرومة، والخيرات النفسية المتمثلة في الفضائل الأربعة الكبرى التي هي: الحكمة، الشجاعة، العفة، والعدالة ومايدخل تحتها من فضائل فرعية أو جزئية، والخيرات التوفيقية المتمثلة في هداية الله، ورشده، وتسديده، وتأييده.([104])

ومما يدخل تحت السعادة الدنيوية بالنسبة للمجتمع قوة المجتمع، ومنعته، وتقدمه المستمر وتماسكه، واستقراره، وتعاون افراده، وتضامنهم، وإخلاصهم في أعمالهم، وتقديرهم لمسؤولياتهم تجاه مجتمعهم، واستقامتهم، ووعيهم بمشاكل مجتمعهم، وما الى ذلك من مظاهر سعادة المجتمع.

هذا وقد قسم بعض العلماء السعادة الى أقسام ومراتب، فها هو (ابن مسكوية) ينقل عن (ارسطو) تقسيم السعادة الى خمسة أقسام، فيقول:

(فأما أقسام السعادة على مذهب هذا الحكيم (أي ارسطو)، فهي خمسة أقسام:

أحدهما في صحة البدن ولطف الحواس، ويكون ذلك من اعتدال المزاج، أعني أن يكون جيد السمع والبصر والشم والذوق واللمس.

والثاني: الثورة والأعوان وأشباهها حتى يتسع لأن يضع المال في موضعه، ويعمل به سائر الخيرات، ويواسي منه أهل الخير خاصة، والمستحقين عامة، ويعمل به كل مايزيد في فضائله ويستحق الثناء والمدح عليه.

والثالث أن تحسن أحدوثته في الناس وينشر ذكره بين أهل الفضل فيكون ممدوحاً بينهم، يكثرون الثناء عليه لما يتصرف فيه من الإحسان والمعروف.

والرابع أن يكون منجحاً في الأمور، وذلك إذا استتم كل ما روي فيه وعزم عليه حتى يصير الى ما يأمله منه

والخامس أن يكون جيد الرأي، وصحيح الفكر، سليم الاعتقادات في دينه.. بريئاً من الخطأ والزلل، جيد المشورة في الآراء، فمن اجتمعت له هذه الأقسام كلها فهو السعيد الكامل على مذهب هذا الرجل الفاضل، ومن حصل له بعضها كان حظه من السعادة بحسب ذلك.. (وقد كان أرسطو) ممن رأوا أن السعادة الإنسانية تحصل للإنسان في الدنيا إذا سعي لها وتعب بها حتى يصير الى أقصاها..) ([105])

وللسعادة عند (ابن مسكوية) مرتبتان تتمشيان مع الطبيعة البشرية للإنسان المكونة من جسم ونفس، هاتان المرتبتان، هما السعادة البدنية والسعادة الروحية، والأولى أدى مرتبة من الثانية.

(فما دام الإنسان إنساناً فليس تتم له السعادة إلا بتحصيل الحالين جميعاً، وليس يحصلان على التمام إلا بالأشياء النافعة في الوصول الى الحكمة الأبدية، فالسعيد إذن من الناس يكون في إحدى مرتبتين: غما أن يكون في رتبة الأشياء الجسمانية متعلقا بأحوالها السفلى سعيداً بها، وهو مع ذلك يطالع الأمور الشريفة باحثاً عنها مشتاقاً إليها متحركاً نحوها مغتبطاً بها.

وإما أن يكون في رتبة الأشياء الروحانية متعلقاً بأحوالها العليا سعيداً بها، وهو مع ذلك يطالع الأمور الدنيئة معتبراً بها، ناظراً في علامات القدرة الإلهية ودلائل الحكمة البالغة، مقتدياً بها، ناظما لها، مفيضاً للخيرات عليها، سائقاً لها نحو الأفضل، فالأفضل بحسب قبولها وعلى نحو استطاعتها.

وإذا قد تبين أن السعيد لا محالة في إحدى المرتبتين اللتين ذكرناهما، فقد تبين أيضاً أن أحدهما ناقص مقصر عن الاخر وأن الأنقص منهما ليس يخلو ولا يتعرى من الآلام والحسرات، لأجل الخدع الطبيعية والزخارف الحسية التي تعرضه فيما يلابسه فتعوقه عما يلاحظه وتمنعه من الترقي فيها على ماينبغي وتشغله بما يتعلق به من الأمور الجسمانية، فصاحب هذه الرتبة غير كامل على الإطلاق ولا سعيد تام.

وأن صاحب الرتبة الأخرى هو السعيد التام، وهو الذي توفر حظه من الحكمة فهو مقيم بروحانيته بني الملأ الأعلى، يستمد منهم لطائف الحكمة ويستنير بالنور الإلهي، ويستزيد من فضائله بحسب عنايته بها وقلة عوائقه عنها ولذلك يكون أبداً من الآلام والحسرات التي لايخلو صاحب الرتبة الأولى منها، ويكون مسروراً أبداً بذاته مغتبطاً بما له وبما يحصل له دائماً من فيض نور الأول.. وهذه هي الرتبة التي من وصل إليها فقد وصل إلى آخر السعادات وأقصاها، وهو الذي لايبالي بفراق الأحباب من أهل الدنيا ولا يخسر على مايفوته من التنعم فيها.

وهو الذي يشتاق إلى صحبة أشكاله وملاقاة من يناسبه من الأرواح الطيبة والملائكة المقربين، وهو الذي يفعل إلا ما أراد الله منه، ولا يحتار إلا ما قرب إليه، ولا يخالفه الى شيء من هواه وشهواته الرديئة، ولاينخدع بخدائع الطبيعة ولايلتفت الى شيء يعوقه عن سعادته) ([106])

وعلى هذا الأساس أو قريب منه ذهب كثير من الفلاسفة في تقسيمهم السعادة التي اعتبروها جميعاً هدفاً رئيسياً للأخلاق، فذهب الغزالي- مثلاً- الى تقسيم السعادة الدنيوية الى أربعة اقسام أو أنواع رئيسية: هي خيرات البدن وخيرات النفس، والخيرات الخارجية، والخيرات التوفيقية، ويدخل تحت كل قسم أو نوع من هذبه الأنواع أربعة خيرات أو فضائل أساسية مما يجعل السعادة عند الغزالي وعند من سار على نهجه من المتصوفة الخير الأعلى، لأن هذا الخير الأعلى – عند الغزالي بالذات- (هو السعادة الأخروية التي هي بقاء لا فناء له، وسرور لاغم فيه، وعلم لاجهل معه،

وغنى لا فقر يخالطه. وهذه هي السعادة الحقيقية، وما عدا ذلك مما تعارف الناس على تسميته سعادة، فيسمى كذلك خطأ أو بنحو من التجوز، الأول علذات هذه الحياة ومسراتها التي لاتعين على الاخرة، والثاني مثل ما يوصل للسعادة الأخروية من سعادات الحياة التي نعيش فيها.

وهذه السعادة الحقيقية (أو الخير الأعلى) قد تكون في الدنيا على سبيل الندور لمن سلك إليها طريقها وجعل نفسه أهلاً لدرك هذه الحقائق العالية فتفيض عليه من الله كما فاضت على الأنبياء والأولياء والصديقين، (ففيضان هذه الرحمة من الله عز وجل على النفس غاية المطلوب، وهو عين السعادة التي للنفس بعد الموت).

وتهذيب النفس وتحليتها بالفضيلة خطوة ضرورية لتحقيق السعادة، فالسعادة الحقيقية ليست في اللذات الحسية حتى ما كان منها في الجنان، ولكنها معنوية تتجلى في معرفة الحقائق الإلهية وهداية الله ورشده وتسديده وتأييده.([107])

وقد تابع الإمام الغزالي في جعله السعادة هدفاً أساسياً للأخلاق وفي تفسيره لمفهوم السعادة على النحو الذي ذكرنا- كثير من علماء الإسلام الذين تناولوا موضوع الأخلاق بالدراسة والبحث من بعده، حتى وقتنا الحاضر تقريباً، ولم يخالف المنهج الذي سار عليه ابن مسكويه والغزالي في دراسة الأخلاق وفي تحديد الغاية من هذه الأخلاق في الإسلام إلا بعض علماء المسلمين المحدثين الذين ثاروا على منهج ابن مسكويه والغزالي في دراسة الأخلاق وفي تفسير مفهوم السعادة ورأوا في منهج ابن مسكويه والغزالي وغيرهما ممن ساروا على نهجهما تقليداً واضحاً للفلسفات اليونانية ولبعض الديانات القديمة أو انحرافاً نحو المفاهيم الصوفية الجبرية، وبعداً واضحاً عن المفهوم الحقيقي البسيط للأخلاق الإسلامية المستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

ومن هؤلاء العلماء المسلمين المحدثين الذين حاولوا الابتعاد عن أفكار ابن مسكويه والغزالي وغيرهما من الفلاسفة المسلمين المتأثرين بالفلسفة اليونانية والنزعات الصوفية الغريبة عن روح الإسلام الدكتور محمد عبدالله دراز، والدكتور أحمد فؤاد الأهواني، والأستاذ أنور الجندي، والدكتور عبدالحليم محمود.

وفي ضوء هذه النبذة التي تدور حول مفهوم السعادة عن بعض المفكرين نود أن نقرر أن العلماء حاولوا أن يجعلوا للأخلاق الإسلامية شخصيتها المتميزة المستمدة أساساً من القرآن والسنة النبوية والمختلفة اختلافاً جوهرياً عن الأخلاق الفلسفية والأخلاق المستمدة من الديانات والنظم الأخرى غير الإسلام.

وقد ضمن الدكتور محمد عبدالله دراز معظم أفكاره الأخلاقية في بحثه القيم الذي تقدم به لنيل درجة دكتوراه الدولة من السربون في عام 1947 والذي كان بعنوان: (دستور الأخلاق في القرآن: دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن).

هذا وقد حاول الأستاذ أنور الجندي – في إطار نقده لأفكار ابن مسكويه والغزالي في مجال علم الأخلاق وتحديده للمفهوم المناسب للأخلاق الإسلامية وللغاية منها – أن يلخص لنا ابرز الفوارق الدقيقة العميقة بين الأخلاق الإسلامية والأخلاق الفلسفية في أصول اربعة عامة أساسية، هي كالآتي:

أولاً: الأخلاق الإسلامية تقوم على مبدأ التقوى، أي على تجنب الحرام والإقبال على الحلال، وليس في الإسلام مايسمى (السعادة) التي هي هدف الأخلاق عند اليونانيين، ولذلك فإن كل ما ذكره الباحثون عن مفهوم السعادة الأخلاقية لا صلة له بمفهوم الإسلام الأخلاقي ولا يمثله من قريب أو بعيد، وإنما هي أقوال ارسطوا وآراء اليونان.

ثانياً: اخلال القرآن: أخلاق اجتماعية فردية، فالقرآن ينظر الى الفرد في ضوء المجتمع، فإذا تعارضت المصلحتان ضحى الفرد بنفسه في سبيل المجتمع

ثالثاً: ربط الإسلام بين الأخلاق والدين برباط عضوي، مما جعل الأخلاق قاسماً مشتركاً على جميع قضايا الاجتماع والسياسة والاقتصاد والتربية.

رابعاً: ما كتبه الفلاسفة عن الأخلاق لايمثل ذاتية الإسلام ولا مفهوم القرآن، فهو أما ناقص، او مستمد من الفلسفات اليونانية أو منحرف ناحية المفاهيم الصوفية الجبرية.

وهنا لابد من التنويه والتذكير بأن الإيمان بالله تعالى وما يترتب عليه من التزام بهدي الكتاب والسنة هو أهم مصادر الأخلاق الإسلامية وأهم العوامل المؤثرة في نمو هذه الأخلاق وفي تشكيلها وإعطائها الطابع الإسلامي المميز لها، وأهم مصادر ما تحتويه من مبادئ وقواعد ومثل وقيم خلقية، وأهم مصادر ما تحتوه من مبادئ وقواعد ومثل وقيم خلقية، وأهم مصادر الإلزام الخلقي والضمير أو الوازع الخلقي، وأهم مصادر التحسين والتقبيح اللذين يتضمن أحدهما حكمنا الخلقي على فعل من الأفعال الإنسانية وخير المصادر التي نستمد منها مقاييسنا الخلقية ونبني عليها أحكامنا الخلقية.

فالمسلم – بهدي من دينه- يربط الأخلاق بالدين برباط وثيق، ويعتبر الأخلاق جزءاً لايتجزأ من الدين حتى أنهما ينتهيان في النهاية عنده الى شيء واحد تقريباً وينظر الى الدين على أنه إيمان وعمل، وعقيدة وعبادة، وأخلاق، فالمسلم الواعي يفهم الدين على أنه جامع لكل (مايدخل في باب العقيدة، وما يدخل في باب العمل: العمل الذي يؤديه المرء تقرباً الى الله كالصلاة والزكاة، والعمل الذي يقوم به مع غيره تحقيقاً للمصالح الدنيوية المختلفة كالبيوع والرهون والشركات وغيرها من التصرفات، وأعمال السلوك الخلقي مع النفس ومع الناس).

والتفرقة بين الدين، والأخلاق، والشريعة، لاتعدو أن تكون طريقة لتنظيم العلوم والبحوث، ولكنها جميعاً لاتخرج عن دائرة الدين، ومن ثم فإنه (ليس لمسلم أن يقول: دع مالقيصر لقيصر وما لله لله، بمعنى ان الدين علاقة بين المرء وربه، وأن هذا هو مجال التشريع السماوي، أما علاقة الإنسان بالإنسان وما تحتاج إليه من تشريع مدني أو جنائي فيجب أن يترك للحاكم، لاينبغي لمسلم أن يقول ذلك، لأن الذي قال: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ) ([108])، وهو الذي قال: (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) ([109]) وهو الذي قال: (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) ([110]) ([111])

ويظهر ارتباط الأخلاق بالدين وتلازمها معه من التعريفات الكثيرة التي ذكرت للدين نفسه والتي من بينها التعريف الذي أتى به الدكتور محمد عبدالله دراز، فالدكتور دراز يعرف الدين بأنه:
(وضع الهي يرشد الى الحق في الاعتقادات والى الخير في السلوك والمعاملات)([112])، ولعلنا إذا ما دققنا النظر في هذا لتعريف فإننا نجد فيه ما يؤكد أن أول ما يرشد إليه الدين – بعد الإيمان بالله ورسله وملائكته وكتبه واليوم الآخر وقضائه وقدره- هو الخلق الحسن الذي يمثل الخير في

السلوك والمعاملة، بحيث يصبح المنبع الأصلي لفضائل السلوك ومكارم الأخلاق، لا في أصولها وأمهاتها الكلية العامة فحسب بل كذلك بالنسبة للفضائل الفرعية والجزئية المتطورة المتجددة، لأن هذه الفضائل الجزئية تخضع في النهاية الى تقويم الدين ومباركته، فما وافق منها روح الدين وأصوله وقواعده العامة قبله المسلمون واعتبروه جزءاً من نظامهم الخلقي، وما خالف روح الدين وأصوله نبذوه واعتبروه فرعاً من فروع الرذائل التي نهى عنها الدين.

فالدين والخلق حسب التعريف السابق وحسب ما هما عليه في واقع الأمر ملتحمان تمام الالتحام، بحيث لايمكن أن يوجد أخلاقي في سلوكه المتوازن والمرتبط بالفطرة الإنسانية إلا وهو متدين، فالمسلم لايتصور من ملحد او تارك للصلاة –مثلاً- أن يكون أخلاقياً يعتد بأخلاقه ويطمأن له، وعلى الأخص في مواقف الشدة والحرج.

وكذلك الدين- كما قدمنا- هو إيمان وعمل وعقيدة وعبادة وأخلاق، وكما أنه لايعتبر متخلقاً بالأخلاق الحسنة من ضعفت عقيدته وقل عمله بمقتضى تعاليم الدين، فإنه لايعتبر (ولايسمى متديناً تديناً حقيقياً من يقوم بالطقوس الدينية وليس على خلق عظيم بالفعل، بل هو في نظر الاسلام مراء ومنافق)، وصدق الله العظيم إذ يقــول:(إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ۗ) ([113]) .

وإذ يقول: (فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿4﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿5﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿6﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿7﴾) ([114]).

ولكن هذا الارتباط الوثيق بين الدين والخلق لا يعني أنهما مترادفان في المعنى، بل لكل من الكلمتين معناها المستقل، (فإذا نظرنا الى الدين من حيث هو معرفة (الحق) الأعلى وتوفيره، والى الخلق من حيث هو قوة النزوع الى فعل (الخير) وضبط النفس عن الهوى، كانت أمامنا حقيقتان مستقلتان يمكن تصور أحداهما بدون الأخرى، فتختص أولاهما بالفضيلة النظرية والأخرى بالفضيلة العملية..) ([115])، (وإذا قلنا أن فلانا ذو دين وخلق، وجب – لكي تخلو العبارة من عيب التكرار واللغو- أن تؤدي كلا الكلمتين معنى مستقلاً بحيث يختص الدين بالجانب الإلهي، والخلق بالجانب الإنساني فيكون معنى الدين الإيمان أو التقوى الخاصة، أعني القيام بفرائض العبادة، ويكون معنى الخلق التحلي بالفضائل والآداب الاجتماعية)([116]).

خاصية الاعتدال

هذا ويرتبط بخاصية الاعتدال عدم العلو في أي اتجاه من الاتجاهات والنظرة الى الأمور نظرة وسط، من غير إفراط ولاتفريط، فأخلاق الإسلام وشريعته هي أخلاق توجب على الإنسان أن يعيش في هذه الحياة متوسطاً بين طرفي الإفراط والتفريط، فهو لايقسو على نفسه قسوة تجعله سلبياً في الحياة، ولا يعطي نفسه أكثر من حقها في التمتع، حتى لايصير حيواناً من الحيوانات ولهذا يقول الله تعالى: (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) ([117]).

ويقول أيضاً: (وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿26﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ۖ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿27﴾) ([118]).

وخير وصف وصفت به الأمة المؤمنة الربانية هو أنها أمة (وسط) لاتسرف في أمرها، ولاتشح أو تبخل أو تمنع حين يجب الإعطاء، أو يحسن البذل، والله تعالى يقول:(وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ) ([119])

ولهذه الآيات وغيرها، اعتبر فلاسفة الأخلاق في الإسلام من أمثال ابن مسكويه والغزالي وغيرهما الفضيلة وسطاً بين رذيلتين، هما: الإفراط والتفريط وتبعاً لهذه القاعدة المستمدة من شريعة الإسلام وأخلاقه والمتمشية مع الفطرة السليمة، فإن ليس المطلوب من المربي قمع الغرائز والنزعات الفطرية أو كبتها، وإنما المطلوب منه تهذيبها وتعديلها بحيث تسير في طريق وسط بين (الإفراط والتفريط)، وأي انحراف خطير على هذه القاعدة لن يترتب عليه، إلا التعقد والسلبية الاجتماعية أو التحلل الخلقي – بالنسبة للفرد- والضعف والتأخير والتخلف والتزمت والجمود وانحلال الأخلاق والروابط الاجتماعية بالنسبة للمجتمع. ([120])

ولهذا فإنه من واجبنا- نحن المسلمين- على مستوى المجتمع والأمة- كما يقول الدكتور محمد عبده يماني: (ان نصحح مفهوم الإسلام في العقول المعاصرة، فإن فترات الضعف التي مرت بالمسلمين جعلتهم يتصورون مفهوم الإسلام على أنه نظام كامل للحياة نستطيع أن نوجد للطموحين في ماديات الحياة كنوز دينهم في هذه الحياة، ونعطيهم القيم التي يجب أن تحوط ذلك الطموح المادي.

وحينئذ تصح المعادلة، ونعرف جيداً موقع الإسلام بما سبقه من خلل في المعادلات الإنسانية والدينية، فقد جاء الاسلام وفي العالم يهودية انحرفت عن منهج الله الى عالم المادة الصرفة، حتى غالوا في المادية غلوا جلعهم يطلبون أن يروا الله جهرة، ومسيحية قابلت ذلك بروحانية صرفة لترد هذا الجمود المادي، حتى يمتزج العنصران).

ولكن النزاع بين الدينين جعل كل دين يستقل بمنطلقه، وانفصلت اليهودية عن المسيحية والمسيحية عن اليهودية، فاختلت المعادلة وجاء الإسلام ليصحح للإنسانية المعادلة الضرورية: مادية بقيم وروحانية بحركة وهذا الذي يعينه الحق (في الاية السالفة الذكر) ([121])(وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ).

إذن فالوسطية في الإسلام هي التي تجمع طرفي المعادلة بدون إفراط ولا تفريط، وبذلك يكون الإسلام هو التشريع الإلهي الذي غطى كل متطلبات الملكات النفسية، ولم يشرع لملكة واحدة على

حساب ملكات أخرى، وبذلك يكون الإنسان سوى التركيب منسق الطاقات، غير متدافع الميول.

ويجب أن لا يغيب عن البال أن منهج اليهودية الذي انحاز بدينه إلى عنصر واحد من عناصر الحياة ليس هو المنهج الإلهي لهذه اليهودية، لأنه لو ظل المنهج الإلهي منهجاً لها لما احتاجت الى النهج المسيحي، وكذلك المسيحية لم تبق كما أنزلها الله، بل طرأ على الديانتين تحريف وتبديل وكتمان، فكان ولابد أن تصحح أخطاء انحراف أهل الأرض، فجاء الإسلام ليجمع منهجه قانون النفس الإنسانية، المتوازنة في ضوء (مادية بقيم، وروحانية بحركة).

ولذلك كان الإسلام منهجاً متكاملاً، ختمت به رسالات الله الى الارض:(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۚ) ([122]).

هذا ويرتبط بخاصية التوازن خاصية أخرى قريبة في معناها من معنى التوازن والوسطية، هي خاصية الواقعية التي تجعل هي الأخرى الأخلاق الإسلامية متمشية مع إمكانيات الإنسان البشرية ومسايرة بل مطابقة تماما لفطرته السليمة.

ومن مظاهر الواقعية في الأخلاق الإسلامية هو احترام هذه الأخلاق لمطالب الروح والجسد معاً، وعدم تكليفها للإنسان بما يفوق قدرته وإمكانياته أو يتنافى مع فطرته ودوافعه الفطرية، فهي لاتطلب من الإنسان أن يضحي بحاجاته البدنية الضرورية ولا بشهواته المعتدلة، جسمياً وعقلياً، ولا تطلب منه أن يدير خده الأيسر لمن ضربه على خده الأيمن، ولا تدعوه الى الرهبنة أو الزهد القاتل المبالغ فيه، بل على العكس من ذلك نجد هذه الأخلاق والتعاليم الإسلامية عامة تطلب من الإنسان أن يتمتع بها أتاه الله من نعم الدنيا في حدود العقول، وأن لايترك نصيبه من الدنيا، وأن يطلب الرزق ويجد في طلبه طالما كان هذا الطلب بالطرق والوسائل المشروعة، وأن يكون قوياً في الحق يرد على كل من اعتدى عليه بمثل ما اعتدى به عليه.

ويدعم هذه النظرة الواقعية في الأخلاق الإسلامية كثير من آيات القرآن الكريم وأحاديث النبي العظيم محمد (صلى الله عليه وسلم) فمن هذه الآيات والأحاديث، قوله تعالى:(فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ) ([123]).

(وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) ([124])

(وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ) ([125])

وقوله (صلى الله عليه وسلم) في حق المال: (نعم العون على تقوى الله المال) ([126])

وقوله (صلى الله عليه وسلم) لسعد بن ابي وقاص(صلى الله عليه وسلم) وقد استشاره عما يتصد به وهو ذو مال كثير: فأجابه (صلى الله عليه وسلم): (بالثلث، والثلث كثير، إنك أن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس).

واستناداً الى مثل هذه الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة جاءت آراء علماء الأخلاق في الإسلام وأقوالهم داعية للعمل والتعاون في هذه الحياة، يقول ابن مسكويه في هذا الصدد: (إنه (أي الانسان) مدني بالطبع، أي محتاج الى ضروب المعاونات التي تتم بالمدينة واجتماع الناس فيها، وهذا الاجتماع للتعاون هو التمدن).

فمن العدل إذن أن نعين الناس بأنفسنا كما أعانونا بأنفسهم، ونبذل لهم عوض ما بذلوا لنا.

فأما من ذهب الى التزهد وحرم المكاسب، فإنه يضطر الى استعمال الجور، لأنه يستنجد الناس لامحالة في ضرورات بدنه، وحاجته الى مايقيمه ويطلب معاونتهم، ثم لايعاونهم، فهذا هو الظلم والعدوان، فإن ظن منهم ظان أن مقدار حاجته قليل، فليعمل أن ذلك القليل يحتاج فيه الى استخدام عالم كثير من الناس لايحصون وإن كان يشعر بذلك.

فمن الواجب على كل أحد يبذل معوننته على شريطة العدل، إن عاون كثيراً طالب كثيراً، وإن عاون القليل طلب بالقليل، عنى بالقليل والكثير والكمية، بل الكيفية وحسن الموقع والغناء) ([127]).

اليسر وعدم الحرج

هذا وفي مسلسل التوازن الأخلاقي في الإسلام تجيء خاصية اليسر وعدم الحرج بحيث لايكلف الإنسان في ظلها إلا بما هو في حدود وسعه وطاقته، ولايعتبر مسؤولاً خلقياً وشرعياً إلا اذا كان بكامل ارادته وحريته ووعيه العقلي، والشواهد الدالة على هذه الخاصية من الكتاب والسنة والقواعد الشرعية العامة أكثر من أن يستطيع ذكرها فضلاً عن شرحها والتعليق عليها، وعلى سبيل المثال نرى في البرهنة والتدليل على هذه الخاصية المتممة والمكملة الأبعاد التوازن التربوي في الإسلام والمستفاد من: قوله تعالى:

- (يُرِيْدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيْدُ بِكُمُ الْعُسْرَ)([128]).

-(لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ) ([129]).

-(وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ)([130]).

-(وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ) ([131]).

-(فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ) ([132]).

- (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ) ([133]).

-(يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ ۚ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا) ([134]).

- (لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ) ([135])

- وقوله (صلى الله عليه وسلم): (إن هذا الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وبشروا).

- وقوله (صلى الله عليه وسلم): (إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق، فإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى).

- وقوله(صلى الله عليه وسلم): (ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه).

وروي عن عائشة رض الله عنها قالت: (ماخير رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بين أمرين إلا اختار أيسرهما، ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله (جل وعلى).

وقد بنيت على تلك الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة كثير من القواعد الشرعية والفقهية تؤكد هي الأخرى مبدأ اليسر ورفع الحرج في الشريعة الإسلامية، وذلك مثل قوله الفقهاء: (الضرورات تبيح المحظورات)، و(المشقة تجلب التيسير)، الى غير ذلك من القواعد الشرعية.

ولكن هذا التيسير الذي اتسمت به الأخلاق والشريعة الإسلامية لايعني التساهل في أمر الدين أو ترك الحبل على الغارب حتى تنتهك حرمات الدين أو يستهان بأحكام الحلال والحرام، فنحن نعلم

أن من بين قواعد الشريعة الإسلامية أيضاً – بجانب القواع السابقة لمبدأ التيسير ورفع الحرج- قواعد احتياطية يحفظ التمسك بها من الوقوع في مهاوي الزلل والعصيان ومن الاستهانة بأحكام الحلال والحرام، من هذه القواعد القاعدة الشرعية: (الضرورات تقدر بقدرها)، وقاعد (سد ا لذرائع) و(اتقاء الشبهات)، الى غير ذلك من القواعد التي بمتقضى الالتزام بها عدم تجاوز حد الضروري وعدم التساهل بمقدمات الحرام، حيث أن كل ما يتوصل به الى الشيء الممنوع المشتمل على مفسدة يكون ممنوعاً، أي أن كل ما كان وسيلة الى المحرم فهو محرم.

فالله سبحانه حرم على المرأة الضرب بالأرجل والكعاب، حتى لايكون ذلك ذريعة الى اجتذاب الأنظار اليها وافتتان الرجل بالمرأة، قال تعالى: (وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ۚ) ([136])، وحرم الله على المؤمنين سبب آلهة المشركين من الأصنام والأوثان المزيفة حتى لايكون ذلك ذريعة الى أن يسب المشركون الإله الحق جهلاً وزوراً وعناداً: (وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِيْنَ يَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ) ([137]).. ونهى عليه الصلاة والسلام أني خطب الرجل على خطبة أخيه وأن يستام على سوم أخيه أو يبتاع على بيعه، سداً لذريعة التباغض والشحناء وإثارة المنازعات .. (وقد) صاغ النبي (صلى الله عليه وسلم) المبدأ الشامل لمثل هذه الحالات بقوله: (دع مايريبك الى مالايريبك) (الحلال بين والحرام بين وبينهما أمرو مشتبهات)، (من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه).. (وهكذا يقضي المنطق ويوجب الشرع والواقع أن كل فساد مهمل في المقدمات يستتبع خللاً خطيراً في النتائج وكل ما أفضى الى الحرام فهو حرام، وكل ما ادى الى الشر فهو شر)([138]).

ومن خصائص وسمات الأخلاق والتعاليم الإسلامية أيضاً ربطها الاعتقاد بالعمل والقول بالفعل والنظرية والتطبيق، ولاقيمة لإيمان لايتبعه عمل بمقتضاه، ولم يقل أحد أن الدين أو الأخلاق مجرد أقوال تردد أو شعارات ترفع، بل ارتبط على الدوام المفهوم الصحيح للدين والأخلاق، وقد جاءت آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول العظيم(صلى الله عليه وسلم) وأقوال السلف الصالح من علمائنا المسلمين مؤكدة جميعها لضرورة ربط الايمان والأخلاق بالعمل والمعاملة واعتبار لب الإيمان وشرط ودليل رسوخ الاتجاه الخلقي في النفس.

ومن الآيات القرآنية المؤيدة لهذه الخاصية أو المبدأ المرتبط بها:

قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿2﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿3﴾)(([139])

وقوله تعالى: (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ)

وقوله تعالى: (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) ([140])

وقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا) ([141])

ومن الأحاديث النبوية الشريفة المدعمة أيضا لهذا المعنى:

- قوله (صلى الله عليه وسلم): (ليس الإيمان بالتمني، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل، إن قوماً ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم، وقولوا نحسن الظن بالله وكذبوا، لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل).

- وقد سأل جبريل (عليه السلام) النبي (صلى الله عليه وسلم) عن الإيمان قال: فأخبرني عن الإيمان، قال الرسول(صلى الله عليه وسلم) (أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره).

- وقال (صلى الله عليه وسلم) (الإيمان أمانة، ولا دين لمن لا أمانة له، وقـــال: (لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه).

- وقال (صلى الله عليه وسلم): (ليس بمؤمن من شبع وجاره جائع).

- وقال (صلى الله عليه وسلم): (أتدرون من المسلم؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم، قال: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)، قالوا: فمن المؤمن؟ قال: (من آمنه المؤمنون على أنفسهم وأموالهم)، قالوا: فمن المهاجر ؟ قال: (من هجر السوء واجتنبه).

وفي ضوء مصادر ومقومات هذا المنهج التربوي يتضح لنا أن المنهج الذي رسمه الإسلام للإنسان هو (منهج عالمي خالد مساير للزمن صالح لكل العصور ومن ثم كان لا بد أن يتوفر له عنصر الثبات حتى لايكون خاضعاً للتغيير والتبديل مع الهوى والشهوات.

وقد تعارفت حضارات في القديم والحديث على آداب السلوك ومفاهيم للأخلاق، أهم مايؤخذ عليها أنها خضعت لمنطق البيئة وتطورت مع تطور الحضارات حتى وصلت في المدينة الحديثة الى التنكر لكل القيم والتحلل من كل القيود فأباحت الكذب والعسف والنفاق والسرقة والغدر في المجال الدولي، كما جعلت المتعة واللذة غاية الحياة، وهذا هو علة ما تعانيه الشعوب الضعيفة من ظلم، وما عم الأسر من تحلل وشقاء وما شاع في المجتمعات من فساد.

هذا وقد أرسى الإسلام قواعد الثبات والخلود لآدابه فربطها بالحق الأصيل الذي قامت عليه السموات والأرض، ونسبها الى الله سبحانه، وله المثل الأعلى في كل ما خلق ودبر وارتضى من خلق كريم([142]).

(لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَىَ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) ([143])

فالخير والشر والحق والباطل- كما يقول الأستاذ أنور الجندي- (مايزال في مفهومه الأصيل منذ أنزل الله الرسل والكتب ولن يصبح الباطل حقاً أو يصبح الشر خيراً).

ولن يغير الزمن في حركته أو المجتمع في تطوره من ثبات الأخلاق، وإنما تتغير العادات والتقاليد التي صنعها الإنسان نفسه لأنها تبلى وتفسد، أما القيم الأخلاقية العليا التي جاء بها الدين الحق فإنها لاتتغير لأنها في مواجهة خطة الإنسان التي لا تتغير، فهي من الثوابت القائمة التي تتحرك من حولها الأشياء والناس.

ونحن لسنا مطالبين بأن تتواءم قيم العقائد والأخلاق مع متغيرات الحضارة والمجتمعات، بل على المجتمعات أن تتواءم قيم العقائد والأخلاق الثابتة القائمة (فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ)([144])

هذا في مجال الثبات، أما في مجال التغير فقد رسم القرآن في كلمات قانون قيام الحضارات والدنيا وسقوطها: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ۗ)([145])

فالحق تبارك وتعالى يدعونا الى أن نغير أنفسنا ذا أردنا أن نغير مجتمعنا وأوضاعنا، فمنطلق الإسلاح والعنصر والتحول من الضعف الى القوة متمثل في إرادة التغيير).

والتغيير هنا هو التحرك في إطار الثوابت من أصول الإيمان أساساً، وليس التغيير بالحركة خارجه أو ضده، ذلك أن الهزيمة إنما تأتي من مجاوزة الإطار الثابت المحكم الذي رسمه الحق تبارك وتعالى لحركة الحياة بما تتضمن من مفهوم رسالة الإنسان في الكون ومسؤوليته الفردية والتزامه الأخلاقي..)([146]).

التربية لدى علماء المسلمين

قد يبدو لغير المشتغلين بالعلوم الإسلامية، أن علوم التربية ومناهج وأساليب حماية الناشئة من الانحراف هي من معطيات التطور التقني ونتيجة من نتائج علاقات الاجتماع والاقتصاد التي شهدها تطور العمران منذ عصر النهضة الاوروبية ولليوم، وفي الواقع إن هذه النظرة قاصرة، وتحتاج الى رشد وتوجيه.

فعلماء الإسلام من القدماء والمحدثين، لم يغفلوا المناهج التربوية التي تتواءم مع كل مرحلة من تطور الحياة الاجتماعية عند الطفل مع مراعاة عنصر العمر الذي يمر به، فنظرة مجملة على تراث عالم مثل أبي حيات التوحيدي)، نرى الرجل قد عني عناية فائقة بهذا الجانب المهم في حياة المجتمعات وقد ظهرت اهتماماته بعلم التربية، بعد أن عاش ظروف عمره كاملة وطاف الأرض، وعاشر طوائف المجتمع، واطلع على خبايا النفس الإنسانية مما ساعده على رؤية ثاقبة في مجالات عديدة أو من بينها نظرته الى علم التربية الذي انطلق اليه من مرتكز إدراكه بطبيعة النفس الإنسانية، فهو يرى أن الإنسان هو: (الشيء المنظوم من عناصر الطبيعة للمادة المخصومة بالصورة البشرية المؤيد بنور العقل من قبل الإله).

وهو عنده (بشر ضعيف) بنيته متهافة، وطينته منتشرة وله عادة طالبة وحاجات هاتكة، ونفس جموع، وعين طموح، وعقل طفيف ورأي طفيف).

وهذا البشر الضعيف تأتلف فيه جميع أخلاق الحيوان إلا أنه كما يقول: (وهب الفطرة وأعين بالفكرة، ولذلك فالإنسان عنده منظوم من عناصر الطبيعة على صورة البشر من خلق الله، وهو ضعيف، رغم أنه جمع جميع أخلاق الحيوان إلا أه أفضل منها جميعاً بالفطرة والعقل.

ويقر التوحيدي بالفروق الفردية، وينقل فيما ينقل (إني لأعجب من ناس يقولون: كان ينبغي أن يكون الناس على رأي واحد، ومنهاج واحد، وهذا ما لايستقيم ولا يقع به نظام).. (والعاقل الحصيف يعلم أنه لابد من التفاوت الذي يكون به التصالح، كالعالم والمتعلم والآمر والمأمور، والصانع والمصنوع له)، وعلى هذا يتفاوت الناس في العقول والمكاسب والمنازل الاجتماعية، وعلى هذا وقع التفاوت في العقول، فصار هذا يملك بعقله ما لايملكه الاخر، فهذا ينظر في الطب وذاك في النحو وغيرهما في الهندسة، وآخر في الفقه، وإنها لكثيرة إن لم تكن بلا نهاية) وعلى هذا تختلف الأمم وتتفاضل، ونراه يدعو إلى مراعاة الفروق الفردية في التعلم فقلما يرى شخصان يتشكلان في الظاهر إلا ويتباينان في الباطن.

ونراه في دقة متناهية يؤكد على دور الوراثة وتأثيرها في البنية الجسمية والعقل أيضاً، ويروى عن العرب: (اغتربوا لاتضووا) ويعلق قائلاً، واستفاض هذا منهج حتى سمع من صاحب الشريعة (ص)، وذلك أن الضوى مكروه، (لأن) الضوى الواصل الى الأبدان هو سار في العقول(ويرى أن العرب لم ترد بالضوى) إلا نقص الذهن العقل، لأنها لو أرادت نقصان الجسم لكانت مخطئة، لأنهم يريدون سمانة الجسم مع السلامة والصلابة).

كما يؤكد أثر البيئة وتقريره للفروق الفردية والجماعية بحكم أن الإنسان مدني بطبعه ولذلك فالواجب ما يعرض في أصناف ذلك من الأخذ والعطاء، والمجاورة والمحاورة، والمخالطة ما يكون سبباً لانتشار الأمر)، فإلى جانب الفردية توجد الجماعية، (ولذا يروى روايات عديدة: ضرورة حسن العشرة، الألفة بالناس، وصلة الرحم وغير ذلك مما يفيد اجتماعياً).

هذا وله آراؤه في الجماعة والتجمع لاتقل أهمية عن آراء ابن خلدون، إن لم يكن أصلاً من أصوله، ويرى أن حياة الناس لاتستقيد إلا اذا قامت على العدل والحب في الله، والبر، والأخوة الصادقة الخيرة، لا أخوة الشر والسوء.

وهكذا يقر فردية الإنسان وجماعيته، وهو مما يتوافق في تأثير البيئة، ولهذا مضامينه التربوية المتمثلة في تربية الأفراد تربية استقلالية اجتماعية على مواصفات المجتمع الذي يعيشون فيه، ويحققون العدل، والدين،وغير ذلك من مواصفات تحقق الفرد الصحيح والمجتمع الخير.

ويرى أبو حيان أن أفعال الإنسان تدور بين الجبر والاختيار، ويعرض اختلاف وجهات النظر في هذا المجال، ويحلل أسباب ذلك الاختلاف النتائج عن اختلاف النظرة الى مصدر الفعل الإنساني، وباعثه، والمباشر الإنسانية لهذا الفعل.

أما عن النمو الجسمي، فينقل التوحيدي عن بعض الأدباء أن مراحل النمو الجسمي تتمثل في: الرضاعة والإنسان فيها وليد، والفطام، والإنسان فيها صبي، ثم المراهقة والإنسان فيها غلام، ثم البلوغ وفيها يظهر شعر الوجه والإنسان فيها شاب، ثم يكون مجتمعاً، ثم كهلاً فشيخاً.

ويستشهد على هذا بكلام طبيب يرى أن مراحل النمو الإنساني أربع وأراها ألصق بالنمو العقلي:

- الغلام: وهي لسن سبع، وفيها ينهر الغلام.
- الاحتلام: وهي لسن أربعة عشرة.
- تمام النمو الجسمي: وهي لسن إحدى وعشرين.
- تمام العقل: لسن ثمان وعشرين ثم تكون التجارب.

أما النمو النفسي وحالاته، فتراه حين يتحدث عن الحياة يذكر أصنافاً عشرة.

يخص الإنسان منها ثمانية، هي على الحقيقة أحوال الإنسان، برغم التفاوت الواقع فيها بين إنسان وآخر وهي متدرجة(يتدرج فيها الواحد من البشر) بحسب التوفيق الإلهي وما وهبه للإنسان (والتكامل البشري والمساعي السابقة).

فنحن هنا أمام عدة حقائق في النمو النفسي:

- أن النمو النفسي واقع للإنسان.
- أن هناك تفاوتا في هذا النمو النفسي.
- أنه متدرج من البسيط الى المركب.
- ان ما وهبه الإنسان والجهد التربوي والتعليمي يلعب دوراً في هذا النمو.

أما ألوان تلك الحالات أو المراحل أو الحياة كما عبر التوحيدي فتتلخص في:

- حياة الحس والحركة: وبها يحس ويتحرك ويلتذ وينعم ويشتكي ويتألم، وقد تضطرب فتتعرف للنقص ولا تنمو فيصير صاحبها في مرتبة الحيوان، أما اذا استمرت في النمو أخذ صاحبها الفوائد واقتبس المعارف، فيرتفع الى ألوان رفيعة من الأحوال النفسية[147]. وهذه الحالة هي أولى الحالات التي يمر بها الإنسان، وهي الأساس لكل ما عداها.

- حياة العلم والمعرفة: والفهم والحفظ والدراية والروية، والبحث والاستنباط والحكمة والسؤال والجواب، فإن التوحيدي يشترط لكمالها حسن النية، والسعي الدائم، والدافعية، مع صدق التوجه ورقة المزاج وأما:

- حياة العمل: فهي ضرورية للسابقتين، فهي ترجمة لهما ونتيجة من نتائجهما ومن تحقق منها(زادت من قيمته، وعلت من درجته، وأفادته شرفاً أبدياً وعزاً سرمدياً، وألبسته جلباب البقاء، وسلكته الى كشف السعادة وخلطته بزمرة الملائكة([148]) وأما:

- حياة الديانة والسكينة: فهي حال ينال بها الإنسان خير الآجلة الفائت، وأما:

- حياة الأخلاق: فهي تهذيب النفس، ونفي الخبيث، وبها يهنأ عيش الإنسان، وعيش من يعايشه، وتصفو سريرته، ويبر سعيه.

ويرى التوحيدي أن من استطاع أن يجمع كل ما سبق بالتناظم والتلازم، والجمع والتأليف، علا شأنه وتوازنت حياته في الدنيا للعمل من أجل حياة البقاء والعاقبة وهي الحياة التي لاتنال إلا بعد الموت، ولا بد من السعي الحثيث لها لأنها (حظيرة القدس، ومراد الأنس، حيث يتعذر مطلوب، ولايفقد محبوب، حيث الطمأنينة والروحانية)[149]

هذه هي مراتب النمو النفسي التي يعيشها الإنسان حالات، حتى تجتمع فيكون الإنسان في طريقه الى النمو المتكامل، وهذا يعني أن الجهد التربوي اللازم لابد وأن يراعي ذلك ويعمل على تحقيق هذا النمو المتكامل المتوازن.

وهذا ويرى الدارس لتراث التوحيدي أنه تصور صيغة التكامل بين مكونات الذات الإنسانية، ويتبين ذلك من عرضنا التالي: حين يطرح مرئيات واعية مستنيرة حول النمو الجسمي وحياة الحس والحركة والعمل والوراثة وفيها ما يوضح نظرة الرجل الى الجسم، ونجد في البصائر فصلاً في الطب يذكر فيه نصائح للمحافظة على الجسد وإشباع مطالبه، ويذكر وظيفة الطب، حيث هي حفظ صحة الجسد واجتلاب الصحة، وهذا يؤكد مراعاة الرجل للجسد باعتباره مكوناً من مكونات الذات الإنسانية كما يحتل العقل عنده مكاناً بارزاً، فهو (قوة الهية) بمعنى منحة من الله، ونور بمعنى الهداية الرشد.

ولأهمية العقل تلك نجده يذكر روايات في فضل العقل، وذم الهوى والتحذير من آفات العقل، أما أعمال العقل فهي (تمييز وتحصيل وتصفح، وحكم وتصويب وتخطئة، وإجازة وإيجاب وإباحة)، وكلها وظائف مترادفة كما يقول، وبالعقل يتفاوت الناس، فمنهم العاقل، والأعقل، ومن فيه لوثة، وغير العاقل، فهم مختلفون فيه كما هم مختلفون في الخلق .

ويرى أن الناس أصناف من حيث نصيبهم من العقل، ومدى وظيفته وعمله عندهم، فصنف منهم مغمورة عقولهم بشهواتهم، فهم لايبصرون إلا حظوظهم العاجلة، وصنف منتبهة عقولهم، لكنها مخلوطة بسبات الجهل، وفهم يحرصون على الخير واكتسابه، ويخطئون كثيراً وهؤلاء الجهلة،

وصنف ذكية عقولهم، لكنها عمية عن الآجلة، إذ أنها تدأب في نيل الحظوظ بالعلم والمعرفة والوصايا اللطيفة والسمعة الربانية، وصنف مضيئة عقولهم، بما فاء عليها من عند الله، فهم يحلمون بالدنيا ويستيقظون للآخرة فكأن أصناف العقول حسب استعمالها: المغمور، والمتنبه، والذكي، والمضيء.

كما يرى أن العقل عقلان (عقل بالقوة وعقل بالفعل) وعقل بينهما، ويقصد به التهيؤ والاستعداد للظهور بالاكتساب، فإذا برز فهو عقل بالفعل أي مكتسب حتى إذا نضج بلغ الأفق، وهكذا يشير الى أهمية تربية العقل بصقله وإجلاء الصدأ عنه، بحيث يكون قابلاً للخير، لأنه إذا لم يصنع معه هذا لم ينتفع به.

ومن أطروحات ومرئيات أبي حيان التوحيدي في مجال التربية من منظور إسلامي يمكن استخلاص أهم أهداف التربية عنده، وهي استنتاجات من المضامين التربوية لأفكاره، فهو يرى أن السمو بالإنسان هو الأمر الذي يجب أن يحظى بكل عناية، سواء من الإنسان ذاته، أو ممن يحيطون به، ذلك السمو يعني السمو في العبادة، والمعاش، والحياة الآخرة استعداداً لها، على أساس من العلم والتعلم، والفهم والعقل بتحقيق الأهداف التالية:

- الإعداد لطلب المعاش واستصلاح أمور الدنيا، ودفع المضار عن البدن بالعناية به، والتحفظ عن الموارد المخوفة في حياة الدنيا والتي تضر بالإنسان.

- إخلاص النية لله تعالى والوقوف على أمره ونهيه، ثقة بما وعد به من الثواب، وتحقيقاً لمعنى العبودية الكاملة، باتخاذ القرآن دليلاً، والثقة في الله تعالى والتوكل عليه.

- الالتزام الخلقي والتدريب على اختيار مكارم الأخلاق ومحاسنها وبطريقة عفوية تلقائية، مع الفهم الجيد لهذه المبادئ الخلقية.

- الانتفاع بالعلم، ومجاهدة الهوى في طلبه، وإجلال العلماء، وطلب اليقين وطرح الشك، وتربية العقل بطريقة سليمة.

- التدريب على العمل الصالح واختياره بإرادة مستقلة، غير محتج على العمل السيئ بإرادة الله تعالى، ليتوقف عما أوقفت عنه، متخففاً الى ما انهض إليه، وليعلم أن البدء من الله والحجة منه على الإنسان في عمله.

- التدريب على معاشرة الناس بالحسنى، والتودد إليهم والتعاون معهم من أجل بناء مجتمع فاضل، خال من الأحقاد والأضغان، تتحقق فيه العدالة محققاً إرادة الله تعالى فيه.

- التدريب على الانفتاح العقلي وتقبل الحق، وكذلك التذوق الجمالي وإدراك الجمال في مظانه الأدبية والفنية والطبيعية وغير ذلك مما يساعد على ترجمة الجمال في السلوك الإنساني.

- مساعدة الإنسان على تحقيق الوحدة النفسية، والتوافق النفسي، وتحقيق السكينة النفسية، والإلهية منها على وجه الخصوص، إذ هي تشع على النفس كلها وتحقق أنواع السكينة كافة، و(ما استودع صاحبها من نور العقل وقبس النفس وهبة الطبيعة، وصحة المزاج، وحسن الاختيار، واعتدال الأفعال، وصلاح العقول، وطهارة السر ومساواته للعلانية، وغلبته بالتوحيد، وانتظام كل صادر منه، ووارد عليه).

- الاستعداد للحاية الآخرة – حياة العاقبة- وتسخير قوى الإنسان كافة للعبور لهذه الحياة ونيل السرمدية فيها.

- إعداد الإنسان لتسخير قوى الكون، والطبيعة عقلياً وجسمياً واجتماعياً وغير ذلك حتى يتمكن من هذا التسخير.

إذن الهدف من التربية أساساً السمو بالإنسان، وتحقيق السكينة له، وإعداده لتحقيقها، وتحقيق التوافق النفسي والرضا ظاهراً وباطناً، ذلك التوافق المتوتر في صحة وعافية، والمتمثل في صحة العلائق، ليسمو فوق التوترات والتناقضات، في سبيل إيثار الحق، وهذا إنما يعني تنوعاً في وحدة الإنسان من أجل ثراء حياة الإنسان.

وتتعدد جوانب ومجالات التربية عند التوحيدي، إلا أنه هنا يدعو الى استمرارية التربية والتربية الذاتية، في سبيل تكامل الشخصية الإنسانية، ومن الجوانب التي تساعد على ذلك التربية الدينية باعتبارها من أهم لوازم الإنسان لحياته الدنيا والآخرة، والذي (من عري منه فهو أسوأ حالاً)، وباعتباره نعمة من الله وتكليفاً منه تستقيم به أمور الدنيا والآخرة، كانت التربية الدينية من أهم جوانب تربية الإنسان، وأهم جوانب تربية الإنسان، وأهم وسائلها الالتزام بأوامر الشرع، ولذا نراه يحدد أموراً هي من الأمور الهامة للتربية الدينية، يقول: (الجدل في الدين يحدد أموراً هي من الأمور الهامة للتربية الدينية، يقول: (الجدل في الدين مطردة لليقين، الإتباع خير من الابتداع.. الشريعة مأدبة الله للعباد، السنة حلية الديانين.. التوحيد حياة النفس.. المعرفة الفوز بالقدس.. إذا ضللت عن حكمة الله فقف عند قدرة الله.. اسبق عقلك الى ملكوت الله ولا تقحمه في جبروته .. إذا استأثر الله بشيء قاله عنه..).

الهدف هو التأدب بأدب الله، بشريعته، والالتزام بالتكاليف، والوقوف عند قدرة الله، والتخلص من الهوى، وترك الجدل في الدين، وهذا هدف واسع شامل، لايقتصر على مجرد أداء العبادات، بل يتجاوزه الى السلوك الشامل طبقاً لأوامر الشرع والوقوف عند قدرة الله، وهذا ليس رأياً ممثلاً لثقافة العصر السائدة، بل هو رأي نتج عن تجربة طويلة، ترى أن التربية الدينية الخالصة البعيدة عن المهاترات الجدلية، هي سلوك، وتسليم للخالق بعيداً عن الخوض في مذاهب العقليات والغيبيات، وماستره الله عنا حتى يتحقق الفوز بالنعيم والخلود في جوار الله.

إن التزام أوامر الشريعة- مأدبة الله والاستضاءة بنور الله، وفهم الوحي، وترك الجدل في الدين، والتزام التوحيد، والمعرفة لله، والتعرف على قدرته، وطرح هوى النفس، والتزام العمل بالعمل، والثقة في رحمة الله والتوكل عليه، والتفكر في ملكوت الله، وترك ما استأثر الله بعلمه، هي أهداف التربية الدينية التي هي أهم حالات النمو النفسي للإنسان.

هذا ويتحدث التوحيدي عن الأخلاق ويتوسع فيها، لكنه وبذكاء شديد يفصلها فصلاً اعتبارياً عن مجال الدين لاعتبارات معينة ويرى أن الخلق منه ما يزول بالرياضة، ومنه ما لايزول، ومنه ما هو صورة للنفس لايطمع في البراءة منه.

ولذا يذهب الى أن على الإنسان أن يجتلب محمود الأخلاق ويتجنب مذمومها، لأن أخلاق الإنسان مقسومة على أنفسه الثلاثة: الناطقة والغضبية والشهوانية، ولذا فإن (سمات هذه الأخلاق مختلفة بعرض واسع) وأخلاق الإنسان (بين المحمودة وبين المذمومة وبين المشوبة بالحمد والذم، وبين الخارجة منهما).

وكما أنه (لاسبيل الى تبديل الخلق كذلك لا قدرة على تحويل الخلق، لكن الحض على إصلاح الخلق، وتهذيب النفس لم يقع من الحكماء بالعبث والتجزيف با لمنفعة عظيمة موجودة ظاهرة) ولذا فإنه من الواجب على الإنسان أن يعني ما استطاع (باجتلاب محمود الأخلاق واجتناب مذمومها وتمييزه مما يمكن فيه أو تقليله، أو إطفاء جمرته، أو اجتناء ثمرته).

وتحتوي نظرته للأخلاق على الجانب المعرفي النظري، والجانب الإداري التطبيقي، وكلاهما متكاملان، إذ يجب تعريف الإنسان وتدريبه على التمييز بين الأمور، وهنا تظهر أهمية التعليم لاكتساب الفرد طريقة النظر والسلوك لإصلاح أخلاقه، واختيار المحمود منها، وتهذيب نفسه طبقاً لروح الزمان والمكان، لأنه (ليس في جميع الأخلاق شيء يحسن في كل زمان وفي كل مكان، ومع كل إنسان) وأمور الأخلاق (لاتوجد إلا متلابسة، ومتداخلة، وتخليص كل واحدة منها بحدة وحقيقته ووزنه مما يفوت ذرع الإنسان الضعيف المنة، المنتشر الطينة).

وهنا تقوم التربية بدورها الفعال فتزود الإنسان بالمعرفة اللازمة، وتدربه على الاختيار الأمثل، وهذا ما يوحي به كلام التوحيدي، برغم من أنه لم يفض في الوسائل الممكن استخدامها في التربية الخلقية.

هذا ويمكن أن تلمح اهتمامات التوحيدي بالعقل وأهمية تربيته، فهو في حاجة إليها، والقدرات العقلية في حاجة الى إنضاج وليس من سبيل إلى ذلك إلا بالتعليم، ومجالات تربية العقل وتعليمه واسعة لا تقتصر على التشريع كما ذكرنا، بل تشمل الموارد الفكرية كافة، ولكن الإنسان هو المحور الأساسي للتربية العقلية، يقول: (من أخلاق النفس الناطقة – إذا صفت- البحث عن الإنسان ثم عن العالم، لأنه إذا عرف الإنسان فقد عرف العالم الصغير، وإذا عرف العالم فقد عرف الإنسان الكبير، وإذا عرف العالمين عرف الإله الذي بجوده وجده ما وجد).

أما وسائل التربية العقلية فتتمثل في المحاورات والمناظرات، والتجارب والإطلاع، والدراسة ومجالسة العلماء، مع أهمية طرح الهوى، ومراعاة القدرة العقلية، والسؤال والفروق الفردية، وهكذا يولي التوحيدي أهمية خاصة لتربية العقل من أجل سلوك متعقل قائم على معرفة وعلم يؤدي إلى إيمان بالله تعالى.

ومهما كان من أمر يمكن القول إن العمل الفني وتذوقه في النفس الإنسانية يكون للدراسة وللتذوق وللتدريب دور هام في اكتساب خصائصه، ثم يأتي دور الفكر والإدراك الجمالي، ومن ثم تتأتى أهمية التدريب على الإدراك الجمالي والتذوق والانفعال والتعبير سواء أكان أدبياً أو في مجال الخط، وقد لفت التوحيدي نظر الأديب وزوده بعدة نصائح لصياغة عباراته لتكون جميلة حلوة.

وفي رسالة علم الكتاب بتناول أنواع الخطوط العربية، وطريقة استعمال الأقلام وبريها، ومعاني الخط، وأصول تلك المعاني، ويصف الخطوط الجميلة أوصافاً غاية في الدقة والروعة، وينقل نقولاً كثيرة في ضرورة جمال الخط، وكيف أنه تعبير عن نفس جميلة.

إن الاهتمام الذي أبداه التوحيدي بالجمال، والذوق الجمالي دعوة صريحة الى التربية الجمالية للإنسان العربي المسلم.

رحم الله التوحيدي، كان غريباً في عصره، بات يحس بالغربة بين أهل بيئته، عاداه الجميع لصراحته ونقده لأوضاع لا يرضاها، لكنه لم يتوان عن تأدية رسالته رغم تشاؤمه وسخطه وتبرمه

ويأسه الذي دعاه لاحراق كتبه، أراد أن يربي الإنسان على التفتح العقلي ليقع على الحق، وليقول الحق، فأغضب عليه السلطان وأصحاب الأقلام، فهل يمكننا أن نقول إنه قد حرص على تربية الغريب، على خلق وفكر ودين؟ أخذ من نتاج العقول، لكنه لم يغرق، فكان كما قال:

(اللهم إنا قد أصبحنا غرباء بين خلقك فآنسنا في فنائك، اللهم وأمسينا مهجورين عندهم فصلننا بحبائك، اللهم إنهم عادونا من أجلك لأنا ذكرناك لهم فنقروا، ودعوناهم إليك فاستكبروا، وأوعدناهم بعذابك فتحيروا، ووعدناهم بثوابك فتميروا، وتعرفنا بك اليهم فتنكروا، وصناك عنهم فتنمروا وقد كففنا عن نذيرهم ويئسنا من توقيرهم).

منهج التربية: عند الإمام جعفر الصادق

بالرغم من عدم الاستقرار الذي أحاط بحياة الإمام جعفر الصادق (80-148هـ) سواء في الفترة التي عشاها في ظل الدولة الأموية، أو تلك الفترة التي عاشها في ظل الدولة العباسية إلا أن من بين التراث الذي ينسب إلى الرجل ما يدل بشكل قاطع على تمكنه وامتلاك جوانبها من بين حكمة الرجل وتوجيهاته يمكن أن يتولد معها منهج تربوي مستقيم يعبر عن فكر الرجل الذي يمكن رؤية بعض أهدافه التربوية في الدعوى الى وجوب:

- معرفة الله حق المعرفة، بالوقوف على ما أمر به ونهى عنه، ومايترتب على ذلك من التزام وإخلاص وتوكل على الله، والى ضرورة التربية الخلقية والالتزام بمكارم الأخلاق، وترجمتها في سلوك فعلي في حياة الإنسان، اذ لا معنى للخلق بدون عمل.

- التربية العقلية، وتدريب حواس الإنسان وعقله حتى ينمو نمواً متدرجاً وينتقل من الجهل على العلم والتصرف، وذلك بدراسة العلوم الشرعية وكذلك العلوم الكونية.

- التربية البدنية، وتدريب الجسم حتى ينمو متدرجاً، وينتقل الى تمام الإدراك، والحركة الفاعلة.

- التربية العملية، وتدريب الإنسان في سبيل استغلال الأشياء استغلالاً بتوافق مع طبائعها ومع تحقيق مصلحته

- التربية على أحكام الشريعة، والالتزام بأوامرها، وتحقيق التقوى والورع، ومداراة الناس.

- التربية الاجتماعية، بحيث يتدرب الإنسان على العيش مع غيره من آباء وأقارب، وعلماء ورجال وسلطان.

- التربية على التعايش مع الابتلاء، والتأدب بأدب الله معه، كالصبر.

إن هذه الأهداف هي التي تبرز واضحة في تراث الرجل من خلال توجيهاته، إنه رضي الله عنها في مجال الاهتمام بتربية الطفل وضرورة رعايته، يولي تربية الأطفال والناشئة أهمية بالغة، خاصة في ضوء معطيات عصره، وفي ظروف كظروف البيت العلوي لابد من الاهتمام بتربية النشء والعناية بهم، ومن أجل هذا نراه يسوق كثيراً من الأقوال المعبرة والنصائح البالغة.

وينصح بحب الصبيان ورحمتهم والوفاء بالوعد لهم، ويرى أن سن التعليم هو سبع سنين (الغلام يلعب سبع سنين، ويتعلم الكتاب سبع سنين، ويتعلم الحلال والحرام سبع سنين) ويقول: (دع ابنك يلعب سبع سنين)، وهذا الذي يقوله ردده كثير من علماء الإسلام، فهو لم يخرج عن الجو الإسلامي العام، ويوصي الآباء بحب أبنائهم (إن الله عز وجل ليرحم الرجل لشدة حبه لولده).

ويوصي بالمبادرة بتنشئة الأولاد تنشئة صالحة، وينصح ابنه قائلاً: (يابني إن تأديب صغيراً انتفعت كبيراً، ومن عني بالأدب اهتم به، ومن اهتم به تكلف علمه، ومن تكلف علمه اشتد في طلبه، ومن اشتد في طلبه أدرك منفعته)، ومن جملة النصائح والوصايا يتبين ما يأتي:

- أهمية تربية الطفل والعمل على تأديبه، وإسداء النصح له.

- أهمية اللعب في حياة الطفل، وترك الطفل ليلعب سبع سنين أمر له أهميته في تنمية قدرات الطفل ومهارته كذلك يستفاد من توجيه الإمام جعفر الصادق (رضي الله عنه)

- أهمية توليد الشعور بالمسؤولية الشخصية لدى الطفل، وإحياء روح الاستقلالية لديه، وذلك من الأهمية بمكان في فكر الرجل.

- تنمية روح الاعتماد على النفس، والجد في أداء الواجبات.

والصادق يلفت النظر إلى أهمية تربية الطفل على مبادئ الإسلام الصحيحة في عصر كان شبيهاً بعصرنا مزدحماً بالأفكار والنظريات والمذاهب الصحيحة وغيرها، ومن ثم لابد من تحصين الطفل ضد المذاهب غير الصحيحة، وبذلك يضمن إيجاد وتكوين رجال أصحاء جسدياً وفكرياً وعقيدياً، وهذا ولايغفل الإمام الصادق الجانب التعليمي أو مانسميه بالمنهاج الدراسي.

فمن خلال ما قال الصادق يمكننا أن نذكر رأيه في المنهاج الدراسي والذي يقسمه الى قسمين كبيرين هما:

العلوم الدينية: وتشمل علوم القرآن وعلوم الحديث، فقد كان الصادق صاحب مذهب فقهي اعتمد أصوله من القرآن والسنة، ولذا كان لا بد من الالمام بعلومهما ومعهما علوم اللغة العربية، وكان يروي

الحديث والسنن ويتحرى صدقها ويروض أصحابه على التماس أصلها من القرآن الكريم.

العلوم الدنيوية: لقد وضع الإسلام قواعد الانطلاق في العلوم الدينية والدنيوية، وشهد عهد الخليفة عمر بن الخطاب بوادر نقل تلك العلوم، ثم استمر ذلك حتى جاء عصر الصادق فكانت توجيهاته نافعة في الانفتاح على علوم الآخرين، وقد اتسع فهمه حتى أنه قال: (لايستغني أهل كل بلد عن ثلاثة يفرغ إليهم في أمور دنياهم وآخرتهم، فإن عدموا ذلك كانوا همجاً: فقيه عالم ورع، وأمير خير مطاع، وطبيب بصير ثقة).

وانطلاقاً من هذا، اهتم الصادق بالعلوم الكونية والكيمياء ودرسها واستوعبها، ونال فيها شهرة واسعة بين معاصريه، ولعل هذا كان من أهم الدوافع التي حدت بجابر بن حيان أن يتتلمذ عليه، وقد اهتم الصادق بتعليم مادة الكيمياء لما رأى لها من أهمية وفائدة كبيرة، وقد ساعد هذا على تخليصها من الأساطير والأوهام التي علقت بها، وكانت للصادق منهجية في مدرسته التي قادها في العلوم الطبيعية، وتمثلت هذه المناهج في: علوم الفلك، ووظائف الأعضاء، والنبات والفيزياء، والكيمياء، وعلوم الصنائع.

والملفت للنظر حقاً هو صيغة التكامل والشمول التي تميز بها الصادق في تناوله العلوم الدينية والعلوم الدنيوية، وعدم الفصل بينهما، حتى أنه يجعل منزلة الأمير والفقيه والطبيب واحدة، ويستخدم نتائج العلوم الطبيعية للاستدلال على عظمة الإله وقدرته، وفي التدليل على صدق التبليغ عنه.

هذا وتستوعب مجالات التربية عند الصادق كثيراً من ميادينها أن لم تكن جميعها ويمكن النظر الى مجالين عند الإمام الصادق.

الأول: التربية الدينية والخلقية

تدل أقوال الصادق على حرصه على تربية تلاميذه على أمور الدين، وقد كان الصادق شيخاً لكل من مالك وأبي حنيفة، مما يدل على سعة علمه الديني، وقد اهتم بسلوكيات تلاميذه، مخلصاً إياهم من النزعات الضالة والتطرف والتعصب البغيض، ويضرب لهم المثل والقدوة من أخلاقه وفكره، والى جانب هذا خاض مناظرات علمية لاثبات وحدانية الله وقدرته وعلمه وحكمته.

ويتضح اهتمامه بالتربية الدينية والخلقية من أقواله ووصاياه، يروي عنه الأصمعي، يقول: (الصلاة قربان كل تقي، والحج جهاد كل ضعيف وزكاة البدن الصيام، والداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر، واستنزلوا الرزق بالصدقة وحضنوا أموالكم بالزكاة وينصح ابنه قائلاً: (كن للقرآن تالياً، وللسلام فاشياً، وللمعروف آمراً، وعن المنكر ناهياً، ولمن قطعك واصلاً، ولمن سكت عنك مبتدئاً، ولمن سألك معطياً، وإياك والنميمة فإنها تزرع الشحناء في القلوب، وإياك والتعرض لعيوب الناس، فمنزلة المتعرض لعيوب الناس كمنزلة الهدف).

وفي هذا المجال ينصح بنصائح غاية في الأهمية تدخل في مجال الأخلاق الإسلامية، منها على سبيل المثال: (ما عال من اقتصد، والتدبير نصف العيش، والتودد نصف العقل، وقلة العيال أحد اليسارين، ومن أحزن والديه فقد عقهما ومن ضرب على فخذيه عند مصيبته فقد حبط أجره، والصنيعة لاتكون صنيعة إلا عند ذي حسب ودين، والله تعالى ينزل الصبر على قدر المصيبة، وينزل الرزق على قدر المؤونة، ومن قدر معيشته رزقه الله تعالى، ومن بذر معيشته حرمه الله تعالى)، وعنه: (لا زاد أفضل من التقوى، ولا شيء أحسن من الصمت، ولا عدو أضر من الجهل، ولا داء أقوى من الكذب).

إلى جانب هذا ينهى عن الخصومة في الدين ويدعو الى الاعتدال في العبادة ويدعو الى الالتزام بالأخلاق الحميدة، وأن لا بذل الإنسان نفسه لأحد.

ومن مجموع النصوص السابقة يتبين أن الرجل استهدف من بين ما كان يريده اهتمام الرجل بتربية الوازع الداخلي وتنمية الحرص على أداء الفرائض.

واهتمامه بأبعاد أتباعه بالتربية عن الخصومات الدينية التي تورث النفاق واهتمامه بالممارسات العلمية لشعائر الدين، حتى لايصبح مجرد شعارات، واهتمامه بتربية الأفراد على مكارم الأخلاق.

واهتمامه بتربية الأفراد ليتمكنوا من سياسة معاشهم، وتقديرها تقديراً سليماً، مع تجنب التبذير فيها.

واهتمامه بتربية الأفراد على احترام الناس، ومخالطة العلماء، وتجنب مداخل السوء، وعدم الدخول فيما لايعني، وغير ذلك من ألوان التربية السلوكية.

واهتمامه بتربية الإنسان على قول الحق أيا كان، وكذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

واهتمامه بتنمية الحرص على كتاب الله ومداومة تلاوته عند الأفراد.

واهتمامه بتنمية الأفراد على خلق إفشاء السلام والالتزام بالآداب الاجتماعية.

وجماع معالم هذه التربية يتمثل في التقوى، وتنمية الإنسان الصالح، دينا وخلقاً واجتماعاً ومعاشر ليعيش حياة دنيوية سعيدة بين الناس، ويتجنب مهاوي الهوى والرذائل، ويستعد لسعادة حقيقية في الآخرة.

والثاني: التربية العلمية والفكرية

إن ملامح هذا المجال من التربية يتضح من خلال أخباره فيما كتبه جابر ابن حيان، ويمكننا تبين هذه الملامح فيما يأتي:

- الإيمان بالعلم، وأهميته، وإدراك أهمية التعليم وإدراك أهمية التوجيه العلمي والفكري من الأستاذ المعلم للمتعلم، وكذلك أهمية وجود التعاطف بين الأستاذ والتلميذ، وأن يكون التلميذ ليناً قابلاً لجميع أقوال أساتذته.

- وأهمية إقبال المتعلم على الأستاذ إقبال شغف، وأن يحفظ أستاذه ن ويترك الكسل والتشاغل عنه.

- أهمية قيام العلم والتفكير العلمي على أساس عقلاني، ومع توافر المعرفة بخواص الأشياء كذلك لابد من توافر الموضوعية في الدراسة العلمية ولابد كذلك من تبسيط العلم وتسهيله، وعدم الاغراق في الرمزية، وتجنب الأطناب الذي يفسد الموضوعية، كذلك تتجلى عنده أهمية اجراء التجربة العلمية بموضوعية.

لقد كان الصادق يدرب طلابه على إجراء التجارب إلى جانب ما سبق، وله في ذلك شروط أوضحها جابر في نصوص له، تدل على شمول نظرة الصادق، وتكاملها وربطه بين العلم والدين، وتأكيده على أهمية إخلاص العمل لله، والتوجه له بالدعاء لتحقق الفائدة، ولذا نراه ينصح جابر حين يريد الإقبال على التجربة وتحصيل العلم، بالوضوء والطهارة والصلاة والاستخارة، والدعاء والتصدق، ويختم نصيحته له بقوله: (فإن الله تعالى يحمدك العاقبة في سائر أمورك، ويزجر الشيطان عن وجهك، واقصد لما تشتهيه، فإنك ترى فيه الرشد.. ويرزقك الله قريباً إن شاء الله).

منهج التربية: عند الإمام الشافعي

الشافعي هو الإمام، أو عبدالله محمد بن إدريس بن عباس بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف.

ولد في نهار الجمعة آخر يوم من شهر رجب عن سنة خمسين ومائة هجرية وهي السنة التي توفي فيها أبو حنيفة رحمه الله.

وكان مولده في غزة ثم جمل الى عسقلان وهو صغير، ثم الى مكة وهو ابن ستين، والبيئة التي تربى فيها الشافعي ساعدته على تكوين أفكاره المستقيمة ومنهجه الراشد وأحكامه المستمدة من روح الكتاب والسنة.

ولما كنا لسنا بصدد الترجمة للإمام الشافعي كذلك لسنا في مقام التعرف على فقهه وعلمه واجتهاده غنما أحببنا التدليل والبرهنة على أن التجارب والبحوث في مجالات التربية والتقويم ليست حكراً على العقل الغربي واللائذين به، ومن هنا ذهبنا نستنبط من أقوال بعض الأئمة في عصور الإسلام المدبرة ما يمكن أن يشكل قاعدة لمنهج تربوي عصري يترجم روح الأدب الإسلامي والخلق القويم الذي يبرز واضحاً جلياً في تعاليم الإسلام، فما الذي يمكن أن يكون عند الإمام الشافعي من أفكار وتوجيه تصلح مرتكزاً للاسترشاد به في عمل التربية الحديثة ؟.

وبادئ ذي بدء نود أن نوضح ان الإمام الشافعي قد عني عناية عظيمة بعلم السلوك العلمي والنظري والذي هو قوام التربية وأداتها وترجمانها.

فالسلوكية عنده إما فردية أو اجتماعية، أما الفردية فللشافعي فيها تعليمات كثيرة، فمن أجلها ينبغي أن يكون عالم الشريعة عاملاً بعلمه، وأن يكون بشخصه مثلاً وقدوة لمن يعلمهم من الناس، يقول الشافعي لمؤدب أولاد الرشيد – حيث قال له سراج الخادم: يا أبا عبد الله هؤلاء أولاد أمير المؤمنين، هذا مؤدبهم، فلو أوصيته بهم- فأقبل عليه الشافعي فقال: (ليكن ما تبدأ به من إصلاح أولاد أمير المؤمنين إصلاحك لنفسك، فإن أعينهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما تستحسنه، والقبيح عندهم ما تكرهه، علمهم كتاب الله ولا تكرههم عليه فيملوه، ولا تتركهم منه فيهجروه، ثم روهم من الشعر أعفه، ومن الحديث أشرفه، ولا تخرجهم من علم إلى غيره حتى يحكموه، فإن ازدحام الكلام في السمع مضلة للفهم).

هذه الوصية العظيمة لاتتعلق بالسلوك فقط، بل فيها من التربية العلمية الدقيقة ما هو جدير بأن يؤخذ مثالاً يحتذى.

وبهذا المعنى قال الشافعي: (من سمع بأذنه صار حكيماً، ومن أصغى بقلبه كان واعياً، ومن وعظ بفعله كان هادياً)، ومن حكمه السلوكية قوله: (العاقل من عقله عقله عن كل مذموم) .

ومن قوله في معنى الغرور: (من سام نفسه فوق مايساوي رده الله الى قيمته).

ويقول: (المروءة أربعة أركان: حسن الخلق، والسخاء، والتواضع، والنسك).

وكان رحمه الله يقول لولده، وقد نقده بأمره: (والله الذي لا إله إلا هو، لو علمت أن شرب الماء البارد ينقص من مروءتي ما شربته).

ويقول: (المروءة عفة الجوارح عما لايعنيها)، ومن قوله: (لايكمل الرجل في الدنيا إلا بأربع: الديانة، والأمانة، والصيانة، والرزانة)، ومن قوله في الحرية إذا سأله رجل فقال أوصني: فقال: إن الله خلقك حراً فكن كا خلقك)، وقال محمد بن الشافعي: (رآني أبي وأنا أعجل في بعض الأمر فقال: يابني رفقاً رفقاً فإن العجلة تنقص الأعمال، وبالرفق تدرك الآمال)، وهذا قليل من كثير من وصاياه في السلوك الاجتماعي فهي كثيرة، منها قول الشافعي: الانبساط الى الناس مجلبة لقرناء السوء، والانقباض عنهم مكسبة للعداوة، فكن بين النقيض والمنبسط)، ومنها قوله: (ما أكرمت أحداً فوق مقداره الا اتضع من قدري عنه بمقدار ما أكرمته)، وكان يقول: (صحبة من لايخاف العار عار يوم القيامة).

يقول يونس بن عبد الأعلى تلميذ الشافعي ورفيقه الى مصر قال: قال لي الشافعي: (عاشر كرام الناس تعيش كريماً، ولا تعاشر اللئام فتنسب الى اللؤم).

ويقول الشافعي: (أظلم الظالمين لنفسه من تواضع لمن لا يكرمه، ورغب في مودة من لاينفعه، وقبل مدح من لا يعرفه).

ويقول في هذا المعنى: (إن أظلم الناس لنفسه من رغب في مودة من لايراعي حقه) ويقول في لؤم ابن آدم: (طبع ابن آدم على اللؤم، فمن شأنه أن يتقرب ممن يتباعد منه، ويتباعد ممن يتقرب منه).

ويقول في صدق الأخوة: (من صدق في أخوة أخيه قبل علله، وسد خلله وعفا عن زكله)، ويقول في صحبة الأخوان: (ليس سرور يعدل صحبة الأخوان، ولا غم يعدل فراقهم).

ويقول في الوعظ سراً: (من وعظ أخاه سراً فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشأنه).

وإذا ما نظرنا إلى حبه للعلم وترغيبه فيه نراه يزين طلب العلم بتلك المعاني الجلية التي يقول فيها: (طلب بالعلم أفضل من صلاة نافلة).

ويقول بهذا المعنى: (ليس بعد أداء الفرائض شيء أفضل من طلب العلم، قيل له: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: (ولا الجهاد في سبيل الله).

وقال لتلميذه الربيع: (ياربيع اطلب العلم ولو في الصين) أما ما ينسب الى النبي (ص) من هذا الكلام فليس صحيحاً، وقال الشافعي في التواضع في العلم: (لايطلب هذا العلم أحد بالملك وعزة النفس فيفلح، ولكن من طلبه بذلة النفس وضيق العيش، وخدمة العلم، وتواضع النفس أفلح) .

وقال: (من لايحب العلم فلا خير فيه، ولايكن بينك وبينه معرفة ولا صداقة). وكان يقول: (زينة العلماء التقوى، وحليتهم حسن الخلق، وجمالهم كرم النفس). ويقول: (لا عيب بالعلماء أعظم من رغبتهم فيما زهدهم الله فيه، وزهدهم فيما رغبهم الله فيه)، وقال في شغفه في الأدب والعلم- على ما رواه تلميذه المزني قال: (قيل لمحمد بن ادريس الشافعي: كيف شهوتك للأدب؟ قال: اسمع بالحرف منه مما لم اسمعه فتود أعضائي أن لها أسماعاً تتنعم به مثل ما تنعمت بالآذان) قيل له: كيف حرصك عليه؟ قال: حرص الجموع المنوع على بلوغ لذته في المال، وقال له: وكيف طلبك له؟ قال: طلب المرأة المضلة ولدها وليس لها غيره) ويقول المزني صاحب الشافعي: سمعت

الشافعي يقول: (العلم مروءة من لامروءة له)، ومن نصائحه رحمه الله لطالب العلم ما يرويه الربيع بن سليمان حين يقول: سمع الشافعي – وذكر من يحمل العلم جزافاً- فقال: (هذا مثل حاطب ليل، يقطع حزمة حطبه فيحملها ولعل فيها أفعى تلدغه وهو لايدري).

وفي رواية: (مثل الذي يطلب العلم بلا حجة كمثل حاطب ليل).

يريد من يطلب العلم ويكتبه على غير فهم، أو يأخذه من غير عالم ثقة، ومن غير أن يبحث، وعن الزعفراني تلميذ الشافعي يقول: سمعت الشافعي يقول: (من تعلم علماً فليدقق فيه لئلا يضيع دقيق العلم)، ودقيق العلم هي مسائله الخفية التي تحتاج الى عمق النظر، والمعنى: من تعلم علماً ما واختص به، ولم يعلم ما دق منه فضلاً عما ظهر فقد نقص علمه.

وعن ابي بكر الخلال يقول: سمعت الشافعي يقول: (ليس العلم ما حفظ، العلم منا نفع)، إذن فما فائدة علم دفن في الحافظة، ولم يخرج الى الناس؟ وكان الشافعي رحمه الله يقول في طلب العلم غير المهتم بفائدته: (من حضر الدرس بغير دواة ولا ورق كان كمن جاء الى الطاحون بغير قمح) أي كلاهما لايفيد من علمه شيئاً.

عن عبدالله بن محمد البلوي يقول: سمعت الشافعي يقول: (من الذل أشياء، منها: (حضور مجلس العلم بلا نسخة)، أي بلا كتاب).

ويقول الربيع بن سليمان: سمعت الشافعي يقول- في المراء الذي لافائدة منه: (المراء يقسي القلب، ويورث الضغائن)، والمراء:ا لجدال.

ومن كان يريد أن يناظر بنية البحث عن الدليل الأقوى، أو ليفهم غيره الحجة الأوضح فليكن كما روى الحسن بن محمد الزعفراني إذ يقول: سمعت الشافعي يقول: (ماناظرت أحداً فأحببت أن يخطئ).

ويقول ابن عبدالحكم: سمعت الشافعي يقول: (من إذالة العلم أن تناظر كل من ناظرك، وتقاول كل من قاولك)، من إذالة العلم، أي إهانته، والمراد: ألا يناظر المرء إلا من يستحق المناظرة وهم أولئك الذين يناظرون ويبحثون ليظفروا بالحق ولو في مسألة واحدة.

ويقول أحمد بن حنبل: سمعت الشافعي يقول: سمعت مالك بن أنس يقول: سمعت محمد بن عجلان يقول: إذا أغفل العالم (لاأدري أصيب مقاتله)، أقول: ولا يقولها إلا عالم متمكن ورع، ويخشى أن يقولها: نص العالم، ونصف العالم: من لم يستطع أن يقطع بمسألة واحدة من العلم، ومن أتقن مسألة واحدة بدقائقها وأدلتها فهو عالم بها ولا شك.

وبقول حرملة: قال الشافعي: (إذا ذكر الرجل بغير صناعته فقد وهص) أي فقد كسر، يريد من اختص بعلم وخاض في غير ما اختص به وأتقنه، فقد وضع نفسه موضع النقد، بل السخرية، وهذا كسره.

وأما الطريقة التي أخذ بها الشافعي العلم عن شيوخه فتدل على قدر الذكاء عظيم، فقد كان من أكبر شيوخ الشافعي سفيان بن عيينة ومالك بن أنس، فقد سمع من الأول الحديث وكتبه وسمع من الثاني الحديث والفقه ويجمعهما الموطأ، ولا بد أنه سمع منه الكثير غير الموطأ، أما طريقة سفيان بن عيينة- وهو حافظة مكة في زمنه – فقد كان يجلس في حرم مكة ويملي حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ويكتب عنه الحديث، وكان ضيق الخلق فلا يستطيع أحد أن يسأله، ولا أن

يستزيده، بل لايستطيع أن يبدؤه أحد بالسلام وإلا سمع ما لايرضيه، قال الربيع بن سليمان قال لي الشافعي: قيل لسفيان بن عيينة- وقد ضاق خلق-: يا أبا محمد، يأتيك قوم من أقطار الأرض فتضيق عليهم، يوشك أن يذهبوا ويتركوك، قال(هم إذن حمقى مثلك، إن تركوا ما ينفعهم لسوء خلقي).

ويقول الربيع بن سليمان: سمعت الشافعي يقول: كنت آتي سفيان بن عيينة فلا أسلم عليه حتى يكون هو الذي يبدأني، فيلتفت الى فيقول: كيف أصبحت أصلحك الله؟ وذلك أنه كان إذا بدأه إنسان بالسلام رد عليه بضيق: كيف أصبحت ؟ كيف أصبحت؟. وأما شيخه مالك بن أنس فقد كان له مجلس في حرم المدنية، وكان مجلسه هذا مجلس هيبة ووقار وإجلال، لا يستطيع أحد مهما يبلغ من الجرأة والعلم والسلطان أن – يتكلم فيه بكلمة لم يحكم مناسبتها وموضوعها وأداءها، كما لا يستطيع أحد أن يسأل إلا في غاية من الأدب وخفض الصوت، وأن يكون ما يسأل مما يصعب أو يستشكل عند أولي الفهم في العادة، ولايجرؤ مستمع أن يستزيد الإمام حديثاً وفقهاً إذا أراد الإمام أن ينهي ما كان فيه، وإلا أخذته المقارع وأخرج.

قال أبو مصعب: (كنا نكون عند مالك، فلا يكلم ذا ذا، والناس ماثلون برؤوسهم هكذا، وكانت السلاطين تهابه وهم قاعدون يستمعون، وكان يقول في المسألة: لا، أو نعم، فلا يقال له: من أين قلت هذا؟.

وقال اسماعيل الفزاري: (دخلت على مالك فسألته الحديث، فحدثني أظنه باثني عشر حديثاً، فاستزدته – وسودان قيام على رأسه- فإذا هم حملوني وأخرجوني من داره، فرموا بي في الطريق، ودخل بقية بن الوليد على مالك- وكان لبقية شأن في العلم- فقال الناس: اليوم ننتفع بأبي محمد، يسأل مالكاً مسائل نكتبها عنه، فسألت ست مسائل، فأجابه فيها كلها. وسأله بعد ذلك فقال مالك: أكثرت، خذوا بيد الشيخ، فجاء نفسان فأخذا بضبعيه فأخرجاه .

وقال بشر بن آدم: سأل الأغضب مالكاً عن مسألة، ثم عن أخرى فأجابه ثم عن أخرى فأجابه، ثم عن أخرى فلم يجبه، فقال له هو: لم ؟ فقال مالك: ياغلام خذ بيده فاذهب به الى السجن.

وكان لمالك سجن وكان له رجال أشداء كالشرـ قال الأغضب: إني قاضي أمير المؤمنين، قال: ذلك أهون لك، قال: لا أعود، قال مالك: خل سبيله.

هذان مثالان ينبئان عن لون التربية العلمية لشيخين من شيوخ الشافعي، وأظن أن لمالك فيما ذهب إليه من ظنه بالعم وتأديب الناس عذره، وهو خوفه من أن يكثر الناس من الحديث فيدخلوا في حديث النبي(صلى الله عليه وسلم) ما ليس منه، وزيادة إجلاله وتقديره لحديث رسول الله(صلى الله عليه وسلم)، فإن من عظم محبته (صلى الله عليه وسلم) عظيم إجلال ما ثبت عنه قول أو قول أو إقرار.

هذا وتختلف طريقة الشافعي عن طريقة شيوخه فقد كان يذكر بعقله وعلمه ودقيق مناقشته، قال أبو عبيد القاسم بن سلام: (ما رأيت رجلاً قط أعقل من الشافعي)

ويقول أحمد بن حنبل لابن راهويه – في حكاية يذكر فيها الشافعي-: (فإن فاتك عقل هذا الفتى أخاف ألا تجده الى يوم القيامة).

وهذا يحيى بن أكثم قاضي قضاة بغداد: (ما رأيت أحداً أعقل من الشافعي)

أما العلم فقد اطلع الشافعي على فقه مكة وحديثها من كثيرين منهم سفيان ابن عيينة ومسلم بن خالد الزنجي وسعيد بن سالم القداح وغيرهم.

وأخذ علم اليمن من مطرف بن مازن، وهشام بن يوسف قاضي صنعاء، وعمر بن ابي سلمة صاحب الأذرعي، وغيرهم، وأخذ علم العراق ومن وكيع ابن الجراح، وأبي أسامة حماد بن أسامة الكوفيين، واسماعيل بن علية، وعبدالوهاب بن عبدالمجيد البصريين.

وأخذ علم أهل الرأي عن أحد الصاحبين محمد بن الحسن سماعاً منه، وكتب من كتبه حمل جمل- وقد تقدم بعض هذا – تلقى هذا العلم مع أدلته، ودقيق مسائله، ثم اجتهد فكتب أصوله – وهو أول من وضع الأصول- ثم كتب مذهبه وأملاه في العراق، ومرة في مصر.

وكان رحمه الله يحث تلاميذه على الاجتهاد، وترك التقليد لكل أحد، وإن كان الشافعي شيخهم.

يقول المزني في مقدمة كتاب المختصر: (اختصرت هذا الكتاب من علم محمد بن ادريس الشافعي رحمه الله، ومن معنى قوله، لأقربه على من أراده، مع إعلامه نهيه عن تقليده، وتقليد غيره، لينظر فيه لدينه، ويحتاط فيه لنفسه) وتتجلى روح الإخلاد لله تعالى عند الشافعي في قوله: (وددت أن الناس تعلموا هذه الكتب ولم ينسبوها إلي)

رحم الله الإمام الشافعي على ما قدم للإسلام والمسلمين من خير.

منهج التربية: عند ابن مسكويه

قد لايكون الرجل (ابن مسكويه) ذائع الشهرة معروفاً ومألوفاً عند غير المشتغلين بالتراث الإسلامي ولذا نؤثر في عجالة أن نعرف بالرجل وعصره تمهيداً للوقوف على منهجه في التربية.

هو: (ابو علي بن محمد بن يعقوب الملقب (مسكويه) ولد في الري من أبوين فارسيين مسلمين، وشب على دراسة العلوم والآداب، ثم استهواه علم الكيمياء فلازم أبا الطيب الكيميائي الرازي فترة، ثم رحل الى بغداد ولازم الوزير المهلبي عام (348هـ)، ثم عاد الى الري ولازم ابن العمير وكان من علماء الهندسة والفلسفة والمنطق واللغة العربية، لكن الذي يؤكد على ابن مسكويه هو اتصاله في البصرة بجماعة (إخوان الصاف) وهو أصحاب فكر منحرف وعقائد فاسدة ضالة بل إن ابتداعاتهم تخرجهم من الإسلام على الرغم من الزعم الذي يقولون به وهو: التفريق بين الشريعة الإسلامية والفلسفة التي يقولون بها، لكن يبدو والله أعلم أن الرجل ابن مسكويه لم يتوسع من جماعة إخوان الصفا ولم يأخذ عنهم شيئاً أثر على حياته بدليل تلك الوفرة من الكتب التي صنفها في التربية والأخلاق وطرق التهذيب ذلك أن كتابه(تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراف) يعتبر من الكتب المتميزة في هذا المجال من بين كتب التراث الإسلامي.

هذا وينطلق ابن مسكويه في منهجه التربوي من مقولة: ترى (أن الفضائل أنفسها ليست تحصل لنا إلا بعد أن نظهر نفوسنا الرذائل التي هي أضدادها، أعني شهواتها الرديئة الجسمانية، ونزواتها الفاحشة البهيمية، فإن الإنسان اذا علم أن هذه الأشياء ليست فضائل بل هي رذائل تجنبها وكره أن يوصف بها، وإذا ظن أنها فضائل لزمها وصارت له عادة، وبحسب التباسه وتدنسه بها، يكون بعده من قبول الفضائل).

(فالأخلاق تكتسب بالتعليم والتهذيب والنصح المستمر، حتى تصير ملكة، فالإنسان مطبوع على قبول الخلق بالتأديب والمواعظ أن سريعاً أو بطيئاً- وهو ما يراه حقاً- ولا يجوز ترك الأحداث والصبيان على مايتفق أن يكونوا عليه بغير سياسة ولا تعليم، وهذا ظاهر الشناعة جداً) والناظر في تراث ابن مسكويه يراه قد عني عناية خاصة بالأخلاق الفاضلة، ويؤكد على إتباع طرق التهذيب والنصح والإرشاد والتحذير في تربية الأحداث والصبيان وغيرهم لكي ينشأ الطفل مطبوعاً على الفضائل، سعيداً في دنياه وآخرته.

هذا ويقرر ابن مسكويه: أن الناس يتفاوتون في قبول الأخلاق، فهم ليسوا في درجة واحدة في تلقيها وقبولها، وعلى المربي ألا ييأس ويعجز بل يستمر في عمله، ويقول في هذا: (وأما مراتب الناس في قبول هذه الآداب، التي سميناها خلقاً والمسارعة الى تعلمها، والحرص عليها، فإنها كثيرة وهي تشاهد وتعاين فيهم، ومن الأحوال المتفاوتة ما تعرف به مراتب الإنسان في قبول الأخلاق الفاضلة، وتعلم معه أنهم ليسوا على رتبة واحدة، وأن فيهم المتواني والممتنع، والسهل السلس، والفظ العسر، والخير والشرير، والمتوسطون بين هذه الأطراف في مراتب لاتحصى كثرة، وإذا أهملت الطباع،

أن يكون من ذوي الأخلاق الفاضلة، حلو الكلام، طلق الوجه، لين العريكة، جميل المظهر، لايوحشهم، يحادثهم بما يفهمونه ويتدبرونه، (من كان له صبي، فليستصب له) ([150]) فهو

قدرتهم ومثلهم الأعلى.

- ومكانة المربي لاتتوقف على علمه، بل على حسن علمه، وسياسته الناجحة في تهذيب الأطفال قبل تعليمهم، فالتعليم بالمقابل، والتهذيب بالفعال، فإن أخلاقه وتصرفه وكلامه تنطبع في نفوس الأحداث، ومايتعلمه الطفل بالمحاكاة أكثر مما يتعلمه بالقول.

- يتجنب الزجر والشدة، والتعريض بالمقصر، يحادثهم باللين والبشاشة واللطف، يحسن الإلقاء إليهم، ينزل الى مستوى عقولهم ومداركهم، وفي الأثر، (خاطبوا الناس على قدر عقولهم)

- يكثر في ضرب الأمثال البسيطة التي تؤثر في نفوسهم، فإن حسن التصرف له أثر حسن في التوجيه والتهذيب.

- يبدأ بدرس نفوس الأطفال ومايميلون إليه ويرغبون به، ويقبلون على تلقيه، فيستغل هذا ويتبع معهم طريقة رشيدة في توجيههم الى الأخلاق الفاضلة خاصة وأن نفوسهم في هذه المرحلة ساذجة، قابلة لتلقي كل ما يحسن الإلقاء إليها.

- وإن أهمل المعلم هذه الطباع، ولم يحسن ترييضها بالتأديب والتقويم نشأ كل واحد منهم على سوم طباعه التي يعتادها بنفسه، ويقضي عمره كله على تلك الحال، ويقوم في هذا: (وإذا أهملت تلك الطباع، ولم ترض بالتأديب والتقويم، نشأ كل إنسان على سوم طباعه، وبقي عمره كله على الحال التي كان عليها في الطفولية).

- يؤكد على المؤدب أن يستغل ما يظهرونه من ميولهم ورغباتهم- كالحياء مثلاً – فيقرهم عليها بالترغيب والثناء وضرب الأمثال، يشجعهم على ما هم عليه من تصرفن ويحذرهم من ضدها، ويؤكد عليهم أن هذه الأخلاق هي التي يستحسن أن يتصف بها كل طفل نجيب عاقل، يقول في هذا: (ولذلك قلنا إن أول ماينبغي أن يتفرس في الصبي، ويستدل به على عقله الحياء، فإنه يدل على أنه قد أحسن بالقبيح، ومع إحساسه به هو، يحذره ويتجنبه ويخاف أن يظهر منه أو فيه، فإذا نظرت الى الصبي فوجدته مستحيياً مطرقاً بطرفه الى الأرض، غير وقاح الوجه، ولا محدق إليك، فهو أول دليل على نجابته.. الخ)

وهو يعلق آمالاً على حسن توجيه مثل هذا الطفل، لأن بفطرته مستعد لتلقي كل حسن يلقي إليه، وتجنب كل قبيح يمس كرامة نفسه، فعلى المربي أن يضاعف عنايته به، ويحذره من مخالطة غيره، الذي لم يسكوا سلوكه خاصة وأن نفسه لم تزل ساذجة لم يطبع بها شيء، فإذا طبع على الأخلاق الفاضلة وقبلها، شب على ما طبع عليه، يقول في هذا: (وهذه النفس مستعدة للتأديب، صالحة للعناية، لايجب أن تهمل ولاتترك، ومخالطة الأضداد الذين يفسدون بالمقارنة والمداخلة، وإن كانت بهذه الأحوال من الاستعداد لقبول الفضيلة، فإن نفس الصبي ساذجة لم تنتقش بعد بصورة ولا لها رأي وعزيمة تميلها من شيء الى شيء، فإذا نقشت بصورة وقبلتها نشأ عليها واعتادها ([151])).

يطبع الطفل الساذج على الأخلاق الفاضلة، بالطرق الرشيدة، فإن اللين معه، والرفق به والتشويق، تحمله على الاضغاء الى مايلقى عليه، خاصة إذا أثنى المربي على مايأتيه الطفل من أفعال حسنة، وإذا بدر منه هفوة تغاضى عنها، ولم يعرض له بها، خاصة إذا حاول الطفل سترها، فإن مكاشفته تهون عليه سماع الملامة وتترك أثراً سيئاً في نفسه، وهو يقول في هذا: (ثم يمدح بكل ما يظهر

منه من خلق جميع وفعل حسن، ويكرم عليه، فإن خالف في بعض الأوقات ما ذكرته، فالأولى أن لايوبخ عليه، ولا يكاشف بأنه أقدم عليه بل يتغافل من لايخطر بباله أن تجاسر على مثله، ولا هم به، لاسيما إن ستره الصبي، واجتهد في أن يخفي مافعله عن الناس، فإنك إن عودته التوبيخ والمكاشفة حملته على الوقاحة، وحرضته على معاودة ما كان استقبحه وهان عليه سماع الملامة) ([152])

وكرامة النفس من أول الأمور التي تنمي في الطفل، فيعامل معاملة رجل له كلمته ورأيه يبديه ليعتد بنفسه وتصرفه منذ صغره، وهي أسمى مطاليب الحياة، يقول في هذا: (فالأولى بمثل هذه النفس أن تنبه أبداً على حسب الكرامة، لا سيما ما يحصل منها بالدين دون المال، ويلزم سننه ووظائفه ثم يمدح الأخيار عنده، ويمدخ هو في نفسه إذا ظهر شيء جميل منه، ويخوف من المذمة على أدنى قبيح يظهر منه).

والطريقة التي رسمها في تأديب الأحداث وتهذيبهم، نافعة في تأديب الكبار وإصلاحهم وتوجيههم الى إتباع فرائض الدين وسننه، فهو يقول: (وهذه الآداب النافعة للصبيان، وهي للكبار أيضاً نافعة، ولكنها للأحداث أنفع لأنها تعودهم على محبة الفضائل، وينشؤون عليها، فلا يثقل عليهم تجنب الرذائل، ويسهل عليهم بعد ذلك جميع ما ترسمه الحكمة، وتحده الشريعة والسنة)([153]).

يتدرج في إرشادهم وتهذيبهم، فالاصلاح لا يكون على مرتبة واحدة، وإنما يلقى من النصائح وضر الأمثال ما يمكن أن يتلقاه الطفل فيقبله ويستسيغه ويقول في هذا: (وليس ينبغي أن يكون الطمع في إصلاحه على مرتبة واحدة وهذا يتبين فيما بعد بمشيئة الله وعونه، إلا أن الذي أدركه أن وجود الجوهر الإنساني متعلق بقدرة فاعله وخالقه تبارك وتقدس اسمه وتعالى، فأما تجويد جوهر فمفوض إلى الإنسان وهو معلق بإرادته، فاعرف هذه الجملة) ([154]).

فغن لم ينجح في توجيهه، فلا ييأس منه، بل يعاود الكرة ثانية وثالثة بطرق حسنة مختلفة يستهويه الى تلقيها، ثم لايزال به التأديب والسنن والتجارب، حتى ينتقل من أحوال بعد أحوال، فلذلك ينبغي أن يؤاخذ الطفل ما دام طفلاً، ويطالب بحفظ محاسن الأخبار والأشعار.

واللعب ضروري للطفل، يبعث له النشاط ويزيل عنه التعب وينمي جسمه ويقوي عضلاته، وقد تكلم علماء الدين والتربية عن أهمية اللعب في تنشئة الأطفال وأنهم مجمعون على ضرورة اللعب، ومشاهدة الألعاب أن عجزوا باللعب.

وابن مسكويه ممن تكلموا عن هذا، ونراه يتدرج في جمل الطفل على اللعب بأن تكون الأعمال التي يمارسها لاترهق جسمه، وتبعث فيه النشاط والحركة، ويقول: (وينبغي أن يؤذن له في بعض الأوقات أن يلعب لعباً جميلاُ، ليستريح فيه من تعب الأدب ولايكون في لعبه ألم ولا تعب شديد).

فإذا شب يعود المشي والحركة، والرياضة، ثم ركوب الخيل، حتى لايتعود أضدادها، ويعود أن لايكشف أطرافه، ولايسرع في المشي، ولا يرخي يديه، بل يضمهما الى صدره.

فالرياضيات تحرك الحرارة الغريزية وتحفظ الصحة وتنفي الكسل وتطرد البلادة وتبعث النشاط، وتذكي النفس.

يقول ابن مسكويه عن آداب الطعام: وهو أول ما يبدأ به المربي، فيعلمهم أن الطعام يؤخذ للصحة ولا لذة، وأخذ الأغذية على اختلافها، لصبح بها الأبدان، فهي مادة حياتها، دواء يدواي به الجوع.

وقد شبه الطعام بالدواء – كما قدمنا- فقال: (كما أن الدواء لايرام للذة، ولا يستكثر منه للشهوة، فكذلك الأطعمة ما ينبغي أن يتناول منها إلا ما يحفظ صحة البدن، ويدفع ألم الجوع، ويمنع من المرض، فيحقر عنده قدر الطعام الذي يستعظمه أهل الشره).

وأن يتجنب تناول الألوان المتعددة التي قد تفسد المعدة، ولايقدم على تناول الطعام حتى يشعر بالجوع.

ويرشده الى آداب تناول الطعام مع غيره: (فلا يديم النظر الى ألوانه، ولايحدق إليه شديداً، ويقتصر على ما يليه، ولايسرع في الأكل، ولايوالي بين اللقم بسرعة، ولا يعظم اللقمة ولايبتلعها حتى يجيد مضغها، ولا يلطخ يده ولاثوبه ولا يلحظ من يؤاكله، ولا يتبع بنظره مواقع يده من الطعام ويعود أن يؤثر غيره ما يليه إن كان أفضل ما عنده، ثم يضبط شهوته حتى يقتصر على أدنى الطعام وأدونه..) [155]

هذه القواعد القيمة مستمدة من تعاليم الدين الإسلامي، وسار عليها المسلمون في تأديب أولادهم، أما الآداب العامة في المجالس والمحادثة فهي أيضاً مما عليه التربية في الإسلام، ومنها: إذا ضمه مجلس فعليه أن لايبصق في مجالسته، ولايتمخط ولا يتثاءب بحضرة غيره، ولا يضع رجلاً على رجل.

وليتجنب في الحديث الكذب، ولايحلف البتة لا صادقاً ولا كاذباً، فإن قبح بالمرء، ويكون كلامه جواباً، ويعود قلة الكلام فيستمع من أهل المجلس مايفيده، خاصة إذا كان في المجلس منه أكبر منه، فيستمع الى كلامهم ويستفيد من تجارب حياتهم، ويمنع من خبث الكلام وهجينه، ومن السب واللعن ولغو الكلام، ويعود حسن الكلام وطريفه، وجميع اللقاء وكريمه، ولايرخص له أن يستمع لأضدادها من غيره، ويعود خدمة نفسه ومعلمه، وكل من كان أكبر منه.

وبعد أن بينما يراه في إصلاح الطفل، يؤكد أنه إذا ما بدأ صلاحه، فلا يهمل، بل يستمر في ارشاده وتهذيبه، والثناء عليه حتى ترسخ الأخلاق في نفسه فلا يحيد عنها، ويحمله على حفظ الأخبار والأشعار التي فيها حث على الفضائل ومكارم الأخلاق، لتذكره بما هو عليه من الطباع، وهكذا يستمر معه حتى تكون له خلقاً ثابتاً معه، ويهنأ بنعمة الله التي أنعم بها عليه في الدنيا، ويستعد لدار البقاء وهي الحياة السرمدية التي ينشدها كل مؤمن.

ويقول: (وإذ قد عرفت هذه الطرق المحمودة في تأديب الأحداث، فقد عرفت أضدادها، أعني أن من نشأ على خلاف هذا المذهب والتأديب لم يرج فلاحه) ([156])

وقد أبدع في كتابة وصيته التي سار عليها في حياته، وهي من أجمل ما كتب في الأخلاق الفاضلة التي لو سار الإنسان عليها كان مثالاً كاملاً للرجل الصالح العالم التقي، الذي هذب نفسه وأدى حق الله وأكد على (التمسك بالشريعة ولزوم وظائفها، وحفظ المواعيد حتى ينجزها، وأول ذلك مابين وبين الله عز وجل)([157]).

وختمها بقوله: (وقوة الأمل وحسن الرجاء والثقة بالله عز وجل، وصرف جميع البال إليه) فهي دستور قويم لكل عاقل يبغي سعادة الدارين.

دور المسجد في حماية النشء من الانحراف

غير المسلمين لايدركون عظمة المسجد في بناء شخصية الأمة والحفاظ على مقوماتها وخصائصها، وبعض المسلمين قد يغفل عن دلالة ثواب وأفضلية الصلوات الخمس جماعة في المسجد، فإن مردود العبادة بالشكل الذي يمكن أن يصنعه المسجد في دنيا المسلمين تجعلنا نلقي نظرة على مكانة وأهمية (المسجد) في الإسلام تلك النظرة التي يجب أن تكون مدركة لمعنى قول الله تعالى: (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ) ([158])، فيقول الإمام ابن كثير رحمه الله تعال في تفسيرها: يخبر تعالى أن أو بيت وضع للناس، أي لعموم الناس لعبادتهم ونسكهم، ويطوفون به ويصلون إليه، ويعتكفون عنده للذي بمكة يعني الكعبة التي بناها إبراهيم الخليل (عليه السلام)([159])

والبيت الأول الذي هو المسجد الحرام، هو المكان الذي جعله الله تعالى قبلة عامة لأهل الإسلام، الذي ختم الله به الأديان، ولايقبل من أحد ديناً سواه، كما قال تعالى: (قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ) ([160])

فقد جعل الله أفضل المساجد وأقدمها في الأرض قبلة لأفضل الأمم خير الأديان، فالمسلمون في كل المساجد يتجهون بصلاتهم الى ذلك المسجد، فهو بالنسبة للمساجد كالإمام بالنسبة للمصلين.

وما يدل على مكانة المسجد وعظم منزلتها عند الله أنه سبحانه هو الذي فضلها، ورغب في بنائها وعمارتها مبنى ومعنى، وجعل أصل وظائفها ذكره، وأقام الصلاة له، وهي أهم أركان عبادته بعد الشهادتين، اللتين هما أصل عبادته وذكره كما قال تعالى: (فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿36﴾ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿37﴾) ([161]).

والله سبحانه وتعالى، وهو مالك كل شيء نسب المساجد إليه، فليست هي لأحد سواه، لأن العبادة التي كلف عباده إياها لايجوز أن تصرف لسواه، كما قال تعالى:(وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) ([162]).

ويؤخذ من كون المساجد لله، أنه تعالى هو الذي يشرع فيها مايريده، سواء كان ذلك يتعلق ببنائها وكيفيته أم يتعلق بما يجب فيها، وما يندب وما يباح، وما يكره، وما يحرم، فليس لأحد من الخلق أن يتدخل في شؤون المساجد إلا بما اذن الله، ومن تدخل فيها بما لم يأذن به الله، فلقد تعدى حدوده ولم يعد يعبر عن طاعة الله.

ومما يدل على مكانة المسجد عند الله أن عمارها مادياً ومعنوياً هو صفوة خلقه من الأنبياء والمرسلين، وأتباعهم من عباده المؤمنين، فلقد كان باني الكعبة أو الأنبياء (عليه السلام) وابنه اسماعيل، كما قال تعالى: (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (127) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (128))([163]) كما قال تعالى في عمار سائر المساجد(إِنَّمَا يَعْمُرُ

مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ۖ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ) ([164]) وهذا مما يبرهن على جلال المسجد وقدسيته وطهارته.

هذا، وقد وعد سبحانه وتعالى من بنى له بيتاً في الأرض أي بنى مسجداً لله تعالى أن يبني له بيتاً في الجنة، كما في حديث عثمان بن عفان(رضي الله عنه)، قال: سمعت النبي (صلى الله عليه وسلم) يقول: (من بنى لله مسجداً بنى الله كهيئته في الجنة) ([165])

ومما يدل على مكانتها وتميزها شهود الملائكة لها، والأمر بتنزيهها من الروائح الكريهة لئلا تتأذى بها الملائكة والمصلون، كما في حديث جابر(رضي الله عنه)، قال: (نهى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن أكل البصل والكرات فغلبتنا الحاجة، فأكلنا منها، فقال: (من أكل من هذه الشجرة المنتنة فلا يقربن مسجدنا، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه الأنس)([166])

فالمساجد بيوت الله، لايعمل فيها إلا بما أذن الله، وأهله هم المؤمنون من عباد الله.

ثم إن مكانة المسجد في الإسلام تظهر بجلاء من كون الرسول(ص) لم يستقر به المقام عندما وصل الى حي بين عمرو بن عوف في قباء، حتى بدأ ببناء مسجد قباء، وهو أول مسجد بني في المدينة، وأول مسجد بني لعموم الناس كما ذكر ذلك ابن كثير رحمه الله.([167])

وكذلك عندما وصل سيره الى قلب المدينة كان أول ما قام به تخصيص أرض لبناء مسجده، ثم الشروع في بنائه.

كما روى أنس بن مالك (رضي الله عنه) وكان صغيراً في ذلك الوقت، أن رسول الله(صلى الله عليه وسلم) قدم المدينة فنزل في علوم المدينة، في حي يقال لهم: بنو عمرو بن عوف، فأقام فيهم أربع عشرة ليلة، ثم إنه أرسل الى ملأ بني النجار، فجاؤوا متقلدين بسيوفهم، قال: ف:اني انظر الى رسول الله(صلى الله عليه وسلم) على راحلته وأبو بكر ردفه، وملأ بني النجار حوله، حتى ألقى بفناء أبي أيوب، قال فكأن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يصلي حيث أدركته الصلاة ويصلي في مرابض الغنم، ثم إنه أمر بالمسجد، قال فأرسل الى ملأ بني النجار فجاءوا: فقال: (يا بني النجار شامنوني بحائطكم هذا) قالوا: (لا والله لانطلب ثمنه، إلا الله، قال أنس فكان فيه ما أقول: كان فنشبت، وبالخرب فسويت، قال فصفوا النخلة قبلة، وجعلوا عضادتيه حجارة قال: فكانوا يرتجزون ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) معهم، وهم يقولون

اللهم لا خير الى خير الاخرة فانصر الانصــــــار والمهاجرة ([168])

ومن الواضح البين أن اهتمام الرسول(صلى الله عليه وسلم) ببناء المسجد أول قدومه المدينة يدل على مكانة المسجد وأهميته في الإسلام، وأنه ضرورة من ضرورات الدين الإسلامي، لكن الذي يدل على مكانته أكثر هو كون الرسول (صلى الله عليه وسلم) اكتفي ببنائه، للصلاة وغيرها من الشعائر التعبدية، وللوظائف الأخرى المتعلقة بسياسة الدول بأكملها، فإن ذلك يدل على أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قصد أن لايفرق بين أداء الشعائر التعبدية وغيرها من سياسة الدولة ليعرف أمته أن الدين شامل لإقامة كل خير في هذه الأرض وليس خاصاً بنوع معين من أنواع العبادة التي تؤدي لله تعالى.

ولو لم يكن هذا المعنى هو مقصوده(صلى الله عليه وسلم)، ولو كان المسجد خاصاً بأداء الشعائر الدينية ولا يليق به غير ذلك، لسارع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الى تخصيص مكان آخر

لادارة شؤون الدولة فيه، وما الذي يعجزه عن ذلك، والأنصار يتسابقون بكل ما يملكون من أرض ليضعوها بين يدي رسول الله(صلى الله عليه وسلم)، وهم والمهاجرون يتسابقون في عمل ما يريد من بناء وغيره؟ ولعل فعل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ذلك، كان بأمر من ربه الذي يعلم أنه سيأتي بعد نبيه(صلى الله عليه وسلم) من أمته من يدعو الى التفريق بين الدين والدنيا، والعبادة والسياسة أو كما يعبر عنه بين ما لله لله وما لقيصر لقيصر، أن يكتب جواباً عملياً في صفحات التاريخ للعلمانيين الذين يريدون أن يعتدوا على حكم الله.

هذا هو الأساس الأول الذي اقام الرسول(صلى الله عليه وسلم) دولته عليه، أما الأساس الثاني فكان المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار الذي كان يجمعهم المسجد للعبادة والتشاور والجهاد وغيرها ([169]).

أما الأساس الثالث فكانت تلك المعاهدة التاريخية التي كانت نتيجتها أن تكون القيادة للرسول (صلى الله عليه وسلم) على المسلمين والمشركين واليهود ([170]).

ومهما تحدث الكاتبون عن مكان المسجد، ومهما اوردوا من النصوص في ذلك فإن وظائف المسجد أكثر إظهاراً لمكانته في الإسلام، فعلى سمائه ترتفع الدعوى الى الايمان والعمل الصالح، وفي صحته يؤخذ الإيمان ويؤدي العمل الصالح، ومن على منبره يعلم الايمان والعمل الصالح، وفيه يدعى الى الجهاد في سبيل الله وفيه تنظيم كتائب الجهاد في سبيل الله، ومنه تنطلق جحافل الايمان تحت راية الجهاد في سبيل الله.

ومن المسجد ينطلق صوت المؤذن مدوياً في كل حي من أحياء المسلمين وكل ما يعمل في المسجد من الخير انما هو استجابة لنداء الحق الذي اشتملت عليه الفاظ الاذان.

إن الآذان يبدأ بتعظيم الخالق ووحدة المعبود (الله اكبر... اشهد ان لا إله الا الله..) ثم يتبعه وحدة المتبوع: أشهد أن محمدا رسول الله..) ثم تأتي الدعوة الى اقامة اعظم ركن بعد الشهادتين: (حي على الصلاة..) ثم الدعوة الى الفلاح وهو الفوز العام برضا المعبود واتباع المتبوع: (حي على الفلاح ..) ثم يختم به، وهو التعظيم والتوحيد (الله اكبر لا اله الا الله..) وبنحو ذلك تأتي الاقامة لكل صلاة.

إنا دعوة الى الايمان والعمل الصالح، وتطبيق للايمان والعمل الصالح، فالاذان والصلاة بجميع أذكارها وقراءتها وقيامها وسجودها وركوعها وقعودها وحركاتها وسكناتها هي تثبيت للايمان، وهي تعظيم وتوحيد للاله المعبود، وفي اتباع الرسول الكريم(صلى الله عليه وسلم) ينطلق صوت المؤذن في اليوم والليلة خمس مرات في كل ارجاء الارض، فيستجيب له ملايين الناس، تاركين كل شيء من ورائهم، ليقووا صلتهم بربهم ويؤدوا له ما فرض عليه في بيوته التي أذن أن ترفع ويذكر فيها اسمه، فأين مجال الانحراف؟ وأين الوقت الذي يمارس فيه؟.

إن أوقات الراحة التي صعب على غير المسلم الصادق فيها أن يفارق مضجعه تجد المسلم يثب ملبياً نداء الحق ولايتكاسل عن حضور صلاة الجماعة في تلك الاوقات إلا من يتهم بالنفاق ما لكم يكن معذوراً شرعاً، ولهذا روى ابو هريرة (رضي الله عنه)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (إن أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر، ولو يعلمون مافيهما توجهوا ولو حبوا، ولقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام، ثم آخر رجلاً فيصلي بالناس، ثم انطلق معي برجال معهم حزم من حطب الى قوم لا يشهدون الصلاة، فأحرق عليهم بيوتهم بالنار)([171]).

فالمسجد هو مقر إقامة الصلاة المفروضة، والذي تخلف عنها بدون عذر يسم نفسه بسمة النفاق، ويحب على ولي الأمر أن يحمل رعيته على حضور صلاة الجماعة في كل وقت يعاقب من تخلف بغير عذر بالعقاب المناسب، غير ماتركه الرسول (صلى الله عليه وسلم) وهو الاحراق بالنار.

وهذا مافهمه أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بأنه لايتأخر عن حضور صلاة الجماعة بدون عذر الا المنافق، وكانوا من شدة خشيتهم على أنفسهم من النفاق يحضرون صلاة الجماعة، وهم مرضى يهادي الرجل منهم بين الرجلين، ويرون أن من لم يحضر الصلاة وهو قادر ضال عن سبيل الله وهداه، قال ابن مسعود (رضي الله عنه): (من سره أن يلقى الله غداً مسلماً، فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن، فإن الله شرع لنبيكم سنن الهدى، وأنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم، كما يصلي هذا المتخلف في بيته، لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور، ثم يعمد الى مسجد من هذه المساجد إلا كتب الله له بك خطوة يخطوها حسنة ويرفعه بها درجة، ويحط عنه بها سيئة ولقد رأينا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادي بين الرجلين، حتى يقام في الصف) ([172]).

وللمسلمين عيد أسبوعي يجتمع فيه أهل كل مدينة في أكبر مساجدهم في غاية النظافة، وبأجمل اللباس، وبأطيب الروائح، افضلهم أجراً من جاء مبكراً الى المسجد وذلك لحضور صلة الجمعة، والانصات لخطبتيها قبل الصلاة، إن المسلمين في هذا اليوم يخرجون من بيوتهم لصلاة الجمعة وسماع خطبتيها فرضا وليس ندباً، وليس هناك خطبة يجب الانصات لها بدون لغو ولا عبث كخطبتي الجمعة لذلك يستطيع الخطيب في يوم الجمعة أن يعترض لأي أمر يرى المسلمين يحتاجون اليى بيانه، ويستطيع المسلم بسماعه خطب الجمعة أن يتعلم كثيراً من أمور دينه وما يحل له ومايحرم.

إن خطب الجمعة يمكن أن تستمر في سلسلة طويلة عن معنى الإيمان ومايقويه ومايضعفه، وسلسلة أخرى عن بيان فروض العين وما يتعلق بها، وسلسلة أخرى عن بيان فروض الكفاية ورابعة عن الجهاد في سبيل الله وخامسة عن اساليب الدعوى الى الله، وسادسة عن مكر أعداء الله ووسائل الوقوف ضدهم، وهكذا يبدو جليا أن خطب الجمعة وحدها مدرسة مستمرة الى يوم القيامة لو احسن القيام بها، ووجد الخطيب الكفء في مساجد المسلمين بدلاً من أن نشغل من على المنابر بالخطب (العنترية) التي تتناول بعض الناس بالنقد والتحريم أو إثارة الفتن والشبهات.

هذا وهناك صوات النوافل التي تسن إقامتها في المسجد منها تحية المسجد التي يسن أن يصليها ركعتين قبل جلوسه، وصلاة التراويح التي أقامها رسول الله (ص) في بعض ليالي رمضان، ثم تركها خشية أن تفرض على أمته، ولما توفي (ص) وانتفت العلة أقامها أصحابه رضي الله عنهم جماعة وراء إمام واحد اقتداء به(ص) وكذلك صلاة ركعتين بين الآذان والاقامة من كل صلاة ولا مانع من أداء النوافل الراتبة قبل الصلاة وبعدها في المسجد وغن كان الافضل أداؤها في المنازل.

وكذلك صلاة العيدين، يجوز أداؤها في المسجد وإن كان الافضل ان تقام في الصحراء، وكذلك صلاة الاستغاقة، وفي المسجد تقام صلاة الكسوف لكسوف الشمس أو القمر ومع تلك الصلوات يستحسن أن يخطب الإمام للناس خطبة تناسب المقام.

والأعمال الصالحة التي تؤدي في المسجد قراءة القرآن بتدبير وخشوع، وحفظه والاجتماع لتدارسه، كما روى ابو هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) حديثاً: وفيه: (وما اجتمع قو في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده..)([173]).

ومن ذلك ذكر الله سبحانه وتعالى، ما كان مقيداً منه بعدد ووقت كذكر أدباء الصلوات من تسبيح وتحميد وتكبير وتهليل، وما كان غير مقيد وهو الذكر المطلق الذي شرع الله الاكثار نه ومنه التهليل والصلاة على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وغيرها([174]).

ومن ذلك الاعتكاف المشروع في المسجد وبخاصة في العشرة الاخيرة من شهر رمضان، كما كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يفعله، وفعله اصحابه من بعده.

ومن ذلك الصلاة على الجنائز التي اعتادها المسلمون، لكثرة المصلين ويرجى من الخير للميت مع وجود الكثرة ما لايرجى مع القلة في الغالب.

وهكذا كان المسجد منبراً للدعوة الى الايمان والعمل الصالح، كما كان تطبيقا عملياً لتلك الدعوة الاسلامية السامية من عهد الرسول(صلى الله عليه وسلم) الى أن تقوم الساعة، وإن مرت فترات ضعف فيها عمل الخير العام في المسجد، لبعد الناس عن تطبيق هدي المصطفى (صلى الله عليه وسلم).

وهكذا كان(صلى الله عليه وسلم) يدعو الناس الى الجهاد في مسجده ويشاورهم في ذلك في مسجده، ويلبس سلاحه ويخرج أصحابه في مسجده، وكان ينطلق بهم للجهاد من مسجده، كما كان ينطلق بهم للحج منه ([175]).

وكان ينعي (صلى الله عليه وسلم) الشهداء من المجاهدين على قبره [176] وعندما ارتدت العرب بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وخشي ابو بكر ان يغزوا المدينة، جعل على أنقابها حراساً، والزم الناس بحضور المسجد، ولما علم بغارة العدو خرج في أهل المسجد على النواضح واتبعوا العدو حتى هزموهم([177]) .

لقد كان القرآن الكريم، ينزل على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) منجماً أي مفرقاً، سواء ما تعلق منه بالايمان، أو ما تعلق بالأحكام، وكان أكثر ما نزل عليه قبل الهجرة آيات الايمان لمدة ثلاثة عشرة عام لغرز الايمان في النفوس، ودحض شبهات منكريه، فلما انتقل(صلى الله عليه وسلم) الى المدينة رافق آيات القرآن المتعلقة بالايمان، الآيات التي شرع الله فيها الأحكام، لتبين للناس ما يحل لهم وما يحرم، ولتحدد لهم سلوكهم المتعلق بحقوق الله وحقوق خلقه.

وكان الرسول (صلى الله عليه وسلم) يعلم أصحابه في مكة في المنازل وخاصة دار الارقم بن ابي الارقم بتجمعهم، ولم يكن المسجد الحرام ينال حظه من التعليم والتزكية، لصد المشركين فيه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وايذائهم له، فكان يدعو فيه ويصبر على أذاهم، فلما انقل الرسول(صلى الله عليه وسلم) الى المدينة، وبنى مسجده الشريف بني حجرات نسائه بجانبه، ليكون قريبا منه، فكان ينزل عليه الوحي في المنزل أو في بيته، وهو يتلوه على أصحابه في مسجده ويعلمهم معناه، كما كان يعلم الوحي الثاني، وهي السنة، وكان تعليمه لهم بالقول والفعل.

وقد اشار الله سبحانه وتعالى الى حكمة تنزيل الوحي مفرقاً على رسول الله (ص)، وهي أن يعلمهم من أحكام دينهم على مهل وتؤدة، يرافق العلم العمل، بخلاف ما اذا انزل دفعة واحدة، فإن تكليفهم بكل ما فيه من ايمان وعمل وجهاد قد يشق عليهم، قل: (وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا)([178])

إن الله تعالى بعث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ليتلو على الناس القرآن، ويعمم هديه وسنته، ليخرجهم من الظلمات الى النور، ويطهرهم من دنس الفواحش والآثام كما قال تعالى: (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) ([179])

فكان مسجده (صلى الله عليه وسلم) مقر تعليمه الأمة قولاً وعملاً، وكان أصحابه يتحلقون حلوه، ليسمعوا حديثه، كما روى أبو واقد الليثي (صلى الله عليه وسلم) قال: (بينما رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، جالس في المسجد والناس معه اذ اقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وذهب واحد فوقعنا على رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فأمما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة، فجلس فيها وأما الاخر فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهباً، فلما فرغ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (ألا أخبركم عن النفر الثلاثة ؟ فاوى الى الله عز وجل، فأواه الله، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الآخر فأعرض الله عنه)([180]).

واتخذ (صلى الله عليه وسلم) لنفسه منبراً يحدث الناس في الجمعة وغيرها، ليشاهدوه ويتعلموا منه رؤية وسماعاً كما روى أبو حازم، رحمه الله نفراً جاؤوا الى سهل بن سعد(صلى الله عليه وسلم)، قد تماروا في المنبر، من أي عود هو؟ فقال: (أما والله إني لأعرف من أي عود هو ومن عمله، ورأيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أول يوم جلس عليه قال: فقلت له: يا أبا عباس فحدثنا، قال: أرسل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الى امرأة: (انظري غلامك النجار، يعمل لي أعواداً أكلم الناس عليها، فعمل هذه الثلاث درجات ثم أمر بهار سول الله (صلى الله عليه وسلم) فوضعت هذا الموضع فهي من طرفاء الغابة، ولقد رأيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قام عليه فكبر، وكبر الناس وراءه، وهو على المنبر، ثم رفع فنزل القهقري، حتى سجد في أصل المنبر، ثم عاد حتى فرغ من آخر صلاته، ثم أقبل على الناس، فقال: (أيها الناس، إنما صنعت هذا لتأتموا بي ولتعلموا صلاتي)([181]).

فقد كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يعلم الناس بكلامه، ويعلمهم بفعله ليعملوا كما يعمل.

وكان (صلى الله عليه وسلم) يسأل اصحابه، وهو يعلمهم ليشحذ أذهانهم ويهيؤهم للإصغاء لما يقول لهم، ويضرب لهم الأمثال ليقرب لهم المعاني التي يريد أن يفهموها.

ويقول: (وإذ قد عرفت هذه الطرق المحمودة في تأديب الأحداث، فقد عرفت أضدادها، أعني أن من نشأ على خلاف هذه المذهب والتأديب لم يرج فلاحه)([182])

وقد أبدع في كتابة وصيته التي سار عليها في حياته، وهي من أجمل ما كتب في الأخلاق الفاضلة التي لو سار الإنسان عليها كان مثالاً كاملاً للرجل الصالح العالم التقي، الذي هذب نفسه وأدى حق الله وأكد على (التمسك بالشريعة ولزوم وظائفها، وحفظ المواعيد حتى ينجزها، وأول ذلك ما بيني وبين الله عز وجل).

وختمها بقوله: (وقوة الأمل وحسن الرجاء والثقة بالله عز وجل، وصرف جميع البال اليه) فهي دستور قويم لكل عاقل يبقي سعادة الدارين.

كما روى عبدالله بن عمر(رضي الله عنه) عن النبي (ص) قال: (إن من الشجر لايسقط ورقها وإنها مثل المسلم، حدثوني ما هي؟ قال: فوقع الناس في شجر البوادي، قال عبدالله، فوقع في نفسي أنها النخلة ثم قالوا: حدثنا يارسول الله قال: هي النخلة)([183])

وكانوا يسألونه عما أشكل عليهم في المسجد، كما روى عبدالله بن عمر(رضي الله عنه)، أن رجلاً قام في المسجد فقال: يارسول الله، من اين تأمرنا أن نهل؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (يهل أهل المدينة من ذي الحليفة، ويهل أهل الشام من الجحفة، ويهل أهل نجد من قرن.. ويهل أهل اليمن من يلملم)([184]).

وكان أصحابه الذين آمنوا به، وديارهم بعيدة عنه، يغدون إليه ليتعلموا منه، فينزل في مسجده، فيأخذون منه الفقه في الدين ثم يعدون كما روى مالك بن الحويرث (رضي الله عنه) قال: أتينا الله (صلى الله عليه وسلم)، ونحن شببة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين ليلة، وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) رحيماً رفيقاً، فظن أننا قد اشتقنا إلى أهلنا، فسألنا عمن تركنا من أهلنا، فأخبرناه، فقال: (ارجعوا الى أهليكم، فأقيموا فيهم، وعلموهم، ومروهم، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم، ثم ليؤمكم أكبركم)([185])

إن الذي يجب أن ينتبه له العلماء والمصلحون ممن يعنون بدراسة دوافع الانحراف ودواعيه والضغوط التي تؤدي إليه من مؤثرات البيئة ورفقة السوء وغيرها أن علماء المساجد وطلابها أقرب إلى عامة الناس من طلاب المدارس والجامعات، حيث تجد عامة الناس يقبلون إلى عالم المساجد وطلابه، ويستفيدون منهم، كما تجد عالم المسجد وطلابه يهتمان بعامة الناس في التعليم والدعوات أكثر من غيرهم، ولا شك أن الارتباط بين طلاب العلم وجمهور الشعب له مزاياه الكثيرة في التعليم والدعوة والتوجيه والابتعاد عن الانحراف.

وقد أشار الى هذه الفروق سماحة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد رحمه الله كما قال: (وهكذا تخرج من هذه المساجد أساطين العلم الأفاضل الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم، وما هم عليه من الصلاح والتقوى، وما قاموا به من جهود عظيمة، احتسبوا أجرها عند الله، في الدعوة الإسلامية، ونشر الثقافة الإسلامية، هذه مؤلفاتهم في مختلف الفنون: في التفسير والحديث والفقه والتاريخ، وعلوم الآلهة، وغيرها كلها تشهد لهم بما قدموا من علوم ([186]).

ولم يقتصر المسلمون على علوم الشريعة وإنما أحرزوا قصب السبق في كل العلوم التي وجدت في عهدهم، وسل عنهم من أظهر شيئاً من الإنصاف من أعدائهم ترى العجب العجاب، والحق ماشهدت به الأعداء.

وهذا ما أنعم الحق به ونعم الخالق سبحانه لاتحصى، وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم(صلى الله عليه وسلم)

خادم القرآن

محمد بن محمود العبدالله

المصادر ولمراجع

§ منهج القرآن في التربية، محمد شديد، دار الأرقم بيروت.

§ الفوز الأصغر، أبو علي أحمد ابن مسكوي دار الكتاب الليبي.

§ الدين والمجتمع، د. أحمد الشرباصي، الطبعة العربية القاهرة، 1970.

§ منهج الاسلام في تربية النشء، د. صابر طعيمة، دار الجيل، بيروت.

§ المعادلة الحرجة في حياة الأمة الاسلامية، د, محمد عبده يماني، مجلة جوهر الاسلام، العدد: 9-10، يونيو ويوليو 1973م.

§ الثوابت والمتغيرات، تغيير النفس وتثبيت الخلق أنور الجندي، جوهر الاسلامي اكتوبر 1973

§ البصائر والذخائر، تحقيق ابراهيم الكيلاني مكتبة اطلب دمشق جزء بدون تاريخ، ابو حيان التوحيدي.

§ سلسلة أعلى العرب(جابن بن حيان) زكي نجيب محمود المركز العربي للثقافة والعلوم بيروت.

§ عاقبة التساهل بمقدمات الحرام، د. وهبة الزحيلي مجلة الوعي الاسلامي في العدد: 113، مايو سنة 1974.

§ الاسلام والعقل للامام الاكبر، الدكتور عبدالحليم محمود رحمه الله.

§ رسالة التوحيد، للشيخ محمد عبده رحمه الله، دار المعارف، 1966.

§ بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ابن رد.

الـهوامش

[1] سورة الأعراف الآية: 185.

[2] سورة الروم، الآية: 30.

[3] سورة الغاشية، الآيات: 17:20.

[4] سورة الذاريات الآية: (56).

[5] سورة القصص، الآية: (77).

[6] سورة الاسراء، الآية: (95).

[7] سورة العلق، الآية (1).

[8] سورة التوبة، الآية (122).

[9] سورة الأنعام، الآية: (141).

[10] سورة القلم، الآية: (4).

[11] سورة الإسراء، الآية: (70).

[12] سورة النور، الآية: (31).

[13] سورة التوبة، الآية: (31).

[14] سورة النساء، الآية: (93).

[15] سورة طه، الآية: (128).

[16] سورة آل عمران، الآيتان: (190-191).

[17] سورة الرحمن، الآية: (13).

[18] سورة النساء، الآية: (80).

[19] سورة الحشر، الآية: (7).

[20] سورة البقرة، الآية: (164).

[21] سورة العنكبوت الآية: 61.

[22] سورة النحل الآية: 102.

[23] سورة الحديد الآية: 3.

[24] سورة الرحمن الآيتان: 26-27.

[25] سورة الشورى الآية: 11.

[26] سورة البقرة الآية:285.
[27] سورة الإسراء الآية: 70.
[28] سورة البقرة الآية: 285.
[29] سورة الذاريات الآية:56.
[30] سورة الاسراء الآية:59.
[31] سورة الأنبياء الآيتان: 68-69.
[32] سورة النمل الآيات: 12-14
[33] سورة الحجر الآية: 9.
[34] سورة المطففين الآيات: 1-5.
[35] سورة الأعراف الآية: 85.
[36] سورة محمد الآية: 24.
[37] سورة الأعراف الآية: 204.
[38] سورة البقرة الآية: 67.
[39] سورة البقرة الآية:1-10.
[40] سورة يوسف الآية: 29.
[41] سورة الأنعام الآية: 59.
[42] سورة لقمان الآية: 24.
[43] سورة الأنعام الآيتان: 56-60.
[44] سورة الأنعام الآية: 60.
[45] سورة النحل الآية: 44.
[46] سورة الجمعة الآية: 2.
[47] سورة النجم، الآية: 1-3.
[48] سورة التوبة، الآيتان: (67-68).
[49] سورة ق، الآية: (18).
[50] سورة الحشر، الآية: (8).
[51] سورة الأحزاب، الآية: (23).
[52] سورة القلم، الآية: (4).
[53] سورة الطور، الآية: (48).

[54] سورة التوبة، الآية: (128).
[55] سورة الحج الآية: 93.
[56] سورة الحجرات الآية: 10.
[57] سورة البقرة الآية: 143.
[58] سورة الأحزاب الآية: 21.
[59] سورة لقمان الآيات: 12-13 و 16-19.
[60] سورة الزمر الآية: 10.
[61] سورة الكهف الآية:13.
[62] سورة الكهف الآية: 10.
[63] سورة يوسف الآية: 23.
[64] سورة النور الآية: 59.
[65] سورة الفرقان الآية 74.
[66] سورة هود الآية: 42.
[67] سورة هود الآية: 45.
[68] سورة ابراهيم الآية: 25.
[69] سورة البقرة الآية: 124.
[70] كشف الخفاء، ج:1، ص: 251.
[71] سورةالحديد الآية: 16.
[72] الحاكم، ج:4، ص: 306.
[73] الترمذي، قيامة:1.
[74] صحيح البخاري: 2/222.
[75] صحيح البخاري: 9/92.
[76] أحمد بن حنبل: 3/412.
[77] أحمد بن حنبل: 5/96، 102.
[78] أحمد بن حنبل: 2/187.
[79] ابن ماجه كتاب الأدب، الباب الثالث.
[80] أحمد بن حنبل: 1/192، 202، 207.
[81] سورة الأعلى الآيات: 14-17.

[82] سورة يوسف الآيتان: 23/24.

[83] سورة النور الآية: 59.

[84] سورة الفرقان الآيات: 63-69، 72-74.

[85] سورة الذاريات الآية: 56.

[86] سورة البقرة الآية: 177.

[87] سورة الحجر الآية: 29.

[88] سورة الأعراف الآية: 172.

[89] سورة طه الآية:50.

[90] سورة الاسراء الآية: 70.

[91] سور السجدة الآية: 9.

[92] سورة الزمر الآية: 3.

[93] سورة الزمر الآية: 38.

[94] سورة التغابن الآية: 16.

[95] سورة البقرة الآية: 286.

[96] انظر محمد قطب، معركة التقاليد: فصل (حقائق وأباطيل).

[97] سورة الأنعام الآية: 28.

[98] احمد البسيوني، الإسلام والعلاقات الاجتماعية، مجلة الوعي الإسلامي، العدد: 120، ديسمبر 1974، ص: 4-9.

[99] سورة القصص الآية: 77.

[100] سورة البقرة الآية: 172.

[101] سورة الأعراف الآية: 32.

[102] سور المائدة: الآية 87.

[103] سورة السجدة الآية: 17.

[104] ابوحامد الغزالي، ميزان العمل، (تحقيق: د. سليمان دنيا)، القاهرة: دار المعارف بمصر، 1964، ص: 287-330.

[105] أبو علي أحمد بن محمد مسكوية، تهذيب الأخلاق (تحقيق: د. قسطنطين زريق) بيروت: الجامعة الأمريكية ببيروت، 1966، ص: 79-82.

[106] نفس المرجع السابق، ص: 83-86.

[107] د. محمد يوسف مرسي، فلسفة الأخلاق في الإسلام وصلاتها بالفلسفة الإغريقية (الطبعة الثانية)القاهرة: مطبعة الرسالة، 1945، ص: 157-173، 272-273.

[108] سورة البقرة الآية: 42.

[109] سورة البقرة الآية: 179.

[110] سورة النساء الآية: 65.

[111] علي حسب الله، في الموسم الثقافي لجامعة الكويت، للعامالجامعي 68/1969، ص: 149.

[112] د. محمد عبدالله دراز، الدين، الكويت، دار القلم، 1972، ص: 33.

[113] سورة العنكبوت الآية: 45.

[114] سورة الماعون الآيات: 4-7.

[115] نفس المرجع السابق، ص: 56-57.

[116] نفس المرجع السابق، ص: 59.

[117] سورة الأعراف: الآية: 31.

[118] سورة الاسراء الآيتان: 26-27.

[119] سور البقرة الآية: 143.

[120] د. أحمد الشرباصي: الدين والمجتمع، القاهرة، المطبعة العربية، 1970، ص: 180.

[121] د. محمد عبده اليماني، (المعادلة الحرجة في حياة الأمرة الإسلامية وتشريعها اليوم)، جوهر الإسلام، السنة الخامسة، العدد: 9-10، يونيو ويوليو 1972، ص: 93-107.

[122] سورة المائدة الآية: 3.

[123] سورة البقرة الآية: 194.

[124] سورة البقرة الآية: 190.

[125] سورة الأنفال الآية: 60.

[126] رواه البخاري.

[127] أبو علي احمد بن محمد مسكويه، الفوز الأصغر، (تحقيق: د. عبدالفتاح أحمد فؤاد) ينغازي، ليبيا: دار الكتاب الليبي، 1974، ص: 64-65.

[128] سورة البقرة الآية: 185.

[129] سورة النور الآية: 61.

[130] سورة الحج الآية: 78.

[131] سورة البقرة الآية: 195.

[132] سورة التغابن الآية: 16.

[133] سورة البقرة الآية: 286.

[134] سورة النساء الآية: 28.

[135] سور البقرة الآية: 225.

[136] سورة النور الآية: 31.

[137] سورة الأنعام الآية: 108.

[138] د. وهبة الزحيلي، (عاقبة التساهل بمقدمات الحرام)، مجلة الوعي الإسلامي، السنة العاشرة، العدد: 113، مايو 1974، ص: 38-45.

[139] سورة الصف الآيتان: 2-3.

[140] سورة آل عمران الآية: 188.

[141] سورة الكهف الآية: 107.

[142] محمد شديد، منهج القرآن في التربية، بيروت، دار الأرقم، ص: 179-181.

[143] محمد شديد، منهج القرآن في التربية، بيروت، دار الأرقم، ص: 179-181.

[144] سورة الروم الآية: 30.

[145] سورة الرعد الآية: 11.

[146] أنور الجندي، (الثوابت والمتغيرات: تغيير النفس وتثبيت الخلق)، مجلة جوهر الإسلام، السنة السادسة، العدد: 1، أكتوبر 10973، ص: 62-66.

[147] المرجع السابق، ص: 56.

[148] المرجع السابق، ص: 57.

[149] التوحيدي (البصائر) مرجع سابق، ج: 3/500.

[150] رواه مسلم وقال حديث حسن

[151] ابن مسكويه (تهذيب الأخلاق) ص: 68

[152] ابن مسكويه (تهذيب الأخلاق) ص: 70

[153] المصدر السابق، ص: 49

[154] الصدر السابق، ص: 70

[155] ابن مسكويه (تهذيب الأخلاق) ص:71

[156] المصدر السابق، ص:77

[157] ياقوت(معجم الادباء) 19،5/17

[158] سورة آل عمران الآية: 96

[159] تفسير القرآن العظيم(1/383

[160] سورة البقرة الآية: 144

[161] سورة النور الآيتان: 36-37

[162] سورة الجن الآية: 18

[163] سورة البقرة الآيتان: 127-128

[164] سورة التوبة الآية: 18

[165] متفق عليه، انظر: شرح السنة للغوي 2/346

[166] رواه مسلم (1/294)

[167] انظر البداية والنهاية(3/209)

[168] رواه مسلم(1/373)، زاد المعاد، لابن القيم (3/62)

[169] زاد المعاد لابن القيم (3/63).

[170] راجع السيرة النبوية لابن هشام، مصطفى الحلبي (1/496)، (504،501) وزاد المعاد (3/65).

[171] رواه مسلم (1/452).

[172] رواه مسلم (1/452).

[173] ابن رجب، رواه مسلم، انظر جامع العلوم والحكم، ص:295

[174] وقد فصل ذلك- أي الذكر المقيد والمطلق- في كتب الاذكار، راجع منها: كتاب الكلم الطيب لابن تيمية رحمه الله.

[175] راجع البداية والنهاية لابن كثير (4/12-13).

[176] البداية والنهاية (4/255.

[177] المرجع السابق: 6/312-313.

[178] سورة الاسراء الآية: 106.

[179] سورة آل عمران الآية: 164.

[180] رواه البخاري ومسلم، انظر: جامع الأصول: 8/11.

[181] رواه مسلم: 1/387.

[182] المصدر السابق، ص: 77.

[183] رواه البخاري (1/22) .

[184] رواه البخاري (1/42).

[185] رواه البخاري (1/446).

[186] انظر: مجلة رسالة المسجد، رابطة العالم الاسلامي، العدد السادس، السنة السادسة، 1403هـ، ص: 15 وما بعدها.



دار غيداء للنشر والتوزيع
تلاع العلي - شارع الملكة رانيا العبدالله
مجمع العساف التجاري - الطابق الأول
تلفاكس : 5353402 6 962+
خلــوي : 95667143 7 962+
ص.ب : 520946 عمان 11152 الأردن
E-mail: darghidaa@gmail.com
9789957572129